الجمـــــهورية الجـــــزائرية الديـــــمقراطية الشـــــــعبية

وزارة التعليـــــم العالـــــي و البحـــــث العلمـــــي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

الخطاب السياسي في الرواية الجزائرية "غدا يوم جديد" لعبد الحميد بن هدوقة أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:
زهرة خفيف

إشراف الدكتور:
عبد الوهاب بوشليحة

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
		رئيسا	
د.عبد الوهاب بوشليحة	أستاذ محاضر	مشرفا ومقررا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
		عضوا مناقشا	
		عضوا مناقشا	

السنة الجامعية: 1429هـ-1430هـ/ 2008-2009م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

نشـــأت التجربـــة الروائيـــة الجزائريـــة بعـــد الاســـتقلال فـــي أجـــواء ارتكزت، على قاعدة سياسية مستقرة من حيث الثبـــات و متطـــورة مـــن حيـــث التجاوز، لذلك أصبحت ظروف الروائـــي الجزائـــري تتطلـــب مواقـــف روائيـــة متجددة ، مهما تعددت و تباينت الأشكال التعبيرية فـــي معايشـــة جـــدل الواقـــع الجزائري ، و ذلك لكون العمليـــة الإبداعيـــة تنطلـــق مـــن بيئـــة تعبـــر عنهـــا لاستيعاب الهموم و التطلعات و الطموحات الوطنية برؤى إنسانية هادفة.

إن دراســـة الخطـــاب السياســـي فـــي الروايـــة الجزائريـــة، هـــو فـــي الآن نفســـه دراســـة العلاقـــة المتبادلـــة بـــين السياســـة و الأدب ، علاقـــة جدلية متواصلة، طالما وجد الأديب نفسه داخـــل المجتمـــع يعبـــر مـــن خلالـــه عـــن دوره و حقوقـــه و مكانتـــه، و يبحـــث بشـــكل مســـتمر عـــن حريتـــه و إنسانيته، و هذه العلاقة قد تكون نافعة أو ضـــارة فـــي الوقـــت ذاتـــه، لكنهـــا و في كل الأحوال تفرض نفســـها بشـــكل لا يســـتدعي مـــن الدارســـين الســـعي وراء إثباتهـــا بقـــدر ضـــرورة الســـعي لمعرفـــة درجـــة التواصـــل بـــين طرفيها، أي بين الأدب و السياسة.

وتنسحب علاقة الأدب بالسياسة على علاقـــة الروايـــة بالسياســـة، حيـــث أن ارتباط الرواية بها أعطاها دورا هاما فـــي التغيـــر الاجتمـــاعي مـــن خـــلال نقدها للواقع و كشفها لبذور التحول السياسي و تقـــديمها للشخصـــيات المبشـــرة بالتغير العميق و الجذري، لذلك تعـــد السياســـة محـــورا فكريـــا و جماليـــا مـــن أهم العناصر التي تعتمد عليها الرواية الجزائريـــة و أيـــا كـــان نـــوع الإطـــار

الاجتماعي الـــذي يكشـــف عنـــه عالمهـــا، فـــإن الـــذي لا مـــراء فيـــه هـــو اقتحامهـــا البـــارز و تمكنهـــا مـــن أن تشـــغل حيـــزا واضـــحا داخـــل بنيـــة الرواية، و كما أن إنسان اليـــوم يمكـــن أن يعـــرف بأنـــه كـــائن سياســـي، لـــه إيديولوجيته الخاصة، أو على الأقل موقفـــه الـــواعي أو اللاوعـــي الـــذي يعبـــر عـــن انتمائـــه الفكـــري و بالتـــالي عـــن رؤيتـــه السياســـية، فكـــذلك الحـــال بالنسبة للرواية الجزائرية، فقد جعلت من الموقـــف السياســـي أو مـــن الأفكـــار السياســـية المطروحـــة إحـــدى اهتماماتهـــا الأصـــيلة أو البـــارزة، و بالتـــالي أصبحت الرؤية السياسية إحدى سمات الفـــن المعاصـــر و الإنســـان الجزائـــري صحيح أن الفن يعكس الواقع السياسي نسبيا، و لكن معنى النســـبية هنـــا يعنـــي الحفاظ على الاستقلالية و التعبيـــر و التمييـــز و حـــين يـــتم التأكيـــد أن الفـــن يعكس السياسة، فإن ذلـــك يعنـــي أن الفـــن تجســـيد لأحاســـيس وأفكـــار وآراء و طموحـــات النـــاس، وبالتـــالي إيـــديولوجيتهم و نظـــرتهم العامـــة نحـــو الحياة و المجتمـــع، لـــذلك نعتقـــد أن ارتبـــاط الروائـــي الجزائـــري بالوقـــائع و الأحداث و الملابسات السياسية التي مرت بهـــا الجزائـــر تعكـــس إلـــى حـــد كبير انحسار المسافة لـــدى الأديـــب بـــين وعيـــه الأدبـــي و الفنـــي، ووعيـــه الاجتمـــاعي و السياســـي ليشـــكل بـــذلك ظـــاهرة فـــي التجربـــة الروائيـــة الجزائرية رجعت بدلالاتها وأبعادها إلى الوحدة المتكاملـــة بـــين الـــوعي الفنـــي و الوعي السياسي.

مـــن هـــذه الزاويـــة فـــإن دراســـة الخطـــاب السياســـي فـــي الروايـــة الجزائرية، و في روايـــة ﴿ غـــدا يـــوم جديـــد ﴾لعبـــد الحميـــد ابـــن هدوقـــة أنموذجا لكونه أحد رواد الرواية العربية الجزائريـــة الـــذي ارتبطـــت بالأحـــداث السياسية و بتنامي الصدمات الاجتماعية، و تراكم الأزمـــات التـــي مـــرت بهـــا الجزائر . وكذلك طـــرح مشـــاكل التفـــاوت الطبقـــي و الصـــراع الاجتمـــاعي و الانحراف السياسي ، مما جعله يحافظ علـــى موقعـــه و يعمـــل علـــى فضـــح مختلف التناقضات المجتمعية.

و لقد تظافرت جملـــة مـــن الـــدوافع المتنوعـــة و المتكاملـــة مـــن حيـــث المقاصد الأساسية حفزت على إنجاز البحث منها :

1- إن القضايا التي تطرحهـــا الدراســـة ليســـت بعيـــدة عـــن الشـــواغل اليومية للقارئ الجزائري و المشاكل التي يواجهها الكتاب .

2- إن البحث في إشكالية السياسة يتنزل ضـــمن إطـــار حضـــاري أدبـــي يتصل بخصوصية البنية الثقافية الجزائرية.

3- قلة الدراسات حـــول الخطـــاب السياســـي فـــي الروايـــة الجزائريـــة لما بعد الثمانينات، و التي بشرت بحـــدة التناقضـــات و تنبـــأت بضـــبابية المسار السياسي الجزائري.

في هذا الإطار يصبح إنجاز عمل علمي بـــالغ الأهميـــة لمعالجـــة حقيقـــة الأزمـــة الجزائريـــة مـــن منظـــور المبـــدعين، فظـــلا عـــن إنتـــاج دراســـات

نقديـــة تكشـــف عـــن الواقـــع الجزائـــري و تعـــالج قضـــاياه المصـــيرية.

أما الحديث عن منهج الدراسة فلا منـاص مـن الجمـع بـين المنهجـين التاريخي و الاجتمـاعي و نعلـل اعتمادنـا علـى المـنهج التـاريخي لكـون القضـايا التـي طرحهـا الخطـاب السياسـي فـي الروايـة الجزائريـة لـن تكون متماسكة و متناسقة إن لم يـتم وضـعها فـي سـياقاتها التاريخيـة التـي ظهرت فيها، أما المـنهج الاجتمـاعي لكونـه يوجـه عنايتـه الرئيسـية إلـى مضمون الأثر الأدبي بوصفه أهـم العناصـر القـادرة علـى إبـراز الـدلالات الاجتماعية أو التاريخية و السياسية، و الكشف عـن الـرؤى الفكريـة و البنـى الفنية بالرجوع عند الاقتضاء إلى معطيات خارجية عن النص.

وارتأينـا بعـدها أن نقسـم الدراسـة إلـى ثلاثـة فصـول و خاتمـة **فالفصل الأول** يتناول الرواية و التحـولات المجتمعيـة فـي الجزائـر، و قـد عمدنا إلى تقديم نظرة متكاملة عن التحولات التـي مسـت المجتمـع الجزائـري بعد الاستقلال، على أساس أن الروائـي يتصـل بواقعـه مـن خـلال وسـيط محدد هو الإيـديولوجيا و الروافـد الموضـوعية التـي عملـت علـى بلـورة الرؤية السياسية عنده.

أما الفصل الثـاني فيتنـاول أهـم قضـايا الواقـع السياسـي التـي عالجتهـا الرواية، مركزين على القضايا السياسية و الاجتماعية و الثقافية.

أما الفصل الثالـث، فقـد درسـنا الجانـب الفنـي فـي الروايـة مـن حيـث اللغة، الشخصيات المكان و دلالته و البناء الحدث الزمني.

وقمنا باستخلاص بعض السمات الفكرية و الفنية للخطاب السياسي في الجزائر، أما الخاتمة فتتضمن كل ما توصلنا إليه من نتائج في كل مراحل البحث.

غير أن إنجاز هذا البحث لم يخل في مختلف أطواره من صعوبات منها :

1- أن البحث في إشكالية السياسة تطلب قراءة الأعمال الروائية لابن هدوقة السابقة عند مدونة البحث، و تصنيف مضامين كل قضية و تحديد المضامين الفكرية و الأساليب الفنية.

2- مثلت قلة الدراسات الأكاديمية التي تناولت الرواية الجزائرية بعد الثمانينات و الخطاب السياسي فيها عقبة أمام إنجاز هذا البحث، فباستثناء بعض الدراسات في دوريات جامعية ، فإن الإشكالية لم تطرح بشكل نقدي علمي .

3- صعوبة تحديد المفاهيم المتعلقة بالخطاب السياسي على المستوى السوسيوثقافي، علما أن كل خطاب يحمل مضامين و رؤى تختلف في مقاربتها من دارس إلى آخر .

وفي الأخير أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الدكتور عبد الوهاب بوشليحة، الذي ساعدني بتوجيهاته القيمة، وأعانني بالعديد من المراجع، التي غذت هذا البحث و بعثته إلى الوجود عملا

متواضعـــا حاولـــت قدر المستطـــاع أن أرقى به إلى المستوى المطلوب.

كمـــا أتقـــدم بالشـــكر الجزيـــل إلـــى كـــل مـــن مـــد لـــي يـــد العون ســـواء بكتـــاب أم بنصـــيحة، وأخـــص بالـــذكر الأســـتاذ علـــي خفيـــف والأســـتاذة نظيـــرة الكنـــز و الأســـتاذ عبـــد الوهـــاب بويمـــة و الأستـــاذ صالـــح ولعـــة و الأستـــاذ رشيـــد قريبـــع ...

والله مـــن وراء القصـــد و هـــو الهـــادي إلـــى ســـواء الســـبيل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

الروايـــة و التحولات المجتمعية في الجزائـــر

1- علاقة الرواية بالسياسة

2- مفهوم الرواية السياسية

3- مرتكزات الرواية السياسية و حيثياتها

4- أشكال التعبير السياسي في الرواية الجزائرية

5- واقعية الرواية الجزائرية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

***علاقة الرواية بالسياسة :**

إن السياسة بوصفها ظاهرة من ظواهر الواقع تستأثر باهتمام الفنان في ظروف معينة, و إن كانت تبدو متباينة ظاهريا, غير أنها ترتبط فيما بينها بأكثر من صلة ما دام أي تغيير يصيب الواقع و يؤدي إلى إحداث نقلة فيه يعني تحقيق هدف يسعى من أجله الإنسان فيقوم بعملية التغيير السياسي لتشمل كافة الظواهر الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية على الخصوص مما يؤدي إلى إحداث تغييرات مختلفة فيها باعتبارها الجذر الكامن في معادلة التطور الحضاري لأي مجتمع<< و هكذا اكتسبت الرواية بوصفها النوع الأدبي الذي يتمثل في النقد الاجتماعي بمعناه الصحيح , طابعا إيجابيا , تعلميا تنبؤيا>> ①.

فالعلاقة بين الأدب و السياسة خصبة و معقدة, لها ثوب الصداقة اللذوذة إنها علاقة وحدة الأضداد, إنها العلاقة الجدلية الساخنة دوما.

ليس للسياسة في الرواية أن تحضر بالمعنى التقني فذلك ينفي صفة الأدبية عنها<< السياسة في الأدب تحضر بمعناها التاريخي, أي بما هي أشكال لوعي و ممارسة الحياة الاجتماعية >> ②.إن الأدب بهذا المعنى هو ممارسة سياسية أيضا ، والأديب يمارس السياسة في إنتاجه و لكن بأدواته, فضلا عن ممارسته لمواطنيته في شتى أشكال التعبير الاجتماعي النقابية أو الحزبية أو سواها.

---

①- أحمد محمد عطية: الرواية السياسية،مكتبة مدبولي القاهرة (د.ت.ط) ص 11

②- نبيل سليمان: أسئلة الواقعية والالتزام، دار الحوار للنشر والتوزيع سورية، اللاذقية (ر. ت) ص 92

<< و العلاقة بين الرواية و السياسة, علاقة جدلية و متواصلة طالما وجد الأديب نفسه داخل مجتمع معين, يعبر من خلاله و حقوقه و مكانته و يبحث بشكل دائب و مستمر عن حريته و إنسانيته. و هذه العلاقة قد تكون نافعة من جانب, و ضارة من جانب آخر, و لكنها و في جميع الأحوال تفرض نفسها بشكل لا يستدعي من الباحثين السعي وراء إثباتها بقدر ضرورة السعي لمعرفة درجة التواصل بين طرفيها ، أي بين الأدب والسياسة ، وتتحدد علاقة الأدب بالسياسة – أيضا – من خلال وجود أدب ثوري ، وآخر سلطوي حيث يسعى الأول إلى فضح العلاقات والقوى الاجتماعية المهيمنة ، بينما يستمر الثاني في معانقة السلطة الحاكمة والالتصاق بتوجهاتها >> ①

وتنسحب علاقة الأدب بالسياسة على علاقة الرواية بالسياسة ، حيث أن إرتباط الرواية بالسياسة قد أعطاها دورا هاما في التغيير الاجتماعي والسياسي ، من خلال نقدها للواقع الاجتماعي والسياسي وكشفها لبدور التحول السياسي ، وتقديمها للشخصيات الإيجابية المبشرة بالثورة وبالتالي<< فالرواية السياسية هي التي تلعب فيها الأفكار السياسية الدور الغالب أو التحكمي >> ②. و عليه فالسياسة – في الوقت الحاضر – لم تعد شغل السياسي وحسب بل كل إنسان الآن معني بالسياسة طالما لها

---

①– صالح سليمان عبد العظيم: سوسيولوجيا الرواية السياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998، ص 30

②– طه وادي : الرواية السياسية، دار النشر للجامعات المصرية، ط 1 1999 ، ص 50

علاقة بكل شأن من شؤون الإنسان تتغلغل في نواحي حياته, بؤسه و سعادته, فرحه, نصره هزائمه, و هزائم مجتمعه, << لأن السياسة هي بوابة أي تغيير و فاتحة كل عهد جديد و لأنها مفتاح كل شيء: الرزق والأمن , و الحرية و العدالة، و العمل في السياسة هو مواجهة مستديمة متصاعدة معلنة مع السلط السائدة و أجهزتها و مواليها>> ①

و يخلص " طه وادي " من خلال دراسته للرواية إلى النتائج التالية : ②

❶- قضايا السياسة وأزماتها الخطيرة، لا تتحقق في أي عمل أدبي إلا من خلال رؤية واقعية للحياة والفن.

❷-الأفكار السياسية يجب أن تشكل محورا مهما ومثيرا في إطار بقية القضايا التي تصورها الرواية السياسية، حتى لا يبدو وجودها مقحما دون ضرورة فنية.

❸-ينبغي أن يختار الكاتب " معدلا موضوعيا مقنعا " لأفكاره السياسية والإيديولوجية ، وأن تكون هذه الأفكار حية ومبررة في سياق النسق الروائي .

❹-الشخصيات التي تمارس السياسة في الرواية ، يجب أن تكون مؤهلة لذلك اجتماعيا وفكريا داخل البناء الروائي حتى تصبح قادرة على الإقناع الفني بما تقول وتفعل في إطار أحداث الرواية.

---

①- نجوى الرياحي القسنطيني:الأبطال وملحمة الانهيار دراسة في روايات عبد الرحمان منيف، مركز النشر الجامعي، تونس – 1999 – ص 50

②- طه وادي: الرواية السياسية ، ص 60-61

❺-القضية السياسية المختارة ، ينبغي أن تكون من القضايا الجليلة التي تؤرق الوطن ، وتعذب المواطن .

❻-ينبغي على الكاتب أن يدرك الفروق الشاسعة بين وظيفة الدعاية والتحريض عند رجل يمارس العمل السياسي وبين وظيفة الفن الإنسانية والجمالية عند أديب أصيل وملتزم .

❼على الناقد حين يتصدى لدراسة رواية سياسية أن يدرك – واعيا – أنه يتعامل مع نص أدبي له معاييره الجمالية الخاصة ، بغض النظر عن رؤية الكاتب السياسية وعقيدته الإيديولوجية، لأن من حقه أن يتفق مع الكاتب ... أو يختلف على أن هذا الاختلاف الواضح بين هذين المبحثين قد يتلاشى على المستوى الواقعي ، ذلك أن عالم السياسة قد يلجأ في بعض الأحيان على الاعتماد على مسلمات غير محققة . كما أنه قد يجد نفسه مضطرا إلى استخدام حدسه على نحو ، يجعله قريبا جدا من الفيلسوف السياسي عند ممارسة تأملاته ، وبالتالي فإن عالم السياسة لا يستطيع ادعاء الموضوعية المطلقة عند مناقشة قضايا حساسة كالأيديولوجية والأحزاب السياسية ، والصراع الطبقي ①

والسياسة في العصر الحالي تتحكم في كل قضايا المجتمع ، وتوجهات الأفراد ، نظرا لتعقد أساليب الحياة وتنوع طرق توزيع الثروة ، واختلاف الإيديولوجيات والعقائد التي تحكم المجتمعات المعاصرة ..

---

①- المرجع السابق، ص 95

كل ذلك وغيره جعل السياسة قضية جد خطيرة لدى الحاكم والحكومة والمحكومين وبالتالي فقد تعددت الرواية السياسية المفهوم التقليدي الذي جعلها مقتصرة على الكفاح العسكري ضد العدو الخارجي ، أو النضال الفكري والجسدي إلى الموضوعات المختلفة التي يعيشها الإنسان المعاصر مثل : التعليم السكن ، الزواج ، السفر ، الصناعة ... وبما أن المشكلة في الجزائر هي مشكلة سياسة ، فان الرواية الجزائرية على اختلاف مشاربها و اتجاهاتها تتحدث عن قضايا مجتمع ذاق الويلات على يد المستعمر مما جعل الرواية الجزائرية تهتم بقضايا السياسة ، وهذا أملا في تحقيق التقدم التكنولوجي والرقي الحضاري ، والتطور الاجتماعي والحكم الديمقراطي ولا شك أن الأدب الجيد هو<< الذي تذوب فيه الرؤية السياسية داخل جزيئات العمل ، وتتضافر مع لحمته وسداه ، وتصبح جزءا عضويا من نسيجه وأداة متجانسة من أدواته >> ①، ونتيجة لذلك صارت السياسة محورا بارزا ، وهاجسا ملحا ، وهما مشتركا ، في كل الروايات الجزائرية

---

① المرجع السابق، ص 51

1- مفهوم الرواية السياسية :

نعني بالرواية السياسية « *ROMAN POLITIQUE* » الرواية التي تنصب على دراسة ومناقشة الأفكار السياسية وبرامج الأحزاب النظرية والعملية ، وتحديد تصورات المذاهب السياسية وتبيان مواطن إختلافها وتشابهها مع رصد جدلية الصراع بين الحاكم والمحكوم والعامل مع أرباب وسائل الإنتاج واستجلاء الفكر النقابي والنضال السياسي وما يستتبعها من اعتقال وقمع وقهر وحبس للمواطنين والمناضلين وبالتالي<< فالرواية السياسية هي التي تلعب فيها الأفكار السياسية الدور الغالب أو التحكمي>> ①

كما تقوم الرواية السياسية باعتبارها نزعة روائية " على أطروحة الدعوة إلى أفكار سياسية معينة وتنفيذ غيرها مما يفسح المجال أكثر لحوارات تتخذ شكل مجادلات سياسية على حساب التقليل من أهمية العناصر السردية الأخرى وتنزع هذه الرواية ذات المنحى السياسي نحو نوع من الواقعية القرارية ولا تتميز عن غيرها من الرواية إلا بتأكيدها على الحدث السياسي ② كما أن الرواية التي يتمكن كاتبها من تقديم << رؤيته السياسية كقضية من قضايا الواقع السياسي من خلال معالجة فنية جيدة هي رواية سياسية >>③ هذا وتركز الرواية السياسية غالبا على القضايا السياسية المحلية والوطنية والقومية ، لمعالجتها ضمن توجهات مختلفة ومحاور متعددة

---

① - المرجع السابق، ص 50

② - سعيد علوش: المصطلحات الأدبية المعاصرة، مطبوعات المكتبة الجامعية – الدار البيضاء ط 1 – 1984 ص 60

③ - حمدي حسين:الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر 1965-1975 – مكتبة الآداب – ط1 – 1994 القاهرة – ص18

مستوعبة المراحل المتنوعة التي مرت بها القضية مع وقفات عند أحداث معينة لها خصوصياتها المتميزة ، كما تتبني هذه الرواية على تبئير السلطة والحكم مصورة الاستبداد ، ومصادرة حقوق الإنسان والزج بالمعتقلين السياسيين في سجون الظلم والقهر ، وبذلك يتم التأثير على الخطاب السياسي والعقيدة الإيديولوجية والرؤية السياسية إلى العالم ، وعلاقة الإنسان بالسلطة ومنظوره إلى واقعه الضيق أو الواسع .

ومن النقاد الذين عرفوا الرواية السياسية نجد : جوزيف بلوتنر "BLOTNER " في كتابه الرواية السياسية ، الذي نشر سنة 1955م والناقد الأمريكي ايرفينج هاو IRVING HOWE في كتابه " السياسي والرواية " الذي صدر سنة 1957 م .

ينطلق " بلوتنر " في تعريفاته للرواية السياسية من رؤية للمجتمع الغربي فيقول " إذا حصرنا الرواية السياسية في نشاط بعض المؤسسات كالكونغرس أو البرلمان ، فهذا يعني أن نراعي بذلك الطابق العلوي للبناء السياسي ونتجاهل الطابق الرئيسي والقاعدة التي تسانده ، وهذه القاعدة التي ينبغي أن تخوض الصراع السياسي هي طبقات المجتمع خاصة الطبقة العاملة التي ينبغي أن تطلع بأدوار سياسية وتتحرك في وسط سياسي ① . ونظرا لديمقراطية المجتمع الغربي يرفض "جوزيف بلوتنر "الروايات السياسية التي توظف الأقنعة التراثية والمجازية والتاريخية للتعبير عن القضايا السياسية

① - المرجع السابق ، ص 19

بل يفضل الرواية التي تقدم الخطاب السياسي مباشرة ،<< وهكذا يبعد بلوتنر الروايات التي تعالج القضايا السياسية بشكل مجازي أو رمزي ، ويرى أن الرواية السياسية هي كتاب يصف مباشرة ويفسر ويحلل ظاهرة سياسية >>①

بيد أن هذا الرأي لا يمكن استحسانه في عالمنا العربي بصورة عامة ، والذي مازال لم يتخلص بعد من أنظمة القهر والاستبداد والعنف العسكري ، وطغيان جهاز المخابرات وانعدام حقوق الإنسان ، فلا بد أحيانا من اللجوء إلى استعمال الرموز والأقنعة والعودة إلى التراث ، أو اتخاذ التاريخ ذريعة للتحريض والنقد عن طريق الاستخدام الرمزي لما هو سياسي .

ويرى جوزيف بلوتنر أن << هناك أهمية لموضوعات بعينها في الرواية السياسية مثل الحروب التي يعتبرها امتدادا للسياسة والأعمال المحرضة على الفتنة ، وسياسات المجالس النيابية ، والموضوعات المتعلقة بالانتخابات >> ② ... << ولابد لكاتب الرواية السياسية أن يكون معايشا للأحداث ، ذا رؤية واقعية محنكة بالتجارب والأحداث السياسية ، وأن يكون متصلا بالأدوار التي تلعبها الشخصيات ، وأن يكون معهم على نفس خطوطهم في الحديث وغاياتهم التي يهدفون إليها ، واستراتيجيتهم التي يستخدمونها >> ③

أما ايرفينج هاو فيعرف الرواية السياسية بأنها<< تلك الرواية التي تلعب فيها الأفكار السياسية الدور الغالب أو التحكمي ، بيد أن توضيح كيفية التحكم تبدو

---

①- المرجع السابق ، ص 20

②-المرجع نفسه ، ص 20-21

③-المرجع نفسه ، ص 23

ضرورية ، لأن كلمة تحكمي تحتاج إلى تحديد ، وربما كان من الأفضل القول بأنها الرواية التي نتحدث عنها لنظهر غلبة أفكار سياسة أو وسط سياسي إنها رواية تظهر هذا الافتراض دون صعوبة أو تحريف >> ①، ويضيف ايرفنج بعض المواضيع التي تتناولها الرواية السياسية إلى جانب ما قاله بلوتنر من حروب وفتن سياسية ، ومجالس نيابية وانتخابات وهذه المواضيع هي الأفكار السياسية أو ما يسمى أيضا بالأوساط السياسية ② . وإذا كانت الرواية مجموعة من التقنيات والأدوات الفنية والجمالية ، تسهم في إثراء التعبير الإنساني عن طريق الأفكار والمشاعر ، وتجارب الواقع والذات فإن مصطلح السياسة يعني " مجموعة من التفاعلات التي من خلالها تتوزع السلطة وتتخذ القرارات الأساسية في أي مجتمع من المجتمعات ... وهو بذلك يعد مجموعة من الأدوار السياسية التي يقوم بها الفاعلون في إطار بناء سياسي يحدد العلاقات بين الحكام والمحكومين ، ولذا تبدو السياسة بوصفها نسقا اجتماعيا ، عملية معقدة ، تقوم على تصورات نظرية أكثر شمولا واتساعا من الفهم التقليدي لها ، كما أنها لم تعد تهتم بقضية بعينها وإنما يتسع مجالها ليتناول كل مكونات النسق السياسي مثل : أسلوب الحكم ، وطريقة تشكيل الحكومة وصنع القرار السياسي ، وكيفية تنفيذه ، وموقف الهيئة الحاكمة من القوى المعارضة ... أما على مستوى الممارسة العملية فتبدو السياسة عملية

---

① - المرجع السابق – ص 29

② - المرجع نفسه – ص 24

أكثر تعقيدا وشمولا ، لأن حياة الفرد داخل نسق اجتماعي أصبحت حياة مسيسة على كافة المستويات ، بل إن بعض المجالات التي قد تبدو في الظاهر بعيدة عن دائرة البناء السياسي ، هي في حقيقة الأمر خاضعة لقرار سياسي مثل : أسلوب توزيع الثروة الاقتصادية ونظام التعليم وحركة القوى العاملة وقوانين الإسكان ... بحيث يمكن القول إن السياسة تتدخل في كل أمور الحياة المعاصرة ... وهكذا تبدو السياسة بوصفها نسقا اجتماعا ذات هيمنة شاملة على كل أنساق الحياة المختلفة ، ونتيجة لذلك فإن الأدب حين يعكس رؤية تقدمية للواقع فإنه يعد ممارسة سياسية بمعنى من المعاني ، ولا ريب أن الأدب الجيد ملتزم بالضرورة ، والالتزام يقوده إلى صف المعارضة ① ،وعلى الرغم من صعوبة الوصول إلى تعريف دقيق لعلم السياسة فإنه يمكن القول بأنه<< الدراسة المنظمة لأساليب الحكم ، وفي كثير من الأحيان قد يضيق هذا التعريف ، بحيث يصبح موضوع هذا العلم : دراسة الدولة ومؤسساتها المختلفة وكيفية أدائها لوظائفها >>② ، وهنا يجب أن نفرق بين علم السياسة والفلسفة السياسية ، هذه الأخيرة التي << تهتم بدراسة الأفكار السياسية مع التأكيد على بعدها الزمني >>③ ، أما علم السياسة فإنه يدرس الأفكار السياسية بهدف الوصول إلى مبادئها العامة مستعينا قدر الإمكان بشواهد كمية وكيفية ومعنى ذلك أن الفلسفة السياسية تلجأ إلى الأفكار والقيم السياسية

---

① – طه وادي – السياسة والفن في الرواية المعاصرة – مجلة كلية الآداب – مصر – جامعة القاهرة – العدد 1 – المجلد 50 – ماي 1990 – ص 59

② – المرجع نفسه ، ص 95

③ – المرجع نفسه ، ص 95

كالحق والحرية والعدالة ، وتثير لها تساؤلات تتعلق بشرعيتها وملاءمتها للطبيعة الإنسانية ، أما علم السياسة فإنه يستخدم المناهج العلمية للوصول إلى تعميمات تحكم عناصر الحياة السياسية بما فيها من نظم وأنماط سلوكية .

2- مرتكزات الرواية السياسية وحيثياتها:

لقد أصبحت السياسة محورا فكريا في الرواية المعاصرة ، مهما تنوعت مواضيعها ، وتعددت أبعادها الاجتماعية ، الواقعية ، وجنحت إلى الحداثة الشكلية والتنويع الفني . فإن الرواية تعبر عن الأطروحة السياسية إما بطريقة مباشرة وإما بطريقة غير مباشرة ، لذلك وجب القول : إن السياسة حاضرة في كل الخطابات والفنون والأجناس الأدبية ، وتتمظهر بجلاء ووضوح في فن الرواية التي تعكس نثرية الواقع وصراع الذات مع الموضوع والصراع الطبقي والسياسي والتفاوت الاجتماعي وتناحر العقائد والإيديولوجيات والتركيز على الرهان السياسي من خلال نقد الواقع السائد، واستشراف الممكن السياسي . " وهنا يجب الكشف عن القيم السائدة داخل المجتمع ، وذلك عبر الكشف عن طبيعة الخطاب الذي يجب أن يترجم معارف ذلك العصر بعينه فالخطاب الاستكشافي غالبا ما يفشل في التوصيل أو التواصل ولكي نضمن هذه العملية يجب أن يرتبط هذا الخطاب بأصناف المعرفة لعصر بعينه ①.

وتستند الرواية السياسية أيضا إلى بلاغة الإقناع والدعاية والتحريض والالتزام وتبليغ الأطروحة المقصودة بشتى الوسائل لأن الغاية تبررها

---

① C. ACHOUR ET AUTRES ; CONVERGENCES CRITIQUES, OPU ; SEUIL ; ALGER 1990 ،P 262

وتعضدها كما تتبنى بلاغة التكرار لتحريك الشعور السياسي والإبهام الثقافي لأن << السمة الأساسية التي تؤدي إلى انسجام النصوص وتكيفها من الناحية الشكلية تكمن في التكرار والتوازي >>①.

أضف إلى ذلك أن في التكرار يتشكل المعنى ويتضح في آن واحد ،<< وحين تكرر اللفظة أو العبارة ، لابد أن يقترن هذا التكرار بأداء نفسي متميز، يؤدي موقفا نفسيا مهما في رسم هذا الجو الصوفي الذي تنزاح فيه خطرات اللاوعي>> ② ، وهكذا ينطوي التكرار<< على تعمق الحركة الزمنية من خلال الاسترداد الصريح للأحداث الماضية >> ③.

وتلتجيء الرواية السياسية كذلك إلى السرد التفصيلي بكل تقنياته وأنماطه إنه الطريقة التي تروى بها أحداث الرواية وترسم بها شخصياتها إذ يسعى من خلالها الكاتب أن يقنعنا فنيا بما حدث أو يزعم أنه حدث << ويدور الحديث هذه الأيام عن طبيعة السرد من خلال كفاءة الخطاب ذي الشكل الروائي على تمثيل الواقع >> ④ ، ولما كان السرد هو البنية الأساسية في النص الروائي فإن الروائيين المحدثين يحرصون كل الحرص على لغته ، بحيث تكون أنيقة رقيقة النسج موحية مقنعة ، تتوفر فيها كل المواصفات الفنية المطلوبة كما تلتجيء الرواية السياسية كذلك إلى الحوار التسجيلي والذي يعد بنية أساسية في بناء الرواية السياسية يتخلل البنية السردية . والحوار الروائي المتألق يكون مقتضبا ومكثفا، لا يغيب فيه السرد والسارد عبر الشخصيات المتحاورة

---

①- روجر فاولر:اللسانيات والرواية ،ترجمة د أحمد مومن – مطبعة البعث – ص 74

②- فريد الزاهي: الحكاية والمتخيل، إفريقيا الشرق، 1991 ،ص 138

③- بول ريكور: الزمان والجود والسرد ، ص 151

④ـ المرجع نفسه ، ص 185

على حساب التحليل وعلى حساب جمالية اللغة واللعب بها ① ، كما تعتمد الرواية السياسية على المنحى الواقعي لتسجيل المعطى وتهويله وتصويره سلبا أو إيجابا << وانطلاقا من بعض درجات التفكير ، تبدو الرمزية والشكلية والواقعية في الرواية كأنها مقومات لوحدة لا تتجزأ>>②، وتشحن الرواية ذات الأطروحة السياسية بتعاليم تنزع إلى توضيح حقيقة عقائدية وسياسية وتصبح هذه التعاليم العقائدية السياسية بؤرة تعكس مفهوم الأطروحة في الرواية << وحقيقة الأمر أن النص الروائي مهما كان أحاديا في هيمنة نمط من الرؤى ، فإن رؤى أخرى لابد أن تتسلل إليه ، إن كان هذا التسلل مشروعا من خلال الحوارات المتبادلة بين الشخصيات المختلفة ، في رؤاها وأفكارها أم من خلال إضفاء رؤية المؤلف الفكرية التي قد تتعارض مع بعض الشخصيات قصد إدانتها وتعرية أفكارها ③ ويضطر الروائي في هذا النوع من الروايات إلى اختلاق شخصيات متصارعة ، وتهيئ برامج سردية ذات مواقف متطاحنة خدمة منه للأفكار والولاءات السياسية أو الإيديولوجية للقارئ وتتارجح الرواية السياسية بين الجانب الروائي والجانب الأطروحي وتزدهر هذه الرواية من خلال ارتباطها بسياق تاريخي وطني مليء بالصراعات الإيديولوجية التي تلزم كل روائي بالخوض فيها ... << ويظهر من خلال كل هذا ارتباط رواية الأطروحة السياسية بوظائف تلقينية وعقائدية ومنولوجية

---

①- يحي بعيطيش: الخصائص اللغوية في الرواية الحديثة، لغة ابن هدوقة نموذجا، أعمال الملتقى الدولي الرابع للرواية،مديرية الثقافة ولاية بورج بوعريريج، ص 156

②- ميشال بورتور: بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة فريد أنطونيوس،لبنان، منشورات عويدات ،بيروت 1971 ،ص 11

③- عبد الله إبراهيم: المتخيل السردي، المركز الثقافي العربي بيروت، الدار البيضاء، ط1، 19 ص 134

وهي وظائف تمتلك سلطة إنتاج الأمر والتلقين والمعرفة وتنزع باستمرار نحو أحادية المعنى في معاكسة لتفجر النص في الرواية المعاصرة >>① لاسيما إذا عرفنا أن الرواية المعاصرة تشكل مادة مهمة<< نتبع من خلالها وعي الكاتب بالواقع وكيفية مباشرته له وفهمه لدور المثقف بالنسبة لهذا الواقع >> ② . ومما لا نزاع فيه أن على الرواية الجديدة " أن تنظر إلى الواقع لا من الخارج كأنه جمهور ننظر إليه بعين شخص منفرد ، بل من الداخل كأنه شيء ننتمي إليه ، شيء لا يستطيع الأفراد مهما بلغو من الغرابة والسمو أن ينفصلوا عنه تماما ③.

والروائي السياسي قد يكون عليه أن يجتاز مخاطر أصعب من غيره وهذا هو ما يحدث لأي فنان ، يستخدم كميات كبيرة من موضوع غير نقي بيد أن المكافأة المؤكدة بناءا على ذلك تكون عظيمة، وهو بذلك ، لابد أن يكون قادرا على تناول الأفكار المختلفة ، ليراها في علاقاتها البعيدة وأيضا المتداخلة من أجل الإمساك بالسبيل الذي تتحول فيه أفكار الرواية إلى شيء مغاير، عما توجد عليه هذه الأفكار ، في برنامج سياسي << والرواية تهدف بالطبع وينبغي لها أن تهدف إلى توضيح نفسها بنفسها>> ④ ولكن الرواية السياسية عندما تفعل ذلك ، تقوم بمهمة الإقناع وبالتالي فإن وظيفة الروائي

---

①- سعيد علوش: رواية الأطروحة والرواية المغربية، مجلة الأقلام، العراق، العددان 11- 12 - 1986 ، ص 60

②- خالد سعيد : حركية الابداع ، ص 204

③- ميشال بورتور: بحوث في الرواية الجديدة، ، ص 89

④- المرجع نفسه، ص 11

السياسي دائما هي أن يظهر العلاقة بين النظرية والتجربة، بين الايديولوجيا والعواطف والعلاقات التي يحاول أن يقدمها ، وبالتالي تستطيع الرواية السياسية أن تخصب إحساسنا بالتجربة الإنسانية لأنها تعد مرآة صادقة عن الواقع، وهي الأداة الفضلى و المتميزة في توعية الجماهير، و تنويرهم و تحريضهم على التغيير و تفهم واقعهم من أجل الارتقاء به إلى عالم أفضل وليست مهمة الرواية تقديم برنامج سياسي أو ترديد لشعارات أو مواقف و إنما الرواية كما يفترض هي : قراءة حقيقية و صادقة للواقع، مع كمية من الأحلام و الرغبات في الوصول إلى واقع أفضل، إلى حياة أقل شقاء و لذلك فإن مهمة الرواية هي أن توصل كما من المعلومات و الوقائع، وأن تجعل الناس أكثر قدرة ووعيا لواقعهم وأن تحرض أقوى ما فيهم من المشاعر، من أجل أن يكونوا بشرا فاعلين، لأننا نعلم علم اليقين أن الرواية أو أي عمل أدبي لا يمكن أن يغير الواقع << إن الإنسان هو من يغيره، و لكن الإنسان حين يكون أكثر إدراكا و أكثر وعيا يكون بالنتيجة أكثر فاعلية و مهمة الرواية السياسية أن تساهم في خلق هذا الإنسان >> ① .

و يمكن التمييز نقديا بين الرواية السياسية و التخييل السياسي فإذا كانت الرواية السياسية تقدم الأحداث كما هي في الواقع بطريقة مباشرة أو عبر المرآة الجدلية لتصوير فظاعة هذا الواقع، باستعمال أسلوب سردي تقريري

---

① – صالح سليمان عبد العظيم: سوسيولوجيا الرواية السياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998، ص 35

يقترب من أسلوب الأطروحة الشعارية أو أسلوب الروايات الإيديولوجية الحرفية ذات البرامج السياسية لقراءة الواقع الراهن المتردي على جميع المستويات فإن التخييل السياسي يتعامل مع المادة السياسية من خلال الأقنعة الرمزية و الاستعارية، أي بطريقة غير مباشرة متكئا في ذلك على التاريخ واستنطاق التراث و الموروث الشعبي و صيغيه اللغوية و الأسلوبية مستهدفا بذلك الحوارية و الإسقاط و التماثل بين الماضي و الحاضر، و يعني هذا أن التخييل السياسي يتعامل مع الموروث الإنساني بصفة عامة، و العربي بصفة خاصة، بطريقة سياسية مقنعة تارة، أو مباشرة تارة أخرى، يتجادل فيها الحاضر و الماضي، و يكون أعمال التخييل السياسي في إطار المحتمل و الممكن، و ذلك لملء البياضات الكثيرة في النص السياسي الموروث، كما أن لوحات التخيل السياسي متداخلة و أوعية متواصلة توحي كلها بأزمنة متقاطعة و ليس بزمن واحد محدد كما هو الشأن في الرواية السياسية التي تصور الظاهر و السطحي و المباشر<< بينما التخييل السياسي يرصد الممكن و المحتمل و الباطن و اللاشعور السياسي و أمراضه و عقده السيكولوجية و انعكاسات كل ذلك على شخصيات الرواية من خلال صيغ أسلوبية كالمقارنة و المعارضة و السخرية و الباروديا و اللعبية و المحاكاة الساخرة >> ① ،و يستند التخييل السياسي إلى التوهيم و مخادعة

---

① - سعيد علوش: رواية الأطروحة والرواية المغربية، مجلة الأقلام، العراق، العددان 11/ 12 ، 1986 ، ص 61

المتلقي و تخييب أفق انتظاره و تضليله بصدق المعطي و تشويق القارئ بحقيقته الواقعية لتدارك تعذر الخبر أو عجز الروائي عنه و تزيين الحكاية المروية. و يروم المبدع من هذا التخييل تقريب الهوة بين الحدث و الخيال و بين الواقع و الممكن، وذلك عبر الافتراض القريب إلى الاحتمال و الذوق السليم، أي إلى المعقول البعيد عن التخريف و التداعيات الاعتباطية .

*** أشكال التعبير السياسي في الرواية الجزائرية:**

تدور تساؤلات حول لغة السياسة في الرواية الجزائرية، في لوحاتها المشفرة، و التي تعكس الواقع برمته، و السياسة خط من خطوط هذا الواقع المكفهر، بحيث تتيح تلك الحالة الالتحامية بين الرواية و السياسية فسيفساء متناثرة، كالعملة ذات الوجهين فيلتقي النص الروائي مع الرؤية السياسية النقدية في كينونة واحدة، تعكس لغة المثقف الناقد الحر، الذي لا تقيده الحدود و الذي يعلن حريته في كافة تجليات إنشطارات الكلمة على مسرح الواقع، في لغة التغيير و أبجديات الخطاب الأدبي و السياسي... و هنا تتشكل تماهيات الأدب و السياسة و ماهية المثقف بين ذلك كله و زخم حراك رؤاه النقدية على أحداث الرواية من خلال إسقاطاتها اللاشعورية، و التي يتم العثور عليها بين سطور و فقرات الرواية .

إن الفترة التي تمتد من سنة 1954 إلى سنة 1962، ليست تحولا جذريا في التاريخ النضالي للجزائر فحسب، ولكنها أيضا أخصب فترة في المجال

---

①- طه وادي – السياسة والفن في الرواية المعاصرة – مجلة كلية الآداب – مصر – جامعة القاهرة – العدد 1 – المجلد 50 – ماي 1990 – ص 60 .

الأدبي عموما، فهي التي شهدت تطور فن القصة و الرواية...وأصبح في مقدور الجزائر و هي تواجه الاستعمار، أن تضع في قوالب سياسية و نفسية واجتماعية المحتوى الجديد لإنتاجها الأدبي من حيث الصورة الكاملة فقد دخلت موضوعات جديدة على الأدب الجزائري، أو لنقل على الأقل تناوله لها كان جديدا و خارجا عن المألوف ①

بعد الاستقلال، بدأ الأدب الجزائري، و هو مبهور بنشوة النصر و دحر المستعمر، الذي كان يريد فرنسة الجزائر العربية، بدا هذا الأدب يسجل ملحمة النصر و قصص الكفاح وقد تصادف أن تم ذلك النصر على يد طلائع الطبقة الوسطى تلك الطبقة التي يعزي إليها فضل اكتشاف فن الرواية الحديثة و تطويره عن جذوره الأولى تطويرا يجعله منبت الصلة عن تلك الجذور القديمة له ② .

هكذا تواكبت المسيرتان: مسيرة الطبقة الوسطى... ونشأة الرواية في الجزائر ، الطبقة الوسطى إذن وهي تكشف نفسها و تثبت وجودها، تكتشف فن الرواية...وتتخذ منها وسيلة للتعبير عن همومها و مهامها... و عن آلامها وآمالها و عن واقعها وأحلامها. ومن المعروف أن الرواية لا تتقيد بشكل بنائي محدد صارم، و هي إذ تضحي ببعض التقاليد الشكل، فإن ذلك هو الثمن الذي تدفعه من أجل الإيهام بالواقعية، والإيحاء بأنها تصور الحياة اليومية بتفاصيلها المألوفة، و تصوير الأحاسيس الإنسانية البسيطة، و التعبير عن بعض مواقف

---

① - واسيني الأعرج: الأصول التاريخية للواقعية الاشتراكية في الأدب الروائي، دار الكتاب الحديث، بيروت 1986، ص 65.

② - طه وادي الرواية السياسية، ص 183

الاحتجاج ضد الحياة اليومية...<< وهذا ما يوضحه برناردشو حين يرى أن الفن هو المرآة السحرية التي تقوم بعكس الأحلام غير المرئية، و تحويلها إلى صورة مرئية فأنت تستخدم المرآة لترى وجهك، و تستخدم الأعمال الأدبية لرؤية روحك، و هذا يعني أن الرواية في الأساس نوع من مرآة الحلم التي يحاول فيها الروائي أن يعكس نفسه الجوهرية >> ①.

بناء على ما سبق ذكره، فالأديب الجزائري في هذه الفترة العاصفة بالأحداث السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية ... مرحلة ما بعد الاستقلال، رأى أن فنون القص بصفة عامة... والرواية منها بشكل خاص... أقدر الأنواع الأدبية على تصوير واقعه المتغير ومشاكله المتجددة و صراعه الدائب، من أجل تسجيل قصص البطولة و الكفاح التي تمت و طرح بعض هموم المجتمع وأشواقه بعد الاستقلال.

إن معظم مشكلات الجزائر الحقيقية، قد ظهرت غداة تحقيق الاستقلال الوطني، ذلك أن الكفاح ضد المستعمر يجمع كل فصائل الأمة، ويوجد بين كافة الإيديولوجيات فيها، أما بعد الاستقلال فإن كل طبقات المجتمع تريد أن تأخذ قسطا من مكاسب النصر، الذي حققته بدمائها وأرواحها...كما أن كل طبقة تريد أن تفرض إيديولوجيتها، و تطرح رؤيتها، وتبسط فلسفتها على الآخرين بشتى الوسائل، ولم يتنبه أصحاب هؤلاء الإيديولوجيات المختلفة

---

① - المرجع السابق، ص 184

إلى أن << المعركة المسلحة والانتصار فيها شيء، والمعركة الحضارية و الفوز بها شيء آخر، ويظهر أننا لم نستخلص بعد أي درس في هذا الموضوع الخطير>> ① ، حيث أدرك المثقفون والروائيون الجزائريون حينها بأن إنتاجنا الفكري والفني << لن يكون معبرا عن شخصيتنا العربية العامة وصفاتنا الجزائرية الخاصة، إلا بعد أن نعيش نحن فعلا هذه الشخصية و نستعيدها في معاملاتنا و تفكيرنا و مشاعرنا، و هو أمر يحتاج إلى سنين عديدة نتعلم خلالها تاريخنا الاجتماعي والفكري، و نتخلص من رواسب التأخر و الفوضى والتقليد و التناقض، و نتقمص من جديد ما في شخصيتنا من أصالة و معالم خاصة، وكل ذلك عملية تحول ضخمة ينبغي أن نقرأ لها حسابا مهما بلغ استعجالنا وحبنا للكمال و القفز إليه قبل أن تتوفر أسبابه >> ②

كما فرضت الظروف النضالية والاجتماعية للواقع الجزائري أن تكون الرواية أكثر الأنواع الأدبية ملاءمة للتعبير عن قضاياه وأزماته، أوجبت هذه الظروف أن يكون الموضوع الغالب عليها و المتحكم في محاور مضمونها هو موضوع القضايا السياسية، سواء كانت هذه القضايا مرتبطة بتصوير بعض ما حدث في مرحلة النضال مع المستعمر الفرنسي... أو كانت متصلة بمشكلات ما بعد الاستقلال، السياسية والاجتماعية و الإنسانية ،لأن الرواية السياسية الجزائرية تعتبر بشكل ما امتداد لأدب الثورة الوطنية متجاوزة

---

① – عبد الله شريط: معركة المفاهيم، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر،1981، ط2، ص 136

② – عبد الله شريط: من واقع الثقافة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر،1981، ط2، ص 135

في الكثير من نماذجها المرحلة النقدية الحماسية، إلى مرحلة أكثر تقدما تحاول أن ترسم بعضا من قسمات عالم المستقبل، فكانت الرواية السياسية الجزائرية بمثابة منشور سياسي، أذاب الجدران السميكة التي بنتها الرجعية الإقطاعية الاستعمارية.

وقد رصدت الرواية السياسية الجزائرية عدة قضايا وظواهر مجتمعية و سياسية كواقع الاستعمار والاستقلال، و الفترة السياسية ما بعد الاستقلال و الصراع الإيديولوجي و الحزبي، والصراعات القومية ناهيك عن موضوعات أخرى كمصادرة حقوق الإنسان، واستبداد السلطة، وانعدام الديمقراطية، وانتشار الفساد و البيروقراطية و الحديث عن الأحزاب اليمينية و موالاتها للسلطة، و كذلك الحديث عن الأحزاب السياسية، وموالاتها للمصادر الأجنبية .

وبالتالي فإن الرواية السياسية في الجزائر تناولت و بشكل أساسي المشكلات الناشئة عن ظلم النظام السياسي و الاجتماعي حيث اهتمت بالعديد من القضايا السياسية مثل : العدالة الاجتماعية، وأساليب القهر السياسي، و الإرهاب الفكري، والتعذيب المادي و المعنوي لاسيما في الفترة الاستعمارية و يمكن حصر الرواية السياسية الجزائرية في ثلاث رؤى :

- الرؤية السياسية المحلية
- الرؤية السياسية الوطنية
- الرؤية السياسية القومية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وهذه الرؤى ما هي إلا توجهات نقدية لتعرية الفساد السياسي و الفساد الاجتماعي و الفساد الاقتصادي، و الاستلاب الثقافي و الفساد الإداري و الفساد الأخلاقي، وهذا من أجل الدفاع على حقوق الإنسان .

وقد بلغت تجربة الرواية السياسية في الجزائر << شأوا عاليا في مقاربة قضايا المجتمع الحساسة و الساخنة كقضية الحرية و السلطة و التحزب و المشاركة السياسية وسواها >>①.

كما اتخذت الرواية الجزائرية مسارا وطنيا يتمثل في مجابهة الاستعمار الذي استهدف تغريب المجتمع الجزائري واستغلاله وتجهيله إضافة إلى المسار القومي، كالدعوة إلى الوحدة العربية و الإسلامية و مناصرة القضية الفلسطينية ...

وبذلك أصبح الموضوع القومي مدار تجارب روائية برمتها لبعض أبرز الروائيين الجزائريين كالطاهر وطار و واسيني الأعرج رشيد بوجدرة، و جيلالي خلاص ...

وأهم موضوع انصبت عليه الرواية الجزائرية معالجة و تحليلا هو موضوع السلطة والاستبداد و مصادرة حقوق الإنسان، و خير من عبر عن هذا الموضوع على سبيل المثال :

ـ الطاهر وطار في (الولي الطاهر يعود على مقامه الزكي)

---

①- سماح إدريس: المثقف العربي والسلطة،بحث في روايات التجربة الناصرية،دار الآداب بيروت،ط1992،1، ص288

ـ عبد الحميد ابن هدوقة في (نهاية الأمس و غدا يوم جديد)

ـ ومرزاق بقطاش في (طيور في الظهيرة)،...

كما ركزت الرواية السياسية الجديدة على تأمل الذات بقسوة وشرح الواقع السياسي المرير، والتعبير عن خيبة أمل الإنسان الجزائري بقراءتها للأخطار المحدقة به، والتي تتمثل في سلب الإنسان حريته و كرامته و مصادرة حقوقه الفطرية والمكتسبة، بل وحتى لقمة خبزه وحقه الطبيعي في الحياة بعد أن كانت الرواية السياسية الكلاسيكية تجسد فقط صراع الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي الغاشم، مع الإشارة إلى أن غالبية الإنتاج الروائي الجزائري يتناول: الذات المغيبة، أو المفسدة أو المعذبة << وأن محاولات تحقق الهوية قد واجهت معوقات في التطور السياسي والاجتماعي اللاحق المشوه بتأثير خطب إيديولوجية سادت بتوليها للسلطة ثم لم تورث إلا من المزيد من الهزائم >> ①.

وبرع روائيون جزائريون في تشخيص الواقع السياسي المعاصر وتصوير أمراض السلطة والحكم البراغماتي، والانتهازية و الوصولية وانتهاك حقوق الإنسان، والزج به داخل السجون و المعتقلات السياسية، و سخروا كذلك من نظام الحكم القائم على الحكم الفردي

① - المرجع السابق، ص230

والتسلط والاستبداد و التفرعن و ثاروا على الواقع الجزائري بفضاضة قاسية وانتقدوا الذات بوقاحة حتى أصبحت الرواية السياسية المعاصرة في الجزائر لا تهاب الرقابة و مقص السلطة، و تخترق الطابوهات السائدة في معاينة مجتمعنا، مثلما نجد في الروايات التالية:

– (ريح الجنوب، بان الصبح ، غدا يوم جديد، نهاية الأمس لعبد الحميد ابن هدوقة) ، (المرفوضون لسعدي يوسف) ، (الرعن ، الحلزون العنيد التفكك، المرث، ليليات امرأة آرق معركة الزقاق لرشيد بوجدرة) (المؤامرة لمحمد مصايف) ، (الخنازير، دماء و دموع لعبد الملك مرتاض) (طيور في الظهيرة، عزوز الكابران لمرزاق بقطاش) (اللاز، العشق والموت في الزمن الحراشي، الزلزال لطاهر وطار) (وقائع من أوجاع رجل غامر صوب البحر لوسيني الأعرج) ...إلخ.

و لا نزال نؤكد أن الرواية السياسية ، هي رواية تتوافر فيها كل جماليات الرواية من حيث كونها نوعا أدبيا متميزا، بالإضافة إلى أنها تتشمل على رؤية سياسية واعية، تفتح البصر و البصيرة من أجل نفي الظلم و القهر و الفساد و الاستبداد << و هنا تصبح الرواية شاهدا على العصر، و معبرة عن رأي كاتبها المتقدم إزاء ما يحدث في واقعه من مساوئ أو مظالم >> ① .

---

①- طه وادي الرواية السياسية، ص 59

و تشهد الرواية السياسية الجزائرية، بكل صدق على تعفن الواقع و ترديه على جميع المستويات، فجاءت تلك الروايات << على اختلاف مراحلها و أنواعها، ترسم ملامح التحرك التراجيدي الآسر لثقافة بلاد تبحث عن وجهها الحاضر >> ①، مع التركيز على الجانب السياسي وهذا نظرا لغياب حقوق الإنسان، وفشل التجارب السياسية المستوردة، و تفشي ظاهرة البيروقراطية والانتهازية و الوصولية، و التسلق المنفعي على حساب المبادئ و القيم الكيفية، وكذلك غياب الديمقراطية،...هذا المطلب الشعبوي الذي أرق الوطن و المواطن، إن قضية الديمقراطية << هي قضية اليوم و الغد، ما في ذلك شك، و هي في أساسها طموح إنساني، و مطلب شعبي، وقد أصبحت بالإضافة إلى ذلك توجها عالميا...ولكنها لا يمكن أن تكون وصفة تفرض على الحكومات والشعوب، فالديمقراطية، فلسفة و نظاما وممارسة تختلف من بلد إلى بلد،..و إذا كنا نتحدث اليوم عن نمط سائد نسميه < الديمقراطية الغربية > فعلينا أن نتذكر أنها ديمقراطيات كثيرة، وليست ديمقراطية واحدة، فشتان ما بين الديمقراطية الرئاسية ذات الحزبين الكبيرين في الولايات المتحدة الأمريكية، والديمقراطية البرلمانية ذات الأحزاب الكثيرة في بلد مثل إيطاليا فالديمقراطية نظام سياسي مرتبط بتركيبة اقتصادية اجتماعية ثقافية ذات جذور تاريخية >> ②

---

①- خالدة سعيد: حركية الإبداع،دراسات في الأدب الحديث، بيروت ، لبنان ، دار العودة، ط1، 1979 ، ص 09

②- طه وادي الرواية السياسية، ص 15

وإذا كان ثمة قاسم مشترك بين الديمقراطيات الغربية فهو أنها تقوم على مبدأ الصراع، الذي يعني في المجال الاقتصادي المنافسة، و في المجال الاجتماعي الصراع الطبقي، و في المجال الثقافي حق الاختلاف، و في المجال السياسي التعددية الحزبية، و هذه كلها أشياء يجب أن نتعلمها من الغرب لأن الحياة الإنسانية لا تستقيم بدون صراع، ففي مناخ الصراع تشحذ القوى و يكثر الاختراع، و يظهر الجديد، و يختفي العتيق البالي.

إن الصراع الذي نأمله لتحقيق الديمقراطية في بلادنا، هو صراع سلمي فكري، يقوم على الجدل و الحوار الهادئ بالحكمة و الموعظة الحسنة،... أنه صراع من أجل التقدم و العدل و البناء و الاتفاق على كلمة سواء، توحد الصفوف، و تنشر الأمن و الأمان بين كافة أبنائها، إنه صراع يقوم على دفع الناس بعضهم ببعض، حتى تعمر الأرض و يعم العدل، و تنتشر الحرية حتى نكون جديرين بوصف الله سبحانة و تعالى لنا بقوله: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله ﴾ ①

و نتيجة للأحداث السياسية المحلية و القومية والعالمية من توالي للهزائم، و فشل الوحدة القومية و العربية، وانتشار الظلم و الفساد و القمع بشكل مستمر، كل هذا جعل الرواية السياسية الجديدة في الجزائر تعكس هذا الواقع مباشرة أو غير مباشرة بطريقة بارودية، و محاكاة ساخرة قائمة على السخرية و النقد و الفضح و الهجاء و تعرية الذات و الموضوع معا

① - سورة آل عمران، الآية 110

وظهرت روايات خاصة بفضاء السجون و المعتقلات السياسية التي زج فيها المثقفون العضويون بمفهوم جرامشي و المناضلون السياسيون وزعماء الأحزاب و أعضاؤها و أتباعها << هذا الفضاء المعادي أصبح يسيطر على راهن الرواية السياسية كتابة و قراءة و تمثلا، أنه فضاء نمطي، يطمح أن يختصر (بكل مكوناته الواقعية و الرمزية) عذاب الإنسان المستلب و المقموع في أي بقعة من بقاع العالم الثالث ، عبر صراعه في المجتمع ضد إحباطا ته الذاتية و ضد قمع السلطة وعدوانية الآخرين >> ①

و لا يمكن أن يتألق الإنسان أبدا في جو القمع والقهر و مصادرة حقوق الإنسان << و لا يستطيع نبذ التخلف، و الاقتراب من الحضارة ما لم ينل حرياته العامة، الاجتماعية و السياسية، فإذا لم يستطع الإنسان التعبير عن رأيه بحرية و إذا لم تستطع السلطة الوطنية الوصول إلى مرحلة احترام الرأي الآخر المخالف لها، فإن الإبداع سيبقى عاجزا عن أن يخطو خطوات حقيقية نحو الحضارة الحديثة >> ②

*** واقعية الرواية الجزائرية:**

الرواية بوصفها نوعا أدبيا هي الأكثر اتصالا بواقع المجتمع و الأكثر قابلية للتعبير عنه، و إذا كان تعقد الظاهرة الروائية يحول دون اعتبار هذه الأخيرة مجرد انعكاس للواقع، فإن الكثير من خصائصها وثيقة الارتباط بهذا

---

①- سمير روحي الفيصل: السجن السياسي في الرواية العربية، طرابلس لبنان ط21991، ص 15

②-المرجع نفسه ،ص 5 .

الواقع الذي يتميز بدوره بالتعقيد و الثراء << لكن إذا علمنا أن تحويل الواقع إلى نص سردي يتم من خلال الكاتب الذي يظل، مهما كان إنسانا تجتمع فيه الذاتية و الموضوعية، الخصوصية و العمومية، أدركنا أن الواقعية بمعنى المطابقة بين النص والواقع أمر مستحيل >> ①، ومن هنا جاء تنوع التجليات السردية داخل التجربة الاجتماعية الواحدة، و كذلك تشابههم في آن واحد في هذه الدراسة ، نركز على الجانب الأخير أي على الخصائص العامة للرواية الجزائرية في علاقتها بمختلف التحولات التي مر بها المجتمع الجزائري و هذا من خلال : الشكل، الإيديولوجيا، اللغة، التيمات ... و لا يمكن أن نفسر علاقة الرواية بالمجتمع، إذا لم نعرف الظروف التي أحاطت بهذه العلاقة في مختلف مراحلها.

ففي الفترة التي نالت فيها البلاد استقلالها، كان يسود التقاطب بين النظامين الرأسمالي و الاشتراكي، و لقد اختارت الجزائر منذ البداية الانحياز إلى المعسكر الاشتراكي فأخذت الأفكار الاشتراكية تتسرب إلى العقول، سواء عن طريق الحزب الشيوعي أو حزب الطليعة الاشتراكية الذي أنشئ في جانفي 1966 أو عن طريق الكتابات الاشتراكية و تأثير فئة من المتعاونين العرب و الأجانب وزاد من هذا التأثر ما أعلن لاحقا من إصلاحات في عهد الرئيس " بومدين" تمثلت في الثورات الثلاث: الزراعية، الصناعية، الثقافية ②

---

①- إبراهيم سعدي:الجزائر كنص سردي،أعمال الملتقى الدولي الرابع للرواية عبد الحميد بن هدوقة ،مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج، ط2002 ص 73.

②- مخلوف عامر: تحولات الرواية، تحولات التاريخ، الملتقى الدولي التاسع للرواية عبد الحميد بن هدوقة ، مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج، ط2006 ص 173.

وقد أدى هذا الوضع الجديد إلى انتقال حزب الطليعة الاشتراكية من نشاط كان في تمام السرية، إلى نشاط نصف علني في السبعينات، تجسد من خلال الحزب وأدبياته و في مقدمتها جريدة < صوت الشعب > .

وبالمقابل نشطت حركة الإخوان المسلمين، مستفيدة من المكانة السياسية لهذا التنظيم، و كذلك من الإرث الذي خلفته حركة الإصلاح في الجزائر و في مقدمتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ①

ونظرا لطبيعة الشعب الجزائري و علاقته الوثيقة بالإسلام عموما و بالمذهب المالكي خصوصا، فقد وجد هذا التيار أرضية خصبة و سهلة للتوغل في أوساط الطلبة و كثير من المتعلمين.

ومما زاد من انتشاره أنه حمل راية تطبيق الشريعة الإسلامية، مما يعني معاداة الإصلاحات التي أعلن عنها باسم الاشتراكية.

وقد استمر هذا العداء بأشكال متعددة كان منها الشكل الأدبي، و بما أن التيار الإسلامي قد اتجه نحو الشعر، فقد وجدنا أن أنصار التيار الاشتراكي هم الذين برزوا أكثر في كتابة الفن القصصي و في تجريب الكتابة الروائية.

لم تشهد الساحة الأدبية حركة نقدية منذ ما قبل حرب التحرير، إذ كانت كل الجهود مركزة على القضية الوطنية و ما ينشر من انطباعات نقدية و تعليقات مبعثرة، و لذلك تميزت هذه الكتابات بالسطحية و الظرفية و لم

---

① - المرجع السابق، ص 173 .

تستفيد مما كان يجري في الساحة الأدبية و النقدية من مستجدات و لقد كان لهذا الموقف المحافظ أثره البالغ السلبية في عدم الاستفادة من الثقافة الأجنبية في غياب الترجمة و الرحلات نحو العالم الآخر.①

و بما أن الدين كان يشكل محورا أساسيا في الصراع، فإننا نجده حاضرا في الكتابة الأدبية بصفة عامة و في الرواية بصفة خاصة، و ربما كان للرواية الحظ الأوفر من هذا الحضور، نظرا لأنها جنس يسمح بطبيعته باحتواء الصراع حول الدين.

وكان لنظرية الانعكاس الآلي كما انطبعت في أذهان الكتاب في البداية أثرها في توظيف الدين، و كانت هذه النظرية التبسيطية بدورها نابعة من فهم مبتذل للإيديولوجية الماركسية في تفسيرها للظاهرة الأدبية.

❶- الواقع السياسي:

ارتبط المفهوم الوظيفي للرواية الجزائرية بالتاريخ الوطني، فنجد فكرة الواقعية أكثر بروزا في الخطاب الأدبي: شعرا و نثرا، إبداعا و نقدا، و يمكن أن نميز واقعتين: واقعية اشتراكية وواقعية نقدية << و ترى الواقعية النقدية أن مهمة الفن و الأدب هي نقد الحياة الإنسانية وفق مفهوم إنساني واسع لا يرتبط بالمفهوم الماركسي، و لذا فإن الحكم على أدبية النصوص الأدبية ينطلق من مدى ارتباطها بالواقع تصويرا ونقدا >> ② .

---

①- المرجع السابق، ص 174 .

②- علال سنقوقة، المتخيل والسلطة(في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية) منشورات الاختلاف(د.ت)، ص 24

أما الواقعية الاشتراكية فقد قامت على الأساس المادي الذي يفصل بين البنية التحتية والبنية الفوقية، و تلتزم الواقعية الاشتراكية الشخصية الروائية أن تكون ملتزمة بقضايا التقدم الإنساني، و هكذا فإن<< الأدب عموما في نظر الواقعية الاشتراكية مجموعة من الأحداث تعكس مواقف ووقائع اجتماعية >> ①، و الحياة كما تنشدها الواقعية الاشتراكية << أنجاز و إبداع يهدف إلى تطوير لا ينقطع لملكات الإنسان الفردية و التي لا تقدر بثمن، في سبيل انتصاره على قوى الطبيعة، و من اجل الحفاظ على صحته و إطالة عمره، و من اجل السعادة المثلى للحياة فوق الأرض بتوافق مع التطور الثابت لإنجازات الإنسان >> ②.

و نعثر على تصريحات مباشرة في مقدمة بعض الروايات كتبها الروائيون أنفسهم، فعن الواقعية الاشتراكية، نجد الطاهر وطار عبر عن البعد الوظيفي لروايته في مقدمة (اللاز)، حين يقول متحدثا عن مناسبة كتابة الرواية : << طيلة السنوات السبع (1965 – 1972) التي استغرقتها كتابة هذه القصة المتقطعة من شهر لآخر، كان يطغى علي الشعور بالذنب إن بلادي تسير إلى الأمام بخطى عملاقة، المدارس تنبت من الأرض نباتا و المعاهد تتطاول في المدن و القرى تطاولا ، و المعامل تثقل بآلاتها أرضنا

---

① – المرجع السابق،، ص 25

② – د.فيصل دراج: الواقع و المثال (مساهمة في علاقات الأدب و السياسة) دار الفكر الجديد، ط1، 1989 ،ص 105

شرقها و غربها و شمالها و جنوبها، و الإنسان في كل ذلك يتطور، و أنا مشدود إلى هذه القصة أتفرج عن الماضي، و لا أساهم في المعركة الحاضرة >> ①

فالرواية ليست إلا إسهاما في المعركة الحاضرة و هي الثورة الاشتراكية بأبعادها المختلفة، التي صورها " وطار" في < اللاز > في جزئيها الأول و الثاني، و تعبر عن الموقف الثاني < الواقعية النقدية > مقدمة رواية < عزوز الكابران > لـ" مرزاق بقطاش " ، و قد ربط فيها بين أحداث الخامس من أكتوبر 1988 و الحوافز الموضوعية التي دفعته إلى كتابة الرواية يقول: << قيل عن أحداث الخامس من أكتوبر1988 بأنها من صنع السلطة و أيا ما كانت الخلفيات و أسبابها ودوافعها، فإن الشعب الجزائري هب ليقول كلمته و يعلن رفضه لمحتكري الرأي الواحد >> ②

ولذا فقد قامت الرواية بوظيفة سياسية هي التعبير عن الأسباب الحقيقية لأزمة أكتوبر 1988 ، منتقدا السلطة الممثلة في الرواية و في النقد التطبيقي الروائي لا نجد اختلافا في المفهوم، يقدم محمد مصايف لنقد رواية < ريح الجنوب > بجملة من الدواعي لها علاقة مباشرة بالوظيفة الاجتماعية التي تقوم بها الرواية، يقول :<< لا يمكن الحديث عن هذه الرواية بصورة جزئية أولا لأنها رواية كبيرة لا يقل حجمها عن 266 صفحة، ثم لأنها

---

①-علال سنقوقة، المتخيل والسلطة(في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية) منشورات الاختلاف(د.ت)، ص 26

②-المرجع نفسه ، ص 26

تعالج موضوعا من أهم موضوعيات الساعة وهو موضوع الريف الجزائري بمشاكله و ذكرياته وأحلامه ثم ثالثا وأخيرا لأنها العمل الأدبي الأول الذي نظر إلى قضية الريف نظرة واقعية موضوعية تستحق التقدير والدرس >>① بهذه الفقرة يكون الناقد قد وضع النتائج قبل المقدمات النظرية و التحليل، و هو أمر كثير الورود في النقد الجزائري الواقعي الانطباعي.

ويقول واسيني الأعرج مدافعا عن الواقعية الاشتراكية:<< ... من هنا تظهر القوة اللامحدودة للتعبير في الواقعية الاشتراكية، التي تنتج لكل النماذج البشرية التعبير عن موقفها ووعيها وحالتها، من خلال واقعها الطبقي المعيشي...ولو كان الطاهر وطار غير الكاتب الواقعي الاشتراكي الذي يتعامل مع تفاصيل الحياة بعلمية، لما استطاع أن يكشف الوجه الإنساني في زيدان و لما تمثل أبعاد آلامه الرمزية بكل هذه القوة >> ②

إن الحكم على الأعمال الروائية حسب الآراء السابقة ينطلق دائما من الوظيفة السوسيولوجية و الإيديولوجية التي يبلغها النص الروائي واستمرت الواقعيتان: النقدية و الاشتراكية في الرواية الجزائرية إلى غاية منتصف الثمانينات :<< حيث برزت بعض الروايات الواقعية ذات وظيفة سياسية نقدية، تناولت أزمة الديمقراطية و الحرية الفكرية في ظل هيمنة إيديولوجيا السلطة الحاكمة القائمة على سلطة الحزب الواحد >> ③

---

①-المرجع السابق ،ص 27

②- واسيني الأعرج، الطاهر وطار،تجربة الكتابة الواقعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،ط1 1989، ص 49.

③- علال سنقوقة، المتخيل والسلطة، ص 27

وتعد الإيديولوجيا مكونا أساسيا في أي نص أدبي لأنها هي التي تكون بعده المعرفي، و إلا فإنه يستحيل كلاما مغلقا، لا يحمل أية دلالة معنوية فالإيديولوجية هي << التعبير عن الأفكار السياسية أو الدينية >> ① و هذا التعبير يأخذ منطلقات فكرية مختلفة، و مقاصد متباينة، و لذلك فإن الإيديولوجية لها أنماط متعددة و يميز بعضهم بين أربعة أنماط للإيديولوجية و هي : << نمط سياسي، نمط اجتماعي، نمط معرفي و نمط مشترك ...>> ② ، و تتوزع هذه الأنماط حسب دوافع و أهداف أصحابها.

ما يهمنا هو النمط السياسي، التي يكون محورها الأفكار السياسية و نجدها تشكل محور الرواية السياسية، و إذا جئنا إلى العمل الروائي، نجد الشخصية هي المعلم البارز الذي يقدم لنا الخطاب الإيديولوجي لأنه العنصر الأكثر أهمية حتى إن بعض النقاد يعتبرون كل شخصية كائنا حيا، لها الخصائص نفسها التي نجدها في الإنسان العادي.

ولكن النص الروائي ليس انعكاسا مباشرا للواقع، فهذا القول ينبع من فهم خاطىء لعملية الإبداع عموما و الإبداع الروائي خصوصا، ذلك لأن النص الروائي هو جزء من الحياة التي يعيشها الفرد في داخله، أو ما تعيشه الجماعة انطلاقا من مخيلة الروائي.

---

① - تزفتان تودوروف: نقد اللغة، ترجمة سامي سويدان، 1986، ص 106

② - عبد الله العروي: مفهوم الإيديولوجية، المركز الثقافي العربي بيروت،لبنان ،ط1 1996، ص 16

إن الرواية << لا تعكس إيديولوجيا الواقع و لكنها تندرج هي نفسها في الحقل الإيديولوجي لأنها مغامرة فكرية في خضم الصراع الإنساني >>①
فتغدو جزءا من الواقع السياسي الذي يسم مرحلة زمنية معينة، و هو مرتبط بطبيعة الحياة الإنسانية التي تفرز الإيديولوجيات المختلفة . وقد ارتبطت الرواية الجزائرية بالتاريخ ارتباطا وثيقا، خصوصا التاريخ الوطني الحديث الذي تجلى في النضال من أجل الديمقراطية ضمن الدولة الوطنية.

إن الروايات الجزائرية الثورية تشكل جزءا هاما من الإنتاج الروائي بداية من مطلع السبعينات ، << فقد ظلت الثورة هي المرجعية الإيديولوجية و الفنية ، التي تنطلق منها أغلب الروائيين الجزائريين >> ② ، ولكن في منتصف الثمانينات، بدأت تبرز أصوات روائية مختلفة في رؤيتها الإيديولوجية و الفنية، واختلاف أو تشابه النصوص الروائية في المرجعيات الجمالية و الإيديولوجية هو حصيلة حاصل لاختلاف المواقع التاريخية، و هو ما يغدو مهما تأكيد الطابع التاريخي للرواية الجزائرية<< إن فترة الاستقلال ترتبط بعلاقات وثيقة مع التركيب الاجتماعي في المراحل السابقة وأهم شيء كان يسيطرمع بداية هذه الفترة هو الحفاظ على الوحدة المنسجمة للمجتمع، مثل تلك التي كانت متجسدة في العهد السابق في تلاحم شعبي ضد المستعمر >> ③

وهذه النتيجة التي توصلنا إليها تنطبق على الرواية السياسية التي توظف الأفكار السياسية ذات المنشأ التاريخي وأسهم النقد الروائي

---

①- حميد لحميداني: الرواية المغربية و رؤية الواقع الاجتماعي، دار الثقافة، ط1 1985، ص 163

②- علال سنقوقة، المتخيل والسلطة، ص 48

③- حميد لحميداني: الرواية المغربية و رؤية الواقع الاجتماعي،ص 89

الإيديولوجي الانطباعي، و النزعة الواقعية في تشجيع الرواية ذات العلاقة المباشرة بالمسار التاريخي الوطني، فلم تكن هناك خلفية نقدية مختلفة، يمكن أن تثير أسئلة جديدة لدى الروائي الجزائريين و لا يمكن أن ننسى هنا الانغلاق الثقافي الاشتراكي الذي حجب عن النقد و الإبداع نوافذ إبداعية جديدة، كان يمكن أن ترفد الأدب الجزائري و الرواية بشكل خاص بروافد معرفية و جمالية جديدة.

و لذا فليس من الغرابة أن نقول إن كتابة الرواية السياسية أمر على قدر كبير من الصعوبة، ولعل هذا ما تنبهت إليه الرواية الحديثة، التي حاولت أن تخرج عن قواعد الرواية الكلاسيكية الواقعية واعتماد تقنيات أخرى، تجعل إمكانية خلق عالم المتخيل قادر على الإقناع و الإيهام أمرا ممكنا و يقدم لنا النص الروائي خطابا إيديولوجيا جاهزا للقارئ إضافة إلى الجانب الجمالي، فهو أداة في يد الكاتب للتعبير عن إيديولوجيته الخاصة << وقد تطورت معالم الجنس الروائي في هذه الظروف الاجتماعية و الثقافية و السياسية الجديدة، وظهرت النصوص الروائية الأولى خصوصا التي صدرت بين عامي 1970 و 1976 متأثرة بالواقع سواء ما كان منه التاريخي أو الاجتماعي، أو المزج بينهما و لعل إبراز اهتمام الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، في بدايتها إنما عبرت عن واقع

المجتمع الجزائري الجديد، انطلاقا من مواقع ماضية و بذلك هيمنت فكرة الهدم ثم البناء على جل كتابات الطاهر وطار و عبد الحميد ابن هدوقة >>①

تسعى الرواية في أعمال السبعينات إلى تجسيد الصراع بين التيار الاشتراكي و الشيوعي و التيار الإسلامي و يظهر الدين في سائر العمال بوصفه مرتكزا للتيار الإسلامي يؤوله بما يتماشى و أهدافه السياسية.

وتذهب بعض الأعمال و منها أعمال " الطاهر وطار " إلى نقل الخطاب السياسي الإيديولوجي باستعمال الشعارات الدينية و الآيات القرآنية، تماما كما تجري الأمور في الواقع، مما يجعلها في كثير من الأحيان عرضة للمباشرة و التقريرية، وكأن الرواية في هذه الحالة لا تكسب شرعيتها من أدبيتها، بقدر ما تكسبها بفضل الخطاب السياسي الذي تنحاز إليه و لذلك قد تصلح في كثير من المواقف وسيلة للدعاية السياسية أكثر مما تصلح للمتعة الفنية، و هذا أيضا ما يجعلها تتشابه سواء في أعمال الأديب الواحد أو بين أعمال مختلفين، ولقد ظهر التشابه بوضوح كبير في تجربة فترة السبعينات فيما عرف بـ < أدب الشباب > فهؤلاء كانوا في كثير من الأحيان يتخذون " الطاهر وطار " نموذجا للكتابة الاشتراكية و التقدمية لأنهم فتحوا أعينهم على كاتب يبدو إلى جانب الرئيس" هواري بومدين " أقرب إلى نموذج " ماكسي غوركي " إلى جانب" لينين " و أنهم كانوا يجربون الكتابة الأدبية تحت مظلة

---

①- طه وادي: دراسات في نقد الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1989 ص 66-67

الخطاب السياسي الإيديولوجي السائد و ليس ذلك الخطاب سوى الخطاب الاشتراكي الذي أصبح يقترن بالوطنية و التضحية من اجل تغيير أوضاع الطبقة الكادحة.

ومصدر هذا التوجه عند " الطاهر وطار " و غيره ، هو الاقتناع بوجود بذور اشتراكية في الإسلام، و كان هذا الفهم معطى سياسيا ، قبل أن يصبح ظاهرة أدبية ①

وقد رافق التعددية الحزبية المميزة للراهن الجزائري اعتبار حرية التعبير في الدستور حقا من حقوق المواطنة، و هذا يعني أن النص الروائي الحالي يتوفر قانونيا على حرية أكبر في التعبير قياسا بما كان عليه الأمر في عهد الحزب الواحد، مع العلم أن النص الروائي قد عانى من ظاهرة الرقابة إلى حد ما، و يكفينا أن نذكر بالمضايقات التي تعرض لها الحبيب السايح بعد نشره < زمن النمرود >، أو كيف أنه لم يسمح بتدول رواية < التطبيق > لرشيد بوجدرة في الجزائر إلا بعد انتهاء عهد " الرئيس بومدين" أو كيف انتظر السعيد بوطاجين سنة 1998 لنشر أول مجموعة قصصية في الجاحظية بسبب ما عانته قصصه المنشورة في الصحف الوطنية من مقص الرقابة أثناء فترة الأحادية الحزبية.

ولقد تميز المشهد الروائي الجزائري منذ سنوات السبعينات من القرن العشرين، بظهور و بروز نمط جديد من الكتابة السردية، الذي كان نتيجة

---

① – مخلوف عامر: تحولات الرواية، تحولات التاريخ، الملتقى الدولي التاسع للرواية عبد الحميد بن هدوقة، وزارة الثقافة، مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج، ط2006 ص 175 .

لمناخات الفتنة الجزائرية و هذا ما اصطلح عليه < برواية الأزمة > .

<< و هي رواية تتخذ من المأساة الجزائرية بؤرة سردها، فمنها تتولد أسئلة متنها الحكائي، و في ضوئها تتشكل مختلف عناصر سردها وإسنادا إليها تتخذ رؤى كتابها و مواقفها من الذات في علائقها بالآخر و العالم، و قد جسد هذا النمط المستحدث في خريطة الرواية العربية الجزائرية عدد مهم من النصوص اتخذ من المحنة الراهنة للجزائر منطلقا و مدارا و مدى >> ①

و يمكن أن نمثل لهذا النمط من الرواية الأزمة (المحنة) بروايات:

- الطاهر وطار : عودة الولي إلى مقامه
- إبراهيم سعدي : فتاوي زمن الموت
- واسيني الأعرج ، ذاكرة الماء
- جيلاني خلاص :الحب من المناطق المحرمة
- جيلاني خلاص :عواصف جزيرة الطيور
- واسيني الأعرج : شرفات بحر الشمال.
- عز الدين جلاوجي: راس المحنة.

فكل هذه الروايات و غيرها كثير، لكتاب جزائريين تعد نموذجا دالا على رواية المحنة، فهي تتحدث عن : الذات /الأخر، الحياة / الموت العشق / الرفض ، السجن /الحرية ، الذاكرة / النسيان.

---

① - د.بوشوشة بوجمعة: مجلة عمان، العدد 102، كانون الأول 2003، ص 30

و إن << الأزمة الحقيقية العظيمة ، ليست في الأنظمة الحاكمة و لا في الأحزاب التقليدية، و إن كان لها مشاكلها، إنما في قوى الطليعة القوى الأكثر جذرية في أحزاب المعارضة >> ①، وكذا ظهور ظاهرة الإرهاب، و التي لا تعتبر ظاهرة عارضة وافدة كما يتوهم الكثيرون، العارض الوافد لا يطول و لا يضرب بقوة فيأتي على الأخضر و اليابس ، بل الإرهاب له جذوره و أسبابه، و له منطلقاته و أبجدياته، << و هو راهن ذابت فيه القيم واغتيلت فيه الضمائر وارتفعت فيه أصوات الرشاش بدل الفكر و الإقصاء بدل الحوار >> ②، فهو راهن جزائري محاصر بملامح الفساد و الإرهاب و لم يجد المواطن الجزائري نفسه في عوالم المجد و الكرامة بقدر ما وجد نفسه في حالة غبن واغتيال.

❷- الواقع الاجتماعي:

امتلاك الراهن في الرواية هو تقديم الحركة الاجتماعية روائيا فالرواية مجتمع مصغر أو مقطع من مجتمع، إنها تحديد شبكة من العلاقات و تتالي أو تزامن الأحداث << والمجتمع ليس لغة للتواصل و التبادل بقدر ما هو علاقات قوى بين الأفراد و المجموعات، و هو نظام للإنتاج و التداول لا يكف عن إنتاج ما ، به يتحرك التاريخ من التفاوت أو التفاضل أو الاستلاب >> ③ ، و كما أن للراهن الاجتماعي جوهره وسياقه

---

①- عبد الرحمان منيف: الكاتب و المنفى، هموم و آفاق الرواية العربية، ص 260

②- وليد بوعديلة: في تفاعل المتخيل مع الراهن الجزائري ، جريدة الخبر العدد 4333، 03 مارس 2005، ص 21

③- علي حرب: أوهام النخبة، أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، بيروت الدار البيضاء،ط1 1996 ،ص 91

الحركة الاجتماعية العامة فإن للـراهن فـي الروايـة دلالتـه وجـوهره و سـياقه فـي مفهـوم الروائـي ورؤيتـه ككـل، إن أشخاصـا مختلفـين قـد يقـدمون استنتاجات مختلفة بناءا على ظاهرة واحـدة، و كـذلك الروايـة، كشـبكة علاقـات مشابهة لشبكة العلاقات الاجتماعية، تقـدم إمكانيـات تفسـير يتـدخل فيـه الخيـال والقصد حتما << إنها الواقـع الحقيقـي مكثفـا و مضـافا إليـه الفـن و الجمـال محتويا تفسير كاتب الرواية للواقع، إن هدف العمل الفني ينبثـق مـن العمـل الفنـي نفسه و التصوير الصادق للعلاقات الاجتماعيـة فـي الروايـة، هـو الـذي يشـير إلى الهدف الذي تتضمنه الروايـة، لأن التصـوير الصـادق للحركـة الاجتماعيـة هو رؤية للحركة الإنسانية في اتجاه حركتها >> ①

تنسج الرواية بناء ذهنيا متمـثلا لـراهن اجتمـاعي، ومـن هنـا هـي أكثـر تعقيدا من الواقع الاجتماعي، لأنها حصيلته و تكثيفه و تفسـيره مـن وجهـة نظـر مغرضة فعندما يكون الكاتب أمينا فـي تصـوير الواقـع الاجتمـاعي، فإنـه يقـدم للقارئ امتلاكا معرفيا للواقع، و من هنا يقـال لـيس الأدب مجـرد متعـة و شـكل متقن بل هو معرفة، فعلم الواقع شديد التعقيد ، شـديد الغنـى و متشـابك، إنـه كـل شبكة من التناقضات المؤتلفة و التي تصنع و تنسـج فـي صـدامها وتآلفهـا، فـي تفرقها و تجمعها، سـيولة الـزمن و شـكل المجتمـع أو حالتـه، و بـديهي أن أي تمثل أو امتلاك معرفي علمـي لهـذه السـيولة الزمنيـة الاجتماعيـة، إنمـا يجـب أن يكون فـي سـعة تـدفق هـذه السـيولة الاجتماعيـة وفـي غناهـا، أي يجـب

---

①- محمـد كامـل الخطيـب: الروايـة والواقـع، دار الحداثـة ، للطباعـة و النشـر و التوزيع، ش.م.م 1981، ص 17

أن يغوص ليلتقط الجوهر خلف المظهر، إن لم نقل يجب على مثل هذا التمثل الممتلك للواقع أن يكون في سعة هذه السيولة ، و في غناها و تعقيدها في ائتلاف تضادها الواقعي و في تشابكه.

و الرواية الجزائرية، تصور بالإجمال ، المراحل التي مر بها المجتمع الجزائري في حركته و توتره، و تناقضه واضطرامه << مما جعل هذه الحالات الطبيعية في حياة المجتمع تنعكس بدورها عل العمل الفني إن الخبرة المتبادلة و التشابك الدائم و التفاعل الحي بين الشخصيات و الواقع الاجتماعي و المعاناة السياسية، هي التي تشكل الظاهرة الواضحة لحركة بناء الرواية و نموها و تطورها >> ①

وعلى الرغم من أن الرواية تنطلق من دافع ذاتي عن توضيح شخصي إلا أن هذا المنطلق، ما هو إلا شرارة لكشف جماعي، إنساني، تريد أن تحفر في بنية الواقع في العمق، << و أن تنتصر لكل القوى المجاهدة من أجل الحق و جمال الحياة >> ②.

اهتمت الرواية الجزائرية أساسا بالموضوعات المتصلة بهموم الجماعة فالروائي الجزائري انشغل بوضع المجتمع أكثر منه بالهموم الشخصية و الذاتية سواء أثناء عهد الحزب الواحد أو أثناء التعددية، و هذه الميزة ناتجة عن النزعة الاشتراكية المرتكزة على خلاص الجماعة وأيضا

---

①- سيد حامد النساج: أدب التحدي السياسي في المغرب العربي،دار الرأي،بيروت(د.ت)، ص 194

②- دريد يحي الخواجة: إشكاليات الواقع و التحولات الجديدة في الرواية العربية، اتحاد الكتاب العرب 2000، ص 46

تحت تأثير اللاستقرار العام، هذا الأمر جعل شخصيات النص السردي الجزائري تتسم بمواصفات عقائدية، سياسية، اجتماعية أو طبقية أي شخصيات نمطية لكنها فقيرة من ناحية العمق الإنساني و النفسي، بحيث تكاد لا تملك عالما داخليا، فالرواية الجزائرية رسمت الإنسان من الخارج وأساسا بوصفه عضوا في جماعة إشكالية، أما من حيث هو كائن نفسي وذات فردية، فإنها لم تفعل ذلك بالقدر الكافي .①

إن بعض ما طرحته الرواية الجزائرية من توق إلى التغيير و التطهير قد تحقق فعلا في الواقع، و يكفي الرواية أنها صدقت واقعها، وسعت إلى تحقيق التغير الاجتماعي.

1- مفهوم التغير الاجتماعي:

يعرف التغير الاجتماعي، بأنه << مجموع مظاهر التحول و التبدل التي تطرأ على المجتمع، شريطة أن يكون ذلك التبدل و التحول طارئا على المجتمع، و يمس مكوناته التي تصنع من المجتمع و عناصره واقعا منظما: وهذا يعني أن التغير عندما يحدث، يتجلى من خلال تبدل و تحول الأبنية النسقية المختلفة التي تنشط داخل المجتمع و تحكمه سواء اقتصاديا أو سياسيا أو فكريا >> ②

---

①- إبراهيم سعدي:الجزائر كنص سردي الملتقى الدولي الرابع للرواية عبد الحميد بن هدوقة، وزارة الثقافة، مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج ط2001، ص 107

②- محمود الدغمومي: الرواية المغربية و التغير الاجتماعي، دراسة سوسيوثقافية، إفريقيا الشرق، 1991، ص 13

و التغير بهذا التحديد، لا شك، يختلف عن أشكال كثيرة من التحول و التبدل، في الزمان و المكان، فهناك تبدل أو تحول حضاري ... و هو تحول مستمر و يصعب حصره في الدراسة انطلاقا من مظاهر عامة قد لا تتوفر على صفة النسق أو صفة المؤسسة...فهو إذن تحول عام و نتيجة نشاط اجتماعي طويل الأمد يتجاوز حياة جيل، بينما يظل التغير حادثا ملموسا و ليس عرضيا و لا مؤقتا، و حادثا محددا بمكان و فترة زمنية معينة << لذا يتعذر القول بأنه مطلق الاختلاف و التحول و التبدل >> ①، لأن هذا القول لا يخرج عن إطار الشرح اللغوي لكلمة التغير و ليس تعريفا بالمفهوم الذي تحدده السيولوجيا كعلم.

وبدون شك، فدراسة التغير الاجتماعي إذن تستوجب بالضرورة أن الدراسة تتم من خلال تتبع أنظمة المجتمع الذي يصبح مجالها و موضوعها، و يتمثل ضمن فترة تاريخية مشخصا بنظامه الاقتصادي و الطبقي و الفكري والسياسي...أي كبنية كبرى لا تفهم إلا كحركة مجموع البني التي تتحرك أي تتغير قياسيا بحالات حركية سابقة << و تجعلها أبنية تتسع، تتعدل أو تتقوى، تارة بجعل الحركة حركة تحويل وتارة بإحداث توازن و تارة بإحداث إقصاء >> ②.

---

①- جلال مدبولي: الاجتماع الثقافي، دار الثقافة ، مصر 1979 ، ص 13

②- محمود الدغمومي: الرواية المغربية و التغير الاجتماعي، ، ص 14

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وإذا كانت حركة المجتمع حركة شاملة فإن التغير على صعيد أنظمة المجتمع لا يأخذ وتيرة واحدة، و لا يعمل بتوقيت واحد، إذ حصول التغير يتعلق بمدى استعداد البنى، و قابليتها و يتعلق أيضا بنوعية الإمكانات التي تؤثر ماديا عليها.

هكذا لا نستطيع أن ندعي أن التغير الذي يحدث في مجتمع مثل المجتمع الجزائري، يتم على غرار التغير الذي يحدث في مجتمع آخر وانطلاقا مما سبق، لا يمكن أن نعمم الأسباب أو نتوقع نفس النتائج ... و لكن ما يمكن الحديث عنه بهذا الصدد فقط هو الإشارة إلى عوامل مستقاة من دراسة المجال الثقافي، و الاجتماعي الخاص، و هي عوامل تحددت لنا إجمالا، بعد معاينة الواقع الجزائري بما يلي:

*** عوامل ترجع أساسا إلى فعل المثاقفة :**

و هي عوامل اتخذت صورا مختلفة، فنجد منها ما اتخذ:

- صورة استعارة (قبول)
- صورة تقليد
- صورة رفض
- صورة تعديل

*** عوامل ترجع إلى الموروث من الأنظمة الاجتماعية و الثقافية للمجتمع:**

و هي عوامل تعمل في صور مختلفة :

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- صورة دعم الرفض (تعويض)
- صورة ترميم و تكميل
- صورة تقييد و توجيه (مراقبة)

و هذه العوامل يمكن رصد حضورها البارز عبر الأنظمة الآتية :

- اللغة
- الإعلام كنظام تثقيفي و توجيهي (الرأي العام)
- المدرسة كنظام تربوي
- وسائل التقنية: النشر و الطبع
- القيم

*** وعوامل ترجع إلى الاختيارات الإيديولوجية المختلفة التي تعمل داخل المجتمع.**

إن العوامل المذكورة، كثيرا ما تتداخل لتخلق مظاهر من الصراع تارة، و تارة لتخلق التباعد و تارة لإنجاز عمل توفيقي و تبدو في أكثر الأحيان، عوامل تحديث و تنمية وأحيانا ردود فعل محافظة << و هي دائما تجد تعبيرا ماديا في شكل صناعة أو إنتاج ملموس، له شكل له شكل نظام جديد أو إعادة إحياء شيء كان ...>> ① كما تجد تعبيرا عنها وجدانيا وأخلاقيا وفكريا، داخل النشاط الثقافي بل وداخل الفكر السياسي و الديني أيضا.

---

①- المرجع السابق، ص 14

❸ - الواقـــع الثقافـــــي:

سعت الرواية العربية الجزائرية منذ بدايتها، فـــي إصـــرار لا يلـــين إلـــى أن تكون مرآة المجتمع المدني الصاعد، و ســـلاحه الإبـــداعي فـــي مواجهـــة نقائصـــه التي لا تزال إلـــى اليـــوم مقترنـــة بالتعصـــب و التخلـــف مـــن ناحيـــة و التســـلط و التطـــرف مـــن ناحيـــة أخـــرى، و كـــان ســـعيها جـــادا للحـــاق بالركـــب،... ركـــب الروايـــة العربيـــة، كتـــراكم روائـــي و كفـــن إبـــداعي لـــه خصوصـــياته و جمالياته.

وبذلك لم تـــتمكن الروايـــة العربيـــة فـــي الجزائـــر المهادنـــة، مـــن تحريـــر نوعها من هيمنة النوع الأدبـــي الواحـــد " الكلاســـيكي " والاتجـــاه الفنـــي الوحيـــد و التقنيات الثابتة، و هي بذلك التراكم لم تتوقـــف عـــن تجســـيد نفســـها، و تحريـــر مسارها بالخروج من ربقة التقليد، ومن قيد وســـلطة الإيديولوجيـــة فـــي أي ســـطوة فكريـــة أو فنيـــة تمـــارس القمـــع باســـم السياســـة أو الـــدين، أو التقاليـــد الأدبيـــة و لم تكف عن مناوشة كل تلـــك الجبهـــات، بحيلهـــا الأدبيـــة المتفاوتـــة و المتعـــددة لتصل إلى المواجهة الحقيقية و الصارمة لكل أوجه القمع في هـــذه الأيـــام التـــي لـــم يسلم منها أي كان من آثار العنـــف الـــذاتي << الـــذي خلفتـــه جماعـــات الإرهـــاب و التعصب في حياتهـــا، و فـــي خضـــم هـــذا المســـار الطويـــل، بكـــل تناقضـــاته استطاعت الرواية الجزائرية أن تصمد أمـــام الهـــزات الماديـــة و المعنويـــة و كـــل

أشكال القمع و التحبيط، لتكمل مسيرتها، و تؤكد رهانها لتشكل تراكما إبداعيا، حفظ لها مكانتها في مصاف الرواية الشرقية و المغربية، و أن تؤكد حضورها في كل المستويات >> ① .

وهذه الدراسة، سوف تحاول الإحاطة بكل تلك الحركية أفقيا و عموديا راصدة العملية الإبداعية من حيث هي تراكم أدبي، ومن حيث تلك الهزات و الثغرات التي ما فتئت الرواية الجزائرية تتعرض لها على مسارها العام وكل ذلك من عملية إحصائية و تحليلية :<< نقول إن العدد الإجمالي للروايات المبدعة إلى غاية 1999، أي نهاية العقد التاسع، بلغ تقريبا 131 نصا روائيا باللغة العربية، و على امتداد ما يزيد عن نصف قرن من الزمن نجدها موزعة حسب هذه العقود، على الشكل التالي : العقد الرابع: نص واحد العقد الخامس: نصان، العقد السادس: نص واحد، العقد السابع: اثنان و ثلاثون، العقد الثامن: ستة و خمسون نصا، العقد التاسع: أربعون نصا >>② وبذلك تحتل الجزائر مكانة محترمة بين باقي الدول العربية، لا تعكس وجه الحركة الإبداعية، و لا المكانة، التي يجب أن تتبوأها الجزائر، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار التراكم الروائي المخزون في رفوف المبدعين، ودور الطباعة منذ زمن طويل بالنسبة لكثير من الأدباء لصعوبة عملية النشر و الفوضى التي تسود هذا الركن في العملية الإبداعية في أي بلد

---

①- عبد الحميد بن هدوقة: كتاب الملتقى الدولي الثالث، أعمال وبحوث مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج ، ط1، 2000، ص 214

②- عبد الحميد بن هدوقة: كتاب الملتقى الدولي الثالث، أعمال وبحوث مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج ، ط1، 2000، ص 234

من البلدان يضاف إليها إشكالية القراءة (المقروئية) و هي إشكالية عويصة في الجزائر لها بدورها أسبابها و عللها، و هنا يجدر بنا أن نشير إلى القراءة المتخصصة و التي تعيش بدورها أزمة كبيرة، و أثرها في تطور العملية الإبداعية و خاصة لدى المبدعين الشباب، حيث تعد بمثابة الموجه و المدعم لهم ماديا و معنويا.

لقد أدى تطبيق اقتصاد السوق في مجال الثقافة، الدولة إلى التخلي عن دعم إنتاج النص الإبداعي، و تحول هذا الأخير إلى سلعة تحتكم إلى العرض و الطلب، فظهرت أزمة النشر، إذ أن غلاء المنتوج الإبداعي في ظل انتشار البطالة و التضخم المتزايد، ما لبث أن أصبح عائقا يحول دون تسويق هذا المنتوج، مما حدا بدور النشر إلى الامتناع عن طبع الأعمال الأدبية .

وهكذا ظهر لأول مرة في تاريخ الجزائر المستقلة النص الإبداعي المطبوع على نفقات المؤلف، و تحول هذا الأخير في آن واحد إلى مسوق و موزع لأعماله << وانجر عن ذلك أن النص الأدبي المطبوع صار لا يتعدى الألفي نسخة، و هذا في أحسن الأحوال بل حتى من حيث الحجم لم يتعد المئة و خمسين صفحة وأصبح المبدعون الجزائريون يولون وجوهم إما شطر باريس إن كانوا من كتاب اللغة الفرنسية، أو نحو المشرق لاسيما سوريا و لبنان إن كانوا من أصحاب الحرف العربي >> ①

---

①- عبد الحميد بن هدوقة: أعمال الملتقى الدولي الثالث،مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج ، 2000، ص 237

هذه هي حالة النص الروائي الجزائري في زمن اقتصاد السوق، زمن الأزمة و المحنة ، نص يبحث عن ناشر فلا يجده، و عن قارئ فلا يعثر عليه، نص في طور التأسيس من جديد، في رحم جزائر تعيد تشكيل نفسها بألم وأمل.

* التغير الثقافي:

نستخلص مما سبق أن التغير الاجتماعي، يظهر من خلال أشكال متعددة من الأفعال التي تمس قطاعات المجتمع، و ليس بوسعنا أن ننكر أن التغير الثقافي مرتبط ارتباطا جوهريا بكافة أشكال التغير الاجتماعي لكن هذا لا يسمح بجعل التغير الاجتماعي بالمعنى العام مرادفا للتغير الثقافي، لأن هذا الأخير قد ينفرد بجملة خاصيات، بل لا يجوز تسميته إلا بحصول تلك الخاصيات، و أهم هذه الخاصيات أن التغير الثقافي لا يمنح من احتفاظ المجتمع بالتراكم المنجز سابقا و الحرص عليه كتراث، بينما عدد من أنظمة المجتمع تنتهي بمجرد ما يحل محلها نظام جديد.

إضافة إلى ما سبق، فإن بعض أنظمة المجتمع قابلة للتحديد و الضبط بينما << أنظمة الثقافة يصعب حصر مكوناتها >> ① ... فهي إذن كنظام يتسم بالديناميكية و تنوع عناصر التشكيل، و التي بدورها تتسم بتنوع وظائفها وتأثيرها، و مستويات حضورها داخل المجتمع، و علاقتها بفئات المجتمع الشعبية و العالمة.

---

① – محمود الدغمومي: الرواية المغربية و التغير الاجتماعي، ص 16

فالتغير الثقافي إذن ليس من السهل رصده، بل هو << تغير يحدث بصور مختلفة وفق درجة تأثير العوامل المذكورة، و يختلف بحسب مواقع الثقافة، بل وأيضا حسب نوعية الأشكال الثقافية نفسها >> ①، وهذا يعني أن ما يسمى الثقافة الشعبية، رسما ورقصا وأدبا شفويا، لا تقدم نفس الصورة التي تقدمها الثقافة العالمة المكتوبة، المنجزة كأدب و فكر و سلوك (مثل الرواية) و لذا أصبح غير خاف أنه << من المتعارف عليه في علم الاجتماع الثقافي و المعرفي، التعاطي مع المنتوجات الثقافية و توزيعها إلى جملتين أساسيتين هما جملة الثقافة المركزية، و جملة الثقافات الفرعية >> ②.

وقبل أن تختص الرواية الجزائرية بخاصيتها الأدبية فهي شكل من أشكال الثقافة ، وهي بقدر ما تحصن نفسها كبنية ذات استقلال، تبقى واحدة من عناصر كثيرة تشكل بنية الثقافة ... و هي باعتبار ما سبق تتمثل لدى الباحث في سيولوجيا الثقافة بمحددات اجتماعية بوصفها :

1- إنتاجا ثقافيا، يشبه غيره من الإنتاجات الثقافية من حيث ارتباطه بالواقع الاجتماعي كنشاط يحقق التواصل و يقوم بدور مماثل لما تقوم به الأشكال الأخرى ن و التي ينتجها المجتمع و يستهلكها كشيء قابل للتداول.

---

① - المرجع السابق، ص 16

② - خليل احمد خليل : نحو سوسيولوجيا للثقافة الشعبية ، دار الحداثة بيروت ، 1979 ، ص 07

2- تعبيرا عن الواقع الاجتماعي من جهة الأفكار و الصور و المواقف المكتوبة و التي تشخص حالات عامة أو خاصة داخل المجتمع.

وعندما ننظر للرواية الجزائرية، كنصوص إبداعية، فإننا نجدها إنتاجا ماديا مرتبطا حضوره بالمجتمع و تغيراته، << و هذا ما يفرض إيجاد نقطة التقاء بين ممارسة الوصف و ممارسة الشرح و التأويل لموضوع واحد يظهر بصورتين مادية و رمزية في آن واحد >> ①

و هذا لا يتحقق إلا بالنظر إلى الرواية من خلال الزوايا الآتية:

- التراكم الثقافي الذي يحيط بها كسياق مختلف العناصر
- جملة العوامل و المواقف التي تقف وراء إنتاج الرواية بالجزائر واستهلاكها.
- شرح المعنى الذي تحمله الرواية بالقياس إلى الروايتين السابقتين.

ولقد تعاملت الرواية مع المتغيرات التي واجهت المجتمع الجزائري: اقتصادية و سياسية و إيديولوجية و ثقافية بصورة تكشف عن طبيعة درجة و شدة هذه المتغيرات في المجتمع الجزائري.

في ضوء ما سبق، نستنتج:

☜1- إن غلبة قضايا السياسة، ومشكلات الإيديولوجية على الرواية الجزائرية أمر طبيعي ، يحكم زخم قضايا الواقع و تعقد مشكلاته الفكرية و الاجتماعية و السياسية بعد التحرر من احتلال غاشم استمر مدة قرن و نصف تقريبا.

---

① - محمود الدغمومي: الرواية المغربية و التغير الاجتماعي، ص 18

☜ 2- جرأة الكتاب و الروائيين الجزائريين، و توجههم بقوة ، نحو كشف مواطن العفن، و مراكز الضعف في المجتمع، قصد تعرية الفساد الاجتماعي و السياسي و الثقافي ... و الدعوة إلى تغييره.

☜ 3- اهتمام الرواية الجزائرية بالسياسة انعكس على طبيعة القضايا التي تناولتها، حيث اهتمت بالعديد من القضايا السياسية مثل: العدالة الاجتماعية حقوق الإنسان، أساليب القهر السياسي، قضايا المرأة، المدينة، الريف... بما يعيني أنها تناولت بشكل أساسي المشكلات الناشئة عن ظلم النظام السياسي و الاجتماعي.

☜ 4- إن التحولات التي مر بها المجتمع الجزائري، سواء أثناء الثورة أو قبلها أو بعدها، كان لها وقعها الكبير، في تحديد مسار الرواية الجزائرية إضافة إلى التغيرات التي حدثت على المجتمع في السبعينات و كذا نهاية الثمانينات... فكل هذا أدى إلى تحول واضح للرواية الجزائرية، سواء من الناحية الشكلية أو المضمونية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

*** الروائي / استراتيجية الكتابة :**

إن قراءة نتاج الروائي الجزائري (عبد الحميد بن هدوقة) قصة و رواية ، قراءة نقدية جادة ، تجعلنا نصنفه ضمن النتاج الروائي الجديد الذي ساهم في تأسيسه نخبة من الروائيين الجزائريين وآخرين من مختلف الدول العربية.

إن اختيارنا لتجربة ابن هدوقة، ينبع من خصوصية الكتابة لدى هذا المبدع الذي أسس نوعا من المغامرة الروائية بمحاورته للأشكال التجريبية عبر التزامه ،فنسج عالما متفردا ، وإن كان هذا العالم الروائي يؤسس مجتمعنا ،ويحل عبر وسائط مختلفة مع مجتمع معرف تاريخيا و مكانيا.

إن الكتابة الروائية عند (ابن هدوقة) في حركتها و مسيرتها تبنت هذه الكتابة الجديدة ،وسعت إلى فتح آفاق التجريب على مستوى محاورة الموضوعات والأشكال والفضاءات ، والشخصيات ،وأصبح جوهر هذه الأعمال ،الألغاز ،الدهشة ،المغامرة ،الأحلام ،...

إن ثقافة الروائي (ابن هدوقة) وقيمه الإيديولوجية تحددان في كثير من الأحيان مساره الروائي وفلسفته الاشتراكية، حيث إن كل رواياته كانت تتسم بهيمنة العامل الإيديولوجي ،والمقصود بذلك أن استراتيجية الروائي (ابن هدوقة) لم تكن تتوقف عند حدود تقديم مادة جمالية تعتمد على السرد،بل كان يسعى كذلك إلى جعل القارئ يشاطره همومه السياسية

والعقائدية التي كان يعتقد أنها الطريق الصحيح إلى تغيير المجتمع وإلى تقدمه وحل تناقضاته لاسيما في فترة الحزب الواحد يقول ابن هدوقة في هذا الصدد < يجب أن يكون الكاتب الداعي لمثل عليا للمجتمع الذي يعيش فيه > ①، ويضيف في نفس السياق أنه < على الكاتب أن يكون ذا تأثير في مجتمعه > ②، وقد كان الكاتب (ابن هدوقة) شأنه شأن أبناء عصره ، يساريا متشبعا بقيم الفكر الاشتراكي،لاسيما أن المرحلة كانت متميزة بطابع الصراع الإيديولوجي بين الاشتراكية والليبيرالية.

وقد اهتمت كل روايات الكاتب (ابن هدوقة) بالموضوعات المتصلة بهموم الجماعة فالروائي ،انشغل بوضع المجتمع أكثر منه بالهموم الشخصية والذاتية ،سواء أثناء عهد الحزب الواحد أو أثناء التعددية ، هذه الميزة ناتجة عن النزعة الاشتراكية المرتكزة على خلاص الجماعة وأيضا تحت تأثير اللااستقرار العام، الأمر الذي جعل شخصيات النص السردي لروايات ابن هدوقة تتسم بمواصفات عقائدية ،سياسية ،اجتماعية أو طبقية أي شخصيات نمطية . وإذا عرفنا أن لكل روائي منظور يؤسس عليه عمله الإبداعي ،باعتبار أن الكتابة الروائية ليست قفزة في المجهول أو مغامرة عمياء ،يقول عبد الحميد بن هدوقة < عادة الكاتب عندما يكتب فللدفاع عن قضية معينة >③.

---

①- سعيد علوش <الرواية والإيديولوجيا في المغرب العربي>، دار الكلمة للنشر، ص 142

②- المرجع نفسه ، ص 143

③ - المرجع نفسه ، ص 144

هذا يعني أن عبد الحميد بن هدوقة ينتمي إلى تيار الأدب الملتزم وهو تيار تبلور أكثر في العالم المعاصر بعد قيام الاتحاد السوفياتي وانتشار فكرة الصراع الطبقي بين البروليتاريا والرأسمالية ، إلى جانب تيارات أخرى متنوعة ، كالفن من أجل الفن والأدب البروليتاري و الأدب البرجوازي و الأدب التقدمي والأدب الرجعي، وما إلى ذلك ورغم التزام هذا المبدع ،إلا أنه عبر هذا الالتزام نسج عالما متفردا ،تعانق فيه ما هو موضوعاتي بما هو جمالي وعبر تموجات الكلمة حاول الإلمام بمضامين حضارية وثقافية ،واجتماعية وسياسية وتاريخية ،واختار اللغة كأرضية لتشكيل وبناء عالم عجائبي ، أثار من خلاله قضايا سياسية واجتماعية وفكرية حول الإنسان ،هذا الكائن المفموع باستمرار①.

إن الروائي ابن هدوقة كتب خلال عشرين سنة، خمس روايات وعرفت الكتابة الروائية عنده مرحلتين متميزتين هما: مرحلة التأسيس ومرحلة التجديد والنضج ، وهاتان المرحلتان على الرغم من تباينهما فهما متداخلتان مع بعضهما البعض في نسيج فني معقد ومتشابك ، لأن كل هذه الروايات قد وضعت أقدامها على أبواب الحداثة في المستويين الجمالي و المعرفي ،فهي تنزع من خلال بنيتها ولغتها وكثافتها إلى خلق مستويات متفاوتة ،مستخدمة كل الأساليب السردية المعاصرة واللوحات الفنية المتنوعة ،للتعبير عن بيئتها وعصرها (تيار الوعي ،الرمز الأسطورة المناجاة، الأحلام، اللامعقول، أسلوب المذكرات والوثائق،...)

① - المرجع السابق، ص 145

يؤكد العديد من الدارسين على أن« ريح الجنوب »1971 تمثل البداية الحقيقية للرواية العربية الفنية في الجزائر ،ولعل ما يميز هذا العمل الفني الرائد في نظرهم هو تماسكه واستناده بشكل واضح إلى التراث الجزائري واهتماماته بالتصوير الفني للواقع ،وتحليله لهموم الفئات الاجتماعية المضطهدة(الفلاح ، المرأة ،...) ،إنها رواية ذات حبكة متقنة وإنجاز فني ناضج ، يطرح بكل واقعية وموضوعية قضايا حساسة عاشها المجتمع الجزائري غداة الاستقلال ① ،واللافت للنظر أن ابن هدوقة قد اهتم فيها كثيرا بالوصف ،حيث نراه اتبع دقائق الأشياء يقدم المكان الذي تجري فيه الأحداث من جميع جوانبه ،ويصف الشخصيات وألبستها و هواجسها بدقة متناهية، فهو ميال إلى تفصيل الجزئيات بشكل واضح ،و إذا كانت رواية« ريح الجنوب » قد اكتفت بالوقوف عند حدود الإدانة و التنبؤ ،فإن روايتي «نهاية الأمس » 1975 و«بان الصبح » 1980 ، قد تجاوزتا هذا الموقف بتحويل الصراع الخفي إلى مواجهة حقيقية و مخيفة بين الشخصيات التي ترمز إلى فئات مختلفة و متباينة. إنهما روايتان ترسمان بمهارة لوحة بانورامية ذات روافد عديدة لحياة الجزائر الاشتراكية ،عارضتين شخصيات مرسومة بدقة بعيدة عن التجريد الذهني و محتفظة بثقلها الواقعي،و بماضيها الممتد في حاضرها②

---

①- شريف عبد الواحد، تجربة ابن هدوقة الروائية، أعمال الملتقى الوطني الرابع ص 181.

②- المرجع نفسه ، ص 182.

والحق أن " ابن هدوقة " في هاتين الروايتين ،عرف كيف يختار شخصياته ،وكيف يختصر بعض الأحداث التي تثقل على القارئ و عرف كيف يتصيد الالتفاتات النفسية، و كيف يؤلف صورة حية عن المجتمع و يؤرخ لجيل كامل بآماله و آلامه، و ما تنطوي عليه نفوس الناس من بذرة طيبة تدعو إلى حب الخير و التطور ، نجده يستعمل في أكثر الحالات ، أسلوبا بسيطا جميلا متماسكا على الرغم من انه لا يخلو من التقريرية و الإنشائية.

إن روايات ابن هدوقة الثلاث ﴿ ريح الجنوب، نهاية الأمس بان الصبح﴾ والتي تشكل المرحلة التأسيسية على الرغم من أنها حققت الإرساء الأساسي للإنشاء الروائي في الجزائر، إلا أنها احتفظت بالمبنى الحكائي التقليدي، و لم تخرج عن إطار الرواية الكلاسيكية التي تعتمد على السرد والوصف إلى حد ما.

إن "ابن هدوقة " في هذه المرحلة الأولى، أضاف إلى قائمة النتاج الروائي الجزائري، و إلى الواقعية العربية أعمالا جادة مكنته من مواصلة الطريق و تشكيل رؤية جديدة لإعادة صياغة الحياة ①.

لا يختلف النقاد والدارسون على أن روايتي ﴿الجازية والدراويش﴾ 1983 و ﴿غدا يوم جديد﴾ 1992، تمثلان قمة جديدة غير مسبوقة في تاريخ الرواية الجزائرية المعاصرة ، فسواء تناولنا هاتين الروايتين من ناحية المضمون الإنساني المتعدد البعاد أو ناقشنا شكليهما الفني ،فهما تمثلان عملا متميزا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى .

① - المرجع السابق، ص 183

وفي الحقيقة إن كل واحدة من هاتين الروايتين تشكل مغامرة متفردة و مستجدة في بنائها و موضوعها ،إنها نقلة في تجربته الروائية من الشكل الكلاسيكي إلى المعمار الجديد ، بمعنى الدخول في مغامرة جديدة تستثمر أهم المنجزات التي حققتها الرواية العالمية في القرن العشرين.

روايتان شكلتا قفزة نوعية لتحقيق الطموح الهادف إلى تأسيس كتابة جديدة في الأدب الروائي الجزائري ، فعلى الرغم من التشابه التقني الذي يجمعهما فإن كل واحدة منهما تضيف عناصر جديدة تميزها عن الأخرى.

في رواية ﴿الجازية والدراويش﴾ يعود ابن هدوقة من جديد لاستثمار الموروث الشعبي ،وتضمينه بكثافة في البناء الفني، نراه يوظف هذا الموروث بطريقة فنية ،تجعل النص يفيض بمعان لا تحصى و دلالات لا تحصر ، معان و دلالات تتعدد قراءاتها و تتنوع ① ،دافعة القارئ إلى التأمل و التفكير و المشاركة في بناء العمل الروائي.

أما في رواية ﴿غدا يوم جديد﴾ فإنه يوظف تقنيات مختلفة تقربه كثيرا إلى الروائيين الأمريكيين المعاصرين " فوكينز ، دوس باسوس ... " الذين يميلون إلى كتابة الرواية المتعددة الأصوات ،و التي تستلهم فنونا مختلفة مثل : الرسم و الموسيقى ②، و هي رواية تتسم بالسحر و الغرائبية ،ومنفتحة أمام قطاعات بشرية عديدة ، اختزال لذلك السرد المطول الذي ساد في المرحلة الأولى ، واجتناب لذلك التدخل الفاضح

---

① - المرجع السابق، ص 187.

② - المرجع نفسه ، ص 188.

و إنما السماح للقارئ، باستقبال الحدث الذي تعبر عنه الشخصيات بكل حرية...لأنها رواية تعلن بوضوح عن شعريتها بما تحمله من إيقاع متميز و ما تتضمنه من قطاعات إيحائية.

والحق أن "ابن هدوقة " في هذه الرواية الأخيرة يهتم كثيرا بمسألة الشكل و البناء، ومسرحة الحدث مع إبراز العوالم الداخلية للأبطال والاعتماد على الوصف الفني الرفيع ،وغير ذلك من التقنيات الروائية الجديدة التي تسهم بشكل فعال في تقريب النص إلى ذهنية المتلقي وتفتح له المجال واسعا لطرح الأسئلة والاستفسارات ولعل أهم ما يميز الروائي في رواية ﴿غدا يوم جديد﴾ هو قدرته على ربط اللوحات المختلفة ربطا محكما وعبر سياق روائي حافل يتميز بالانسياب و الحيوية .

لقد حمل ابن هدوقة إلى الرواية الجزائرية أشكالها الجديدة ،وتميزها فهو لم يستغل تقنيات السرد المختلفة فحسب وإنما جهد لإنجاز المعادلة الصعبة ،الربط بين الفن الجديد ومستجدات الحركة الاجتماعية والسياسية والثقافية في الجزائر. لقد استعان بكل الأدوات التي أتاحها له امتيازه لينتهي إلى صياغة أعمال أصيلة ذات نسيج ، تتضافر على حبكته خيوط وألوان مختلفة ، أعمال رائعة تدل على أصالة في الفكر وعمق في الثقافة ورفاهة في الحاسة الفنية للتصوير وحنكة في المعالجة وروعة في الخيال.

لقد استطاع هذا الروائي أن يفلت من قبضة السرد الكلاسيكي ليستقر في نهاية المطاف، على شكل فني منفرد وممتاز له خصوصيته

الجزائرية، جاعلا من أعماله تاريخا خاصا يسجل ما لم تذكره سطور المؤرخين أو مقالات الصحافيين، إنه شكل يمزج بين الواقع و الفن كتابة جديدة لا تحدها الأشكال الجاهزة، بل تفتح نفسها على المتلقي وتدعوه إلى المشاركة في بناء النص الروائي.

لقد اكتملت رؤيته الإنسانية في وحدة متشابكة ، متكاملة ،وتعددت وسائل تعبيره عن هموم الجزائر الجديدة ،الوصف الفني،والتحليل الدقيق والتعليل الذي لا يقف بالقارئ عند حدود التسجيل ،وإنما يغوص داخل النفس و في أعماق المجتمع ،ويرفرف في سماوات التراث والأساطير والحكمة ،واللغة المتنوعة التي ترتدي الأقنعة الرمزية الشفافة و تتدفق في رحلة ملحمية أو مغامرة اجتماعية مثيرة ، أما محتوى الاشتراكية التي يشير بها أبطال ابن هدوقة والتي تمثل المادة الأساسية لرواياته الخمس فإنها مزيج من الليبيرالية والنزعة الإنسانية والمذهب الفوضوي ... << وهذا الغموض في رؤيته الإيديولوجية والفهم المتشائم للثورة، وبالتالي لسير التاريخ، جعلاه كثيرا ما يحشر أبطاله من المثقفين خصوصا في المنافذ المسدودة >> ①.

و نستطيع القول إن روايات الكاتب الجزائري " عبد الحميد ابن هدوقة " تحمل في طياتها ثنائية القمع والهزيمة فنصوصها ، هي نصوص للقمع المسلط على المثقفين وعلى الشعب ،من خلال قمع حرية الفكر والتعبير

---

①- سماح إدريس: المثقف العربي والسلطة، ص 55

والجدل، و تقزيم رسالة المثقف ،ووضعه في مواجهة أحداث أنواع الاضطهاد من خلال ممارسات التهميش ،والنفي والسجن والتصفية الجسدية.

نصوص ابن هدوقة ،هي أيضا نصوص للهزيمة التي تحمل في بادئ أمرها معنى الهزيمة ،التي كانت مسؤولية الحكام بالدرجة الأولى ثم تبدو الهزيمة من خلال جملة الانكسارات المتتالية:

- فهناك انكسار اللغة الروائية، من خلال القاموس اللغوي المشحون بعبارات الحزن والخيبة والمرارة، و التي كانت في غالبيتها لغة قلقة متوترة ، حائرة.
- ثم انكسار الشخصيات من خلال بناء الحدث الروائي، حيث نلمح ذلك التمزق الذي يستوطن أعماق الإنسان و يتجسد من خلال الانكسار النفسي أمام فجائع الموت والانكسار المادي الذي يتجسد في حرمان الإنسان من حقه في الحياة الكريمة.
- كما تتجسد الهزيمة في انكسار المبادئ من خلال انكسار الحقيقة /الألم، في مجتمع مهزوز القيم، يحكمه مبدأ المصلحة الذاتية و تخدره الأكاذيب و الشعارات والخطب الجوفاء.
- وأخيرا انكسار الحلم أمام لغة المستحيل ،الحلم الذي تتطلع إليه الجماهير، ويراه ابن هدوقة في إعادة تشكيل الواقع وفق رؤاه وفي نطاق قراءاته الواعية للمستقبل.

وقد انعكست رؤيته هذه إبداعيا في تصوير الواقع تصويرا هادفا يظهر فيه تعاطفه مع بعض شخصياته الروائية ، ورفضه لأخرى، فشخصيات عبد الحميد ابن هدوقة تعكس أشكال الصراع الموجودة في المجتمع : صراع بين التقدم و التخلف ، بين العلم و الخرافة ، بين التحرر والاستغلال ، بين المرأة و الرجل ، أي باختصار بين التقدمية والرجعية وقد كرس الروائي جهده لطرح قضايا المجتمع الجزائري سواء أثناء الثورة التحريرية أو قبلها أو بعدها، و من هذه القضايا : مشكلة المرأة الإصلاح الزراعي، الصراع اللغوي، الممارسات الإقطاعية والخرافية و الرجعية بصورة عامة، وهي مشاكل مجتمع يتحول و يتغير في إطار تناقضات شتى، بعضها من مخلفات الاستعمار، وبعضها موروث وبعضها ناتج عن التحول نفسه، << لأن جوهر الأدب في نظر ابن هدوقة لا يكمن في رسالته الأخلاقية أو السياسية فقط ، بل يكمن أيضا في تكريس القيم والأخلاق السائدة وعلى العكس من ذلك تدميرها لإقامة القيم الأخرى على أنقاضها>> ①.

وخلاصة القول، أن الروائي " عبد الحميد ابن هدوقة " قد أسهم في توطين و تطوير الرواية الجزائرية، فقد عالج فيها مواضيع لصيقة بالحياة وبالمجتمع، فكان موضوع الريف الجزائري ،بمشاكله وذكرياته، وأحلامه حاضرا في كل رواياته، وقد ربط إبداعاته بحركة تطور المجتمع عبر مراحل مختلفة، فساير بذلك عصرا بعينه ، وجيلا

---

①- المرجع السابق، ص 184.

برمته، وهذا بمختلف نجاحاته وإخفاقاته، آماله و آلامه ، وكل حياته الأخرى فكان معلما أحيانا وفنانا أحيانا أخرى .

أما فيما يخص فترة الثمانينات، فإننا نلمس انعطافا واضحا في مسيرة الرجل، وفي آرائه وأفكاره، وهذا من خلال ﴿الجازية والدراويش﴾ والتي نلمس فيها مساحة من التأثر والأسى للتخلي عن المبادئ والمشاريع التي تحمس لها المجتمع آنفا، حيث تبخرت أحلامهم وآمالهم كما تنبئ هذه الرواية بغد مخيف، ومستقبل يغيب فيه العقل و تحكمه قوانين جائرة، وهذا الغد هو الذي تجسد إبداعيا من خلال رواية ﴿غدا يوم جديد﴾ حيث صدقت بنوءة " ابن هدوقة " وشهد المجتمع الجزائري فترة من أحلك الفترات في تاريخه، وقد أثر ذلك على البناء الفني للرواية، حيث حملت << سمات الرواية الجديدة التي تتداخل فيها الأزمنة، و يعايش فيها الماضي الحاضر ويتم فيها انتهاك القواعد السردية واختراقها بجرأة >>①.

وبين هذا و ذاك كان " ابن هدوقة " دوما مرتبطا بالمجتمع الذي ينتمي إليه وظل وفيا لتراثه و أصالته ،كل ذلك جاء واضحا وتجلت معالمه من خلال التوظيف المتواصل للتراث الشعبي في كل رواياته، وكذا انتصاره لكل ما هو تاريخي وجميل، وهذا ما عمق الهوة بين الأفكار الاستعمارية والأفكار الوطنية من جهة ،وبين الأفكار القديمة و الأفكار الحديثة من جهة أخرى.

---

①- ميشال بورتور: بحوث في الرواية الجديدة، ص 88

ثانيا: قضايا الرواية :

أولا: القضايا السياسية الثورية:

إن عنوان رواية " عبد الحميد ابن هدوقة " الأخيرة ≻ غدا يوم جديد≺ يمثل الاستمرارية لعناوين رواياته السابقة، والتي توحي كلها بشيء من التفاؤل والإيجابية والنظر إلى الأمام والغد يوحي ظاهريا بالمعاني الإيجابية، لما في هذه الكلمة من استشراف وتطلع نحو المستقبل، إلا أن الكاتب في روايته هذه يريد أن يكشف شيئا آخر، ذلك أن معرفة حقيقة هذا الغد الجديد وما يحمله في باطنه، أمر مبني على مستوى إدراكه لواقعه ،وما يتصف به هذا الواقع من كمال وواقعية أو تشويه و تحريف، فالكاتب يبدي لنا صورة قاتمة و مرعبة لهذا الواقع ،ذلك أنه ألف الانطلاق من واقع ينمو و يتطور، ثوريا مع الحركة التاريخية للمجتمع الجزائري << وهذا ما جعله يكتشف فجأة أن أحلامه وطموحاته قد تبخرت وأن مستوى إدراكه لمراحل تطور واقعه ضعيف لأنه ما يزال يخطو في عالم الفكر ،فيما الواقع يخطو بعيدا عن هذا الوعي >> ①.

... إن الواقع الجزائري عرف في السنوات الأخيرة العديد من المتغيرات التي زلزلت كيانه و طمست حقيقته وامتدت تأثيراته المأساوية لتشمل مختلف المستويات البنائية حيث ضاعت الأشياء المألوفة وسط ركام من التهويل والظلال وأصبح كل شيء على حافة الانهيار، وأصبحت كل

---

①- عمار زعموش: < غدا يوم جديد بين الإدراك والانهزامية >، أعمال الملتقى الوطني الثاني ،الأدب الجزائري في ميزان النقد،جامعة عنابة ماي 1993 ،ص 100

المؤشرات تنذر بعمق المأساة فقد اختلطت الأزمنة المختلفة داخل التجربة الشعورية للكاتب فأصبح الماضي يعيش إلى جوار الحاضر والمستقبل علامة استفهام وهذا ما جاء على لسان مسعودة الراوية << هو الأمس ... نبحث عن غد فنجده الأمس >>①.

وبما أن الغد أو المستقبل لا ننفذ إليهما إلا من خلال الحاضر فالكاتب يرى:<< أن الأحداث المستجدة عندنا وعند غيرنا تريني الغد رهيبا، ولو أني لست من أهل الغد...وإني خائفة لا أعرف كيف أصور لك خوفي أشعر كما لو أن البحر أخذ يطمو أعلى فأعلى حتى بلغ مشارف الأبيار! تصور المدينة وقد طما عليها الماء ، إنها حالة رهيبة، فما بالك إذا كما عليها الحقد ...أود أن أبتعد عن هذا الحاضر...إلى الماضي النير الوضاء >>② ،لذلك كانت رحلة البطلة مسعودة في اتجاه استعادة الماضي الذي انطوى هربا من الحاضر المحدب الرديء وهذا عن طريق توظيفها للخيال والحلم :<< فوظيفة الخيال لا تنحصر في التعويض عن الفشل فقط وإنما تتعدى ذلك إلى النظر إلى المستقبل من أجل توسيع الإدراك الحالي للفرد >> ③، و هذا ما جاء على لسان الراوي:

أبحث عن النهار لماذا تأخر

لماذا تأخر!

---

①-عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد ،منشورات الأندلس، الجزائر،1992 ،ص 203

②- المصدر نفسه ، ص 181

③-كولن ولسن:المعقول واللامعقول في الأدب الحديث، ترجمة أنيس زكي حسن ،منشورات دار الأدب ،بيروت (د.ت) ، ص 237

الزمن الماضي لم يغادر

هو سفر في الزمن

بلا زمن ①

وإذا كان الغد والمستقبل كما يبدو من العنوان هما المحوران الرئيسان للرواية ،فإن الكاتب ينظر إليهما من خلال ثقوب الواقع المعيش الأمر الذي جعل هذا الواقع بكل أشكاله وألوانه و متناقضاته يدور في فلك هذا المحور سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة << ولأن الواقع الحاضر نخره الفساد وتخلخلت فيه القيم و تمزقت فيه الأوامر بين العام والخاص والاجتماعي و الفردي والفكري والحسي ،فقد غدت الكتابة تعبيرا عن الرغبة الذاتية في التغيير والمعرفة في كثير من الأحيان أشبه بالمستحيل >> ②.

و هذا ما جعل رؤية الكاتب تتسم بالإنهزامية أمام بشاعة هذا الواقع الراهن الذي يتطلب فعلا ثوريا إيجابيا يفوق من حيث القوة الفعل الذي ولد الأثر السلبي ،حتى يتمكن من تغييره وتوجيه الحركة الحية فيه ، ولكن الكاتب وهو لا يملك أي بديل تجاوزي يقاوم به الضغط الاجتماعي ،لم يجد أمامه إلا الاكتفاء بتشخيص المرض وتحديد مواطن الداء لأن الواقع كان أقوى بكثير ،وبالتالي كانت مرحلة الاستفاقة والندم والإحساس بالمرارة تعصر حلقه لاسيما حينما يشعر بأن دوره التاريخي بدا يفقد

---

①- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 7-8

②- محمد مصايف:فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث ،ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،1981،ص 121

مشروعيته، وأن ما كان يناضل من اجله لم يتحقق ،فحاول جاهدا نسيان ما حدث ،والبحث عن هوية جديدة ،لكنه لم يفلح ،وتزيد المرارة حينها ويزيد السقوط ويزيد الشعور بالألم والإحساس بالقلق والخوف فيصرخ على لسان مسعودة الرمز قائلا: << عندما يتوقف الفكر تشتغل الذاكرة...عد بي إلى الماضي إن الحاضر لا يتغير >> ①، وسبب العودة إلى الماضي كما يقول : << لا أكتمك إنما يدفعني إلى الماضي هو رداءة هذا الحاضر وأزماته >>② .

فالكاتب هنا يتبع طريقة خاصة في سرد الأحداث التي تسير ضمن حيز زماني يتفرع و يتشكل من جديد أي يعيد نفسه غصبا ، على الرغم من التداخل والتشابك والاختلاط في أزمنة يتقيد بها الكاتب وتسير إلى جانبها الرواية << فيختلط فيها الماضي بالحاضر والمستقبل حتى تصبح العلاقة بين مختلف تلك الأزمنة علاقة تأثر و تأثير③.

ومعنى هذا أن ماضي البطلة مسعودة ينمي شخصيتها في حاضرها ومستقبلها، فحاضرها إنما هو تسلسل طبيعي لماضي قد عاشته طفولة وصبى في القرية والمدينة، قبل الثورة وأثناءها ،وبعدها << وفي هذا الصدد يبرز لنا الموقف من الزمن والتجربة الزمنية،سواء على صعيد الوعي أو على صعيد الكتابة ،وما تقسيم النص إلى ذلك التقسيم الدائري إلا مثالا على ذلك ،وتنكشف لنا من خلاله دورية الزمن :

---

①- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 253

② - المصدر نفسه ،ص 73

③- فوزية الصفار:أزمة الأجيال العربية المعاصرة نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ،1980،ص64

الحاضر امتداد للماضي بل هو امتداده السلبي وحصيلته التطورية ①
ولهذا فالهزيمة تكون طبيعية في هذا المجرى ،وأن هذا الفشل لا يعكس انتهازية السلطة فقط، وتمويهها للمواطنين بقدر ما يبرز الضعف البشري عامة ،وسذاجة بعض التكتيكات الثورية المتذاكية خاصة.

ويعبر ابن هدوقة عن هذه الفضاءات الضيقة من خلال عملية البحث عن أكثر المفردات دلالة وتعبيرا عن الفقد ، فقد الديمقراطية ،يكتب إلى مختلف فئات الشعب ،وكله أمل في أن تحقق كتاباته استجابة لدى الجماهير ،وتجسد الشوق الأبدي إلى الحرية وإلى الانعتاق ، ولاسيما من خلال توظيفه لقصيدة النثر<< فالقصيدة ودون شرط الديمقراطية لا يمكنها أن تحقق ذاتها كقصيدة حرة أو متحررة ، لأن القصيدة هي نتاج الشاعر ،والشاعر هو نتاج المجتمع يعمل فيه السياسي، والاجتماعي والثقافي والاقتصادي،...فمن خلال هذا كله يتشكل وعي الكاتب، وتتشكل القصيدة التي تطمح أن تكون قصيدة حرة بالمعنى الحقيقي الذي تعنيه كلمة حرية >>② .

ومن هنالك كان الماضي بمثابة الملجأ الذي يحتمي به الكاتب من الحاضر وأزماته << أتحدث عن أشياء وأريد أخرى ،إنها مرحلة من هذه المراحل التي تزهدك في أحب الأشياء إليك >> ③.

---

① – سعيد يقطين:انفتاح النص الروائي المركز الثقافي العربي ،بيروت الدار البيضاء ط1 ،1989 ، ص82

② – زينب الأعوج:الديمقراطية وعي المجتمع وحلم الكتابة ،ص28

③ – عبد الحميد بن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 107

ورغم انتماء رواية ﴿غدا يوم جديد﴾إلى فترة ما بعد الاستقلال، إلا أن ظل الثورة الوطنية ظل يؤثر في الكتاب الجزائريين بصورة عامة وعبد الحميد ابن هدوقة بصورة خاصة ، حيث اتخذوا من ريشاتهم وسيلة لرصد معالم هذه الثورة، وكذلك معالجة قضايا ومشاكل مجتمعهم ،فأطلقوا لها العنان فكانت خير معتبر ،ونعم المصور لهذا الواقع الذي هل على الجزائر بوجه جديد .

"عبد الحميد ابن هدوقة " بوصفه واحدا من أبناء هذا الوطن فقد اهتم بمختلف قضاياه، مركزا أكثر على حدثين هامين أولهما: هو استعداد فرنسا للاحتفال بالذكرى المئوية على احتلها للجزائر (1930) وهذا ما تحدث عنه الراوي على لسان الحاج أحمد قائلا: << الناس لا يريدون الاحتفال وفرنسا تريد أن يحتفلوا ويدفعوا مصاريف الاحتفالات >> ①

وثانيهما: يتمثل في أحداث أكتوبر (1988)، وهي أحداث دامية أدخلت البلاد في سنوات الخراب و الدمار،وقد انعكس ذلك على نفسية الأدباء الجزائريين عامة وابن هدوقة خاصة ،وقد كانت هذه الأحداث الحافز المباشر الذي دفع بالراوية مسعودة لأن تقص سيرة حياتها على الكاتب وتطلب منه أن يدونها بقلمه << أكتوبر أنطقني، أكوام الزجاج التي ملأت الأنهج ،أدخنة السيارات والبنايات المحترقة ،أزيز الرشاشات والبنادق

① – المصدر السابق، ص46

والدبابات، ذكرى 11 ديسمبر وأيامـا أخـرى... لكـن دمـاء أكتـوبر سـالت في الشارع الذي بنته الرذيلـة والنسـيان، دمـاء ديسـمبر سـالت فـي الحلـم الأخضر و ذلك هو الفرق ! لا بد أن لا تنسى هذا >> ①

*** الحضـــور الثـــوري:**

ضمن "عبـد الحميـد ابـن هدوقـة " روايتـه صـورا صـادقة فعالـة عن واقع الثورة التحريرية ،فركـز عـن اسـترجاع أحـداث وبطـولات هـذه الثورة ،حيث نجده يصف لنـا أحـد الشخصـيات التـي قامـت بـدور فعـال في مقاومة الوجود الاستعماري ،ورفـض الأوامـر الفرنسـية وهـي شخصـية "المخفي بن المرابط" والـد الشخصـية المحوريـة " مسـعودة " راسـما إيـاه على لسان خديجة :<< التحق بالجبل مـن الظلـم وشـيب رؤوس الكفار،كـانوا يرونه في كل مكان، وقرأ في الدنيا كلها >>②.

فبين من خلال هذا الوصف لشخصية " المخفي" مـدى جـرأة وشـجاعة هـذا الرجل الثـوري الـذي تصـدى للاسـتعمار بشـتى الوسـائل ومـدى وفائـه وإخلاصه لمجتمعه ولوطنه،فحلمه كان تحرير الـوطن مـن قبضـة المسـتعمر وهذا ما عبر عنه الراوي قائلا: << كـم كـان جمـيلا المخفـي ! تغنـت بـه فتيات الدشرة ،لكن المخفي كان فـي رأسـه أغنيـة أخـرى لا تعرفهـا سـوى الجبال! حلمـه كـان أكبـر مـن الغراميـات...يحـب كـل النـاس الطيبـين والمسحوقين ،صوره أحد القرويين تصويرا لا تصل إلى تحقيقه ريشة .

---

①- المصدر السابق، ص 14

②- المصدر نفسه ، ص115

الرسامين ،ولا أقلام العاشقين ،إذا أردت أن تعرف من هو المخفي بن المرابط ،أصفه لك :رأسه أخضر وقلبه أحمر ولسانه أسمر >> ① وقد سمي بالمخفي لأن عمله يقتضي السرية ،وقد دوخ فرنسا بأفكاره التحريرية ومبادئه الوطنية ، حتى بات يشكل خطرا حقيقيا على السلطة الفرنسية ،جاء ذلك على لسان العريف الفرنسي :<<المخفي ذلك المخرب الذي لو لم يلق عليه القبض بواسطة المخلصين لفرنسا من الأهالي ولو لم يمت في حادث المتفجرات بالمحجر لأشعل حربا أهلية حقيقية بين الفرنسيين >>② ،وهنا ندرك أن حادثة موت المخفي في المحجر لم تكن صدفة وإنما كانت متعمدة عن طريق وشاية تلقتها السلطات الفرنسية من أحد عملائها من الأهالي ، أو ممن يعملون في الإدارة الفرنسية من الجزائريين الانتهازيين ،أمثال عزوز، والقائد والدر كي الجزائري الذي كان حاضرا أثناء استنطاق قدور في المحجر ،والذي حاول جاهدا أن يحول دونه ودون إطلاق سراحه ،يقول الدر كي الجزائري مخاطبا الرئيس :<< عندي أنا شاف (رئيس) كل العرب يكذبون ! لا ينبغي تصديقهم و لا تصديق حتى بطاقاتهم المدنية ،أنت تعرف كيف يعملون في مكتب القائد ،شاهدان زور ،ويتم الموت أو الحياة >>③.

القائد كان عميلا لفرنسا ،يقتل من يشاء بدون عقاب ،سبب له ابنه مقران مشاكل مع معلم المدرسة، ولو لا الخدمات التي قدمها لفرنسا لجرد حتى

---

① - المصدر السابق، ص 93

②-المصدر نفسه، ص60

③- المصدر نفسه، ص60

من برنوس القيادة لأن برنوس فرنسا صعب لباسه و سهل نزعه ، وهنا نلاحظ تلك النزعة الاستغلالية التي ظهرت إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر،حيث تمكنت السلطات الفرنسية من شراء ضمائر بعض المواطنين السذج والانتهازيين مقابل مكاسب مادية، وجعلتهم يتنكرون لقضيتهم مقابل تلك المكاسب الدنيئة ،ووصلت بهم الجرأة والدناءة حتى إلى الوشاية بإخوانهم الوطنيين بل إلى أبعد من ذلك...فحتى القتل والتعذيب عندهم صار مباحا، وهذا ما فعله القائد، وكذلك عزوز ذلك الانتهازي الذي يفعل كل شيء مقابل الحصول على مبتغاه، فهو كما جاء على لسان الراوية :<< يبيع أمه لو كانت له أم >> ①، و هو لا يؤتمن حتى من قبل السلطات الفرنسية نفسها جاء ذلك على لسان الدركي : << إن عزوزا نفسه خبيث لا يؤمن ،هو صديق القوي ، غدا إذا وجدك بلا قبعة رسمية لا يقول لك بون جور >> ②.

***غدا يوم جديد ...خطاب إيديولوجي:**

اتسمت الرواية بطابع سياسي، جعل منها أداة للتحريض والنضال ضد النظام الإقطاعي، الاستعماري الذي كان سائدا وبالتالي فقد كانت تلك الكتابات تؤكد بشكل غير مباشر، الحاجة إلى تحقيق تغير اجتماعي وسياسي جذري ينقل البلاد من حالة التخلف والظلام إلى حالة الرقي والتقدم والأنوار المضيئة، ومن هنا جاءت مساهمتها في خلق

---

①- المصدر السابق، ص 93

②-المصدر نفسه، ص60

وعي عميق بالحاجة إلى التغيير ،وضرورة إدانة كافة مظاهر التخلف والاستغلال والعبودية، <<والعلاقة بين الراوية وبين قضايا السياسة برؤية شمولية ،وطريقة حادة ساخنة تبدأ مع ظهور الرواية الواقعية في الأدب العربي الحديث مع نهاية الحرب العالمية الثانية أو بعدها بقليل>> ① ،حيث حاول هؤلاء الكتاب الباحثون عن ملامح الديمقراطية المسروقة أن يبينوا أن الوعي الحقيقي هو الوعي بالواقع في كل أبعاده << فالواقعية تعني رؤية شاملة من الكاتب إلى جميع عناصر تجربته حيث تكون انعكاسا صادقا للواقع الذي تعبر عنه، والأدب الواقعي أدب ملتزم يتعدى السخط والاحتجاج...إلى مناصرة القيم الصاعدة والفئات المكافحة من أجل الإصلاح والتغيير②.

فرغم كثرة الأسئلة التي يطرحها الواقع في ضياعه وضبابه وانغلاقه داخل يأسه وهزيمته ،فإن هذه الأسئلة ما تلبث أن تتراجع كي تصب في سؤال أساسي هو الديمقراطية، الاستبداد ،الحرية ،القمع والتجديد... تجديد الحياة وتجديد الكتابة، فالبنية في رواية« غدا يوم جديد» هي بنية حلم تنتهي إلى انكسار عبر مخاض ثوري عسير تخوضه البطلة مسعودة وغيرها من الشخصيات الأخرى << المدينة التي حلمت بها لم تكن سوى زيف ! ما اخترعه أهلها لم يسعدهم إنما زاد في شقائهم وضعوا الأغلال في أعناقهم وسموها قوانين ،قتلوا الأطفال قبل أن يولدوا باسم التوازن السكاني وقتلوا الأطفال بعد ما ولدوا باسم الأمن !

① – طه وادي:الرواية السياسية ،ص 108

② – زينب الأعوج : وعي المجتمع وحلم الكتابة ،مجلة الثقافة (مجلة تعني بالفكر والفن والأدب)،تصدرها وزارة الاتصال الجزائر ،ع 2 أكتوبر 1993، ص27.

المدينة ليس حلما إنها كابوس، أضواؤها كلها اصطناعية زائفة، كل ما فيها مجند لاغتيال الأحلام، المستقبل فيها هو الغذاء والعشاء والأفلام الأمريكية ! >>①، وهنا تتكشف لنا دلالة الهزيمة والضياع ويسأل المواطن نفسه عن بدء الهزيمة، وبدايتها يتساءل عن مكانها وزمانه ويعرف بعد حين أن زمن الهزيمة قد سبق الهزيمة، وأن مكانها لا يتحدد بالضرورة في ساحة القتال، أو في معركة حدودية ...

إن مكان الهزيمة وزمانها تحددا و يتحددان يوميا في شكل الحياة اليومية << في الفراق القائم أبدا بين السلطة السياسية وبين المواطن الذي تمثله هذه السلطة غصبا واغتصابا >> ②

انكسر حلم مسعودة، حينما اصطدم ببعض الإيديولوجيات التي حاولت شل حركته << والإيديولوجيا هي مجموعة من الأفكار والمعتقدات الموجهة للعمل السياسي أو بمعنى آخر هي النظريات والأهداف التي تشكل طريقة أو محتوى للتفكير المميز لفرد أو جماعة أو ثقافة >>③ وبالتالي فالاصطدام بعلائق سياسية و إيديولوجية متشابكة، وكذلك الاختلال واللاتوازن السائدين في واقع موحل ومقرف، كل ذلك أدى إلى صراعات دموية حيث كانت بداية التجربة مرحلة مخاض صعبة، وصار الهدف من هذا الألم المتلاطم هو استعادة الحرية، استعادة الوطن، الرمز البطولي والحضاري الذي كان متمثلا في تلك المدينة الضائعة وراء

---

①- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد،، ص 206

②- - زينب الأعوج: الديمقراطية وعي المجتمع وحلم الكتابة، ص27.

③- طه وادي:الرواية السياسية ،ص 37

الأنوار الخادعة. وإذا تطرقنا إلى علاقة النص بالتاريخ ، حيث يتجذر العمل الأدبي في لحظة تاريخية معينة، وهو مبني عن طريق التمظهرات السلوكية لحقبة ما، فالجزائر كانت في تلك السنوات ضائعة وراء الأنوار الخادعة، إلى أن حدث الانفجار دفعة واحدة من خلال أحداث أكتوبر 1988 ، فتفجرت الأزمة في مختلف الميادين، فجاءت الرواية كمرثية لمخاض ثوري صعب، ضد الظلم والاستبداد والعبودية والتشبث ببريق أمل يبعث الحياة في صورتها المبتغاة، ولذلك ظلت مسعودة، بطلة الرواية وهي السمة الأساس في تحريك فضاءات النص وشحنه بالمأساوي بوصفها ممثل الذات المستحوذ على الممثلين المساعدين رغم العلاقة الحميمة التي تجمعهما، ظلت تتشبث بالماضي قصد استرجاع أمجاده وإتقاء أخطائه، وقد أزاح الروائي الستار عن بعض المواقف والأفكار السياسية التي كانت سائدة في مجتمعه آنذاك، ليقدم بعض الشخصيات التاريخية والسياسية، التي أدت دورا هاما في تعميق الهوة بين الأفكار الاستعمارية والأفكار الوطنية، ومن جهة أخرى بين الأفكار التقليدية والأفكار الحديثة، فمن ذلك الحديث عن شخصية "بورقيبة" والذي تحدثت عنه الرواية في كلام منقول عن احد أبنائها الذي كان موجودا بقيادة أركان جيش التحرير بالحدود الشرقية :<< عندما جاء بورقيبة إلى الحكم نزع الحجاب عن النساء و الرجال، لم تعد تستعمل

الحجاب إلا العاملات المنزليات، صار الحجاب لباسا مهنيا للفقيرات، بل حتى هؤلاء صرن لا يلبسن خشية أن يقال عنهن أنهن عاملات كما نزع شيوخ الزيتونة العمائم والجباب وأصبحوا عصريين >> ① ، فمن خلال الجملتين : << نزع الحجاب عن النساء >> وجملة << نزع شيوخ الزيتونة العمائم و الجباب >> يفضي بنا إلى القول أن حضور هذه الشخصية هو استدعاء للجديد، فهي صاحبة تغيير في الشكل الخارجي للمجتمع التونسي (المرأة والرجل)، كما يرمي الفعل نزع إلى ترك قيم اجتماعية والأخذ بأخرى غير مألوفة لدى مجموع أفراد المجتمع إن الخروج عن المألوف، والأخذ بثقافة نص دخيل يتضمن معنى الرغبة في تغيير بنية الخارج، والذي تمثله كل أنواع اللباس، وكل ما يحجب الجسم .

والرواية بوصفها خطابا إيديولوجيا في المقام الأول، فهو ينطوي على كثير من مواقف المؤلف السياسية والفكرية إذ تعد هذه الرواية في نظرنا من النصوص الجزائرية القليلة التي تحدثت عن فئة القياد برؤية جديدة غير مستأنسة في النص الروائي الجزائري كما تضمنت الرواية إعادة قراءة المؤلف لبعض الشخصيات الوطنية، وهو يعبر في كلامه عن الأمير عبد القادر والأمير خالد والرئيس بومدين عن مدلولات جديدة لم يألفها القارئ من قبل، لذلك نجده يتحدث عن الزوايا، وعن التعليم المدرسي في عهد بومدين قائلا:<<عندما أسمع

① – عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص102

الناس يتحدثون عن الزوايا، ويخلطون بين غثها وسمينها أشعر بالقرف... تصور كنا نأكل ونشرب ونقرأ وننام بالمجان من يوفر لك كل هذا... بومدين لم يستطع ذلك >>①.

وفضاءات هذه الرواية تحمل إيديولوجيات تدل على تموقع ذات المبدع في الرواية وفي مجتمعه، ضمن المستوى الخطابي والمستويات السردية المختلفة بأدبه وفكره وإيديولوجيته، المتولدة عن خلفية حضارية وعن رؤية شمولية وموضوعية لواقع المجتمع الجزائري، وكل ذلك يحيلنا إلى معرفة الإيديولوجيا الذي ينقسم إلى مفهوم نظري وآخر تطبيقي << فالنظري يكمن في العلاقة الدائمة مع الحركة السياسية الشاملة في المجتمع، التي تدفع بالطبقات الكادحة إلى الخوض في هذه الممارسات السياسية، لأن لها الحق في ترجمة تطلعاتها ونشاطاتها ضمن نظام اجتماعي معين، أما الجانب التطبيقي فيتجسد كإيمان واعتقاد، وتترجمه عياتيا مواقف وممارسات ونشاطات ملموسة >>②.

وإلى جانب هذا فالإيديولوجيا تقترن أيضا بمختلف مجالات الحياة اليومية والحياة الفردية والجماعية << وبهذا المعنى تصبح الإيديولوجيا المعنى المعيش والانعكاس الممارس لمختلف العلاقات التي يقيمها الإنسان مع سائر الناس ومع الطبيعة >> ③، وإيديولوجية الكاتب أو اتجاهه الفكري لا يمكن اكتشافه إلا بالقراءة الجيدة والتقصي الدقيق للخلفية المرجعية

---

① – المصدر السابق، ص102

② – عمار بلحسن: الأدب والإيديولوجية، د.ط.المؤسسة الوطنية للكتاب،ص 103

③ – المرجع نفسه، ص 19–20

التي ينطلق منها في روايته وكما يبدو فهو يقوم بتوحيد وجمع بيان إيديولوجي وبيان روائي << فالإنتاج الأدبي والإيديولوجي جزء لا يتجزأ من العملية الإنتاجية الاجتماعية الكلية >> ①. وبالتالي فدور الإيديولوجية يكمن في تنظيمها للمجتمع الإنساني بجميع فئاته وشرائحه معنويا وماديا.

*** الثورة: التفاعل الشعبي:**

لقد جسد بعض مواقف الأهالي من الأحداث التي عاشتها دشرتهم ومواقف رجال السياسة الوطنية من الاستعمار، ومواقف رجال النقابة وبعض شيوخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن طريق شخصيات ذات مرجعية تاريخية لها موقعها في التاريخ الجزائري المعاصر، ومن هذه الشخصيات نذكر: الشيخ عبد الحميد ابن باديس والشيخ الطيب العقبي، والشيخ الإبراهيمي، وقد ورد ذكر هؤلاء الشيوخ على لسان قدور، عندما كان يتعرض للتعذيب والاستنطاق في مركز الدرك، فهو يردد في نفسه هذه الفقرة، التي يبرز من خلالها موقف رجال الدين من قضية محاربة فرنسا وضرورة إخراجها، والتي كانت طوال سنوات العشرينات والثلاثينات، مثار جدل سياسي حاد بين جميع التنظيمات الجزائرية، السياسية و الثقافية، فهو يقول:<< عجيب هناك من يفكر في إشعال الحرب ضد فرنسا >>②.

---

① - المرجع السابق، ص 11

② - عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص63

بالإضافة على ذلك فقد أظهر الكاتب همجية الاستعمار، واستغلاله للفرد الجزائري، وكذلك إلقاء الضوء على الأساليب البشعة التي استعملتها السلطات الفرنسية ضد الشعب الجزائري، ويظهر ذلك من خلال الطريقة التي عذب بها قدور في المحجر، حيث قام الحارس بربطه من رجليه ويديه ويتركه لمدة طويلة تحت لسعات حرارة الشمس المحرقة وضربات السوط، بالإضافة إلى الشتائم البذيئة << السوط يدع خطوطا بنفسجية على ظهر قدور العاري...العرق يصب على جبينه ملوثا الغبار ...الشمس لا ترحم، أشعتها تنزل في شكل قضبان ملتهبة على مقلع الحجر... أصحاب الأسواط من الحراس الأقل رتبة ينتقلون في ذلك الفضاء الجهنمي الذي أعدته السلطة الاستعمارية >> ①

يقدم المشهد مدى صمود وشجاعة الشعب الجزائري، رغم ما تعرض له من تعذيب وتنكيل من طرف فرنسا الاستعمارية، مواجها كل ذلك بالصبر و القوة، والتحدي وهذا ما جاء على لسان الراوي: << الضربات المتورمة في ظهر قدور تنفلق فيسيل منها خليط من ملح وقيح ودم، قدور يشعر بالغثيان، لكنه يصر في نفسه على المقاومة، لن أسقط لن أسقط >> ②

ويفتخر ابن هدوقة بإدارة الشعب الجزائري و صموده، من خلال هذا المشهد، والذي جعل المستعمر الفرنسي يضعف أمام هذا التحمل وهذا

---

②- المصدر السابق، ص307

②- المصدر نفسه ، ص309

الصبر القوي قائلا :<< الحارس يشعر بالضعف أمام تحمل قدور لجلدات السوط، فينهال عليه من جديد بعنف أكبر وبحنق أشد >> ①<< يقوم العريف ليجر قدور من رجليه إلى الحجرة ... قدور لم يفقد وعيه، لكنه في حالة خطيرة >>②، فالمشهد صورة حية لأسلوب شنيع في معاملة السلطة الفرنسية للشعب الجزائري، ويبدو القبح في هذا المشهد في صورة التعذيب والتنكيل ...إنه قبح يتفاقم في ذواتنا ويشعرنا بالغضب فالجسد مادة لتفريغ الغضب، تنفخها السلطة الاستعمارية إلى أقصى ما تستطيع ثم تتركها تنفث الآهات دون رحمة و دون شعور، إن التعذيب هو تفريغ للغضب كذلك هو تعبير عن الخوف والمرض النفسي الذي لا فكاك منه، وهذا ما يجعلنا نتساءل: لماذا يزداد انتهاك الحرية في عصر التحرر على يد دعاة التحرير أنفسهم ؟و لماذا تتراجع الحريات الديمقراطية على أرضها بالذات ؟<< ومن يسأل مثل هذه الأسئلة لا يؤخذ بتلك العبارات، التي تقول لنا إن الإنسان هو حريته أو إن البشر يعشقون الحرية ويطلبون العدالة والمساواة، وإنما يعيد النظر في مفهوم الحرية في ضوء رغبة الإنسان الأصلية في السيطرة والنفوذ أو سعيه الدائم إلى نيل الحظوة و الامتياز >>③.

ولا غرابة، ففي غياب الأفكار الخلاقة والأجواء الفكرية الخصبة، تتخذ محاولات التغيير طابع الاستبداد من قبل السياسي، حيث يطغى الأمر على العقل وتحل المصادرة محل الفكر، أو تتخذ طابع التعسف، حيث

---

① - المصدر السابق ، ص 11

② - المصدر نفسه، ص 70

③ - علي حرب:أوهام النخبة، أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء،ط1،1996 ،ص82

تجري قولبة الواقع السيال على مقاس المقولات الجامدة، والنظريات اليابسة بطريقة تؤدي إلى إنتاج عقليات فاشية أو إلى قيام أنظمة كلانية شمولية ①، وهذه الأنظمة بدورها تولد ضغطا كبيرا على أفراد الشعب البسيط، مما نتج في زمن ما شعبا راكعا أمام سلطة قمعية، سلطة تحرمه من أدنى الحقوق التي يتمتع بها الفرد بوصفه إنسانا عاقلا، وهذا ما أدى إلى وجود توترات تواجه السلطة في علاقاتها مع المجتمع الذي أنتجته وتبدو ضحية نجاحها. فالدولة التي تنتشر إيديولوجية تجعل منها دولة العناية الإلهية في وعي المواطنين ستتعب كثيرا في تبرير مشروعيتها التوحيدية والتحديثية، تحت ضغط التكاليف الاجتماعية للتحديث، والمجابهات الثقافية الناتجة عنه، وتبرز الفئات التكنوقراطية وتكلس الأجيال السياسية، وعدم تجددها، وتناقص أو نفاذ تأثير الخطاب الإيديولوجي الوطني في المجتمع ②، والخطاب الإيديولوجي غير الخطاب الديني، الذي يختلف عن الخطاب العلمي، لأن الكلام عن الجوع والعوز والظلم غير الكلام عن الجهل والخرافات والبدع، والكشف عن الطابوهات المتمثلة في الدين والسياسة والجنس، وبالتالي اتخاذ الشعب كقميص عثمان لتمرير الخطاب الإيديولوجي، ونحن لا يهمنا ظاهر النص بل يهمنا بالدرجة الأولى المسكوت عنه داخل النص، أي ما جاهد الروائي على إخفائه أو تمريره مقنعا.

---

① - المرجع السابق،ص128

② - عمار بلحسن:المشروعية والتوترات الثقافية، الدولة، المجتمع والثقافة في الجزائر، مجلة الثقافة، عدد2،1993، ص 126

ومهما يكن من أمر فإن الضعف الذي أصاب بعض الجزائريين لم يلبث أن تحول إلى شك، ثم إلى وعي كامل بحقيقة الغزو الثقافي الحضاري الغربي الذي لم يكن يستهدف أقل من مسخ الشخصية الوطنية و من هذا التاريخ بدأ الجزائري يفكر، ويفهم القصد الخفي لهذا الغزو ويعمل على مقاومته بشتى الوسائل.

لقد فهم المواطنون الواعون أن الحضور الفرنسي في الجزائر كان يهدف إلى محو الشخصية الوطنية وتشويه الحضارة، والتاريخ العربيين: << أخذوا يشتبهون هذا التنين الذي يريد أن يلتهم كل شيء >> ①.

وقد أراد الأديب بن هدوقة، أن يقضي على هذا التشبيه وهذا التنين مؤكدا أن فرنسا تسعى من وراء ما أسمته بالحضارة إلى تقهقر و إسقاط المجتمع العربي وهذا ما جاء على لسان عزوز: << حق العربي هو الهبوط، الحاج أحمد يتذكر "ديصاند"، الجزائر تشهد احتفالات الهبوط >> ②،وذلك أنها عملت على تثقيفهم ورفع هامات رؤوسهم إلا أن هناك من تصدى لهذه الحضارة من الجزائريين، ووقف معارضا لكل ما تسمو إليه ، وهذا راجع لوعي الجزائريين وتفكيرهم القوي بأن فرنسا تسعى إلى طمس شخصياتهم وحرياتهم << فيرى شابا يلبس سروال عمل أزرق ...لا يبدو عليه أي تخوف، يندد بالحكم الذي

---

①- محمد بن سمنية:في الأدب الجزائري الحديث، النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر، مؤثراتها، بدايتها،مراحلها،الجزائر 2003،مطبعة الكاهنة، ص12

②- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 281

أصدرته المحكمة على المتهمين ... من هو هذا الذي لا يخاف الدولة في يوم رهيب كهذا ؟ إنه مجنون أو شجاعته تجاوزت شجاعة البشر>> ①

*** القياد: الفرد خارج التاريخ:**

يكشف الكاتب فئة من المجتمع، كانوا لا يأبهون بوطنهم ولا بهوياتهم، همهم الوحيد المصلحة الشخصية، وقد تجسد هذا من خلال رأي عزوز في شخصية الحبيب بن الحاج أحمد، وهو يتذكره قائلا: << شاب مهذب يعرف الكثير...يعرف ما يجري لا في الجزائر بل حتى ما يجري في تونس هو اعلم من الشانبيط، وحتى من القائد، ذكر أشياء تتعلق ببلاد جد بعيدة، مصر، تركيا، الشام، فرنسا، فرنسا نفسها تحدث عنها...قصة ابن القائد عنده لا تساوي الأهمية التي أعطتها لها الصحافة...وهو، عزوز المجرب لا يعلم أكثر مما حكاه له الشانبيط والقائد أنه يحتقر نفسه يخدم هؤلاء الذيول كما سماهم الشاب >> ②

كانت سلطة الاحتلال تظن أنها بهذه الأساليب الحضارية الملتوية قد تضع الجزائريين في موقف صعب قد يؤدي إلى الحيرة والتردد، ومن ثم التخلي عن مقوماتهم، فتصيب بذلك سهام السلطة المقاتل في الصميم، بيد أن الذي حدث كان غير ذلك، لأن الجزائريين في معظمهم لم يدخلوا هذا الرهان البتة << حيث وقفت قواهم الواعية بقيادة أعلام النهضة مواقف صلبة كشفوا للشعب فيها عن خطورة تلك الأفكار الهدامة وتحذيره

---

①- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 280

②-المصدر نفسه، ص 270

من مغبة الإخداع بها، مما كان لـــه أثـــره البـــالغ فـــي تعميـــق وعيـــه بهويتـــه الحضارية، وتدعيم إصراره على التمسك بهـــا، ورفضـــه كـــل محاولـــة تبغـــي به عنها تحويلا >> ①.

وكان من ابـــرز تلـــك المواقـــف تعبيـــرا عـــن إرادة الشـــعب، وأشـــدها فاعلية، ما قام الإمام عبد الحميد ابن باديس، بتصـــديه لكـــل الـــدعاوى الباطلـــة، وقد بين الراوي هذا الموقف السياســـي الـــديني للعلامـــة ابـــن بـــاديس قـــائلا: << كانت التقارير التي بلغته تتعلق أساســـا بـــثلاث تنظيمـــات: التنظـــيم الأول يقول التقرير هو أخطرها: نجم شمال أفريقيـــا، الثـــاني يتعلـــق بحركـــة دينيـــة لها امتدادات وتعاطف في بعض البلاد الإسلامية، وهـــي تعـــد لإنشـــاء منظمـــة تجمع دعاة يزعمون أنهم مصلحون دينيون، وهـــم يعلمـــون لإرجـــاع الماضـــي والخلافة الإسلامية، ويضيف التقرير:أن المحرك الـــرئيس لهـــذه الجماعـــة هـــو ابن باديس، الذي خالف طرائق أبيه وأهلـــه، الـــذين أيـــدوا الحضـــارة، ويبـــين التقرير:أن ابن بـــاديس هـــذا علـــى اتصـــال وثيـــق بـــزعيم حـــزب الدســـتور التونسي الشيخ عبد العزيز الثعالبي، ومع المغـــامر العربـــي شـــكيب أرســـلان صاحب جريدة الأمة العربية، أمـــا التنظـــيم الثالـــث فهـــو فيدراليـــة المنتخبـــين المسلمين بالجزائر، لكنه أهون شأنا من الآخريـــــن >> ②.

---

①- محمد بن سمنية: في الأدب الجزائري الحديث،ص 13

②- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 88

إن الانفلات السياسي الذي حدث في أكتوبر 1988، ودخول الجزائر في مرحلة خطيرة، كان ذلك نتيجة معطيات كثيرة طفحت على الساحة السياسية، تمثلت في أصوات مختلفة، تنادي بضرورة التغيير كما أن هذه الأحداث لم تأت بمحض الصدفة، وإنما جاءت من ترسبات أخطاء سياسية عبر سنوات، أو بعبارة أخرى هي حصاد سنوات أفكار وتصرفات غريبة عن قيم ومبادئ المجتمع الجزائري << وهذا هو ثمن النخبوية والتعصب، عزلة السلطة عن الشعب الذي تدعي قوده وتمثيله ولا عجب: فمن يغرق في أوهامه ينفي نفسه من العالم، ومن يقع أسير أفكاره تحاصره الوقائع >>①.

تلك إذن النظرة الكيفية، الشخصية الإنعزالية المتقوقعة، إنها رؤية سلبية متحيزة، وليست علمية، وهذا ما وسع الهوة بين القمة والقاعدة بين الشعب والسلطة << التي بدأت بلا جذور ولا دعامات وانتهت في الفناء والوحدة، كان الآخرون لها قطب نفور لا جذب، بقيت بلا علائق، فرفضتها الحياة، لم تقبل الآخرين في ذاتها، فنفيت ذاتها من الآخرين، لا بد لنا من الإصغاء لنداء الآخرين، فذلك دعوة لنا لأن نكون بالاتصال معهم، وداخل الاتصال تتكون و نزداد وزنا إنهم الملاك والشيطان، العدوان والتعاطف، النار والفردوس، العزلة القاتلة والانفتاح الرحيم >>②.

---

①- علي جرب: أوهام النخبة، أو نقد المثقف، ص80.

②- علي زيعور: التحليل النفسي للذات العربية،أنماطها السلوكية و الأسطورية،دار الطليعة للطباعة و النشر، ط2 ماي1977،ص 90.

فعندما يحيلنا الكاتب إلى مرحلة سياسية خطيرة هي مرحلة الاستعمار،التي غلبت عليها مظاهر الخوف والاضطهاد، فهذه المظاهر بالرغم من شراستها لم تستطيع مس كيان المجتمع الذي بقي محافظا على وحدته في ظل قيمه ومبادئه الأصلية، و بعد الاستقلال، أخذت هذه المبادئ والقيم تتلاشى، وانزاح المجتمع إلى قيم وأخلاق وسلوكات غريبة عنه، فأخذ في التفكك ولم يستطيع الحفاظ على وحدته، وهذا ما جاء على لسان الراوي :<< فمن ذا كان يتصور أن نوفمبر العظيم يلد أكتوبر تلك أخطاء الأمس، ظننا أن الحرية توحدنا كما وحدنا الخوف >>①.

***الفضاء السياسي :**

جاءت الحرية والوحدة الوطنية مهددة، وذلك نتيجة ظروف سياسية لم تتغير تعرض لها الكاتب من خلال الرواية بالنقد، لتأخذ هذه الرواية طابعا سياسيا، ذلك أنها تنتقد بعض مراكز القوى الحاكمة التي تشتغل سلطاتها في كثرة الفساد المادي والأخلاقي داخل المجتمع أضف إلى ذلك أن الكاتب قد ركز على توظيف للفضاء السياسي المشحون بالتوتر والظلم، من خلال وصفه لتلك الفضاءات المنغلقة والتي يفقد فيه المواطن الأهلي كل مظاهر إنسانيته، ويخضع فيها خضوعا تاما لأوامر الحارس أو السجان أو القاضي... ولعل ذلك يلمح إلى أن مجموع الوطن قد صار سجنا فلا فرق بين المحطة، والمركز

---

①- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 20

وقاعة المحكمة، والمحجر فالمواطن يفقد ميزات مواطنته في كل مكان وجد فيه، وقد جاء الحديث عن السجن لأول مرة على لسان الحاج أحمد وذلك في قوله:<< السجون كلها مفتوحة، إذا قيل لها هل امتلأت قالت: << هل من مزيد >> كل يوم تفتح مراكز جديدة ومحاجر جديدة "محجر ألبير" صار لا يكفي >>① .

فالسلطة الاستعمارية قد عاثت في الأرض فسادا،...<< تضطهد الأبرياء وتظلمهم، وتناصر معدومي الضمير والجهلاء وتتعاون معهم، نتيجة هذا الجدل القائم بين العدل و الظلم... والحق والباطل و الشرف و الخيانة و الديمقراطية و الاستبداد >> ②، ولهذا اختار الكاتب الشخصيات الخيرة المظلومة، التي ترغب في العدل، وتبحث عن الحق، وتنشد الديمقراطية والمساواة، وهي التي تحرك مسيرة الحدث الروائي.

وقد تعرض الكاتب في الرواية إلى وصف السجن وصفا واقعيا دقيقا فقد ورد على لسان المرأة الفرنسية التي تشتغل عندها الراوية " مسعودة " وصفا لسجن " سان لوران " تقول :<< سجن رهيب ! من قضى فيه سنة زالت إنسانيته، السجان و السجين في ذلك سواء، إنسانيتهم تنزل إلى ما تحت الصفر، هؤلاء في الفظاعة، و هؤلاء في الحيوانية التي يتحولون إليها من جراء التعذيب الذي لا مثيل له في الدنيا>>③ .

ويعبر حديث "عزوز" عن فضاء السجن بتساوي الأهالي لدى السلطات الإدارية << فهم إن بدا من أحدهم أي تصرف، أو من أحد

---

①-المصدر السابق، ص 46
②- طه وادي: الرواية السياسية، ص 30
③- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد،ص 46

أقاربه أو معارفه، فإنه سيتعرض للخطر و السجن مهما كان منصبه الذي يشغله وموقعه الاجتماعي، ومهما جلت الخدمات التي أسداها للإدارة الفرنسية >>①، ورغم أن وصف الروائي للسجن كان دقيقا، إلا أنه لم يغص في أعماق عالم السجن لنقل تفاصيل يومياته، ولعل المؤلف لم يشأ أن يغوص في أعماقه و سراديبه الباردة، وعذاباته القاسية، لأنه كان يعتقد أن الوطن كله صار سجنا.

كما يعد فضاء المحجر من أبرز الفضاءات السياسية التي يفقد فيها المواطن الأهلي ميزات حياته الإنسانية، ويتحول فيها إلى " عبد " كما يطلب منه القيام بأعمال شاقة، وتتجلى فيه أيضا شخصية الفرنسي المتوحش الذي يخضع لقوانين جائرة كما يتعرض المواطن فيه لأبشع أنواع التعذيب، ويقوم بأعمال تفوق أعمال السخرية شقاء وخطورة، تقول الراوية مسعودة :<< لو عرف قدور المحجر لهان عليه وقع أقدام الرجل الوسيم على رصيف المحطة لكن ...>> ②

كما أن المحجر قد قتل فيه " المخفي بن المرابط " :<< قتل بالمحجر قتلته فرنسا وموهت القتل بحادث المتفجرات، نعلم أيضا أنه قرأ مع ابن باديس... >>③ ،وبالتالي فإن فضاء المحجر يتساوى مع فضاء السجن في أمور كثيرة،حيث يفقد فيها الإنسان ميزات إنسانيته، ويتعرض جسمه لجميع أنواع الآلام المادية والنفسية ، وهما أخيرا رمزان من رموز

---

①- المصدر السابق، ص 248

②- المصدر نفسه ، ص 35

③- المصدر نفسه، ص 104

الظلم والاستغلال، ولا يختلف فضاء المحكمة عن بقية الفضاءات ففيه تجري المحاكمة الصورية، ويحكم على المتهمين بأساليب غير قانونية ويحكم فيها على المواطن الأهلي لأتفه الأسباب بالأعمال الشاقة ① والسجن لأمد طويل،ودفع الضرائب ومثلما عبرت عنه إحدى الشخصيات في الرواية فهو لا يعدو أن يكون<< بؤرة للرشوة والفساد، والتزوير والجشع والطمع >>②

كما ورد الحديث عن فضاء القصر الذي نعده فضاءا سياسيا عبر اعترافات الرواية، ويبدو من خلال كلامها عن هذا الفضاء أنه لم يعد يتوفر على أدنى الظروف المناسبة للإحساس بالسعادة والإطمئنان النفسي وهي ترد ذلك إلى أن هذا القصر، لم يشيده أبناؤها بعرقهم وإنما بنته بنادقهم، ودفع هذا الإحساس بها إلى حالة نفسية عميقة، مع ندم وخيبة وفجيعة أيقظت فيها وعيها بالقيم الجميلة و الحلم، وقد سبب لها هذا الإحساس<< إدانة حاضرها واحتقار ذاتها>> ③

فالقصر لم يعد مكانا للإقامة المريحة، وعلامة من علامات الارتقاء الحضاري، والتطور الاجتماعي والاستقرار السياسي، وإنما غدا وكرا بشعا، ومغارة تنهار فيها القيم، وتمارس فيها كل السلطات، و بؤرة لفساد الضمائر << منذ سكنت هذا القصر، وأنا أرى كل يوم وأسمع مالا يصدقه عقل، كل شيء يباع ويشترى ... الأملاك، الوظائف، الضمائر، الحريات

---

①- شريبط أحمد شريبط: بنية الفضاء في رواية غدا يوم جديد، مجلة الثقافة،ص 185

②- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 11

③ - المصدر نفسه، ص 15

الجهاد، والنضال، كل شيء...حتى البشر>>① ، كما عبرت العلاقات التي ترتبط بين زوار القصر، بقولها<< هي نفس الخيوط التي يتشكل منها < الترابندو السياسي> في بلدنا >> ②، إن فضاء القصر في هذه الرواية يعبر عن اختلال القيم، وانهيار المبادئ المحتفي بها في الماضي، وهو أخيرا فضاء بؤري لإدارة فاسدة، وسلطة انتهازية، تتاجر في كل ما هو غير مشروع، من أجل البلوغ إلى كل ما هو غير مستحق .

إن الأديب "عبد الحميد ابن هدوقة" يحلم من حين لآخر بتحطيم البرجوازية كحتمية تاريخية، فقد كان عاجزا عن كشف القوى التي تقود هذا المجتمع إلى زواله، كما يجهل المجتمع البديل، الذي يفرض نفسه على أنقاض المجتمعات الرأسمالية، فهو لا يخرج أبدا عن معطيات الفلسفة الاشتراكية المثالية التي تكمن في دفاعها عن القيم الإنسانية الفاضلة، وذلك عن طريق تعرية الواقع وفضح الجوانب المظلمة فيه و إدانة قوى الظلم والفساد:<< فينبغي إذن أن يكون بناء الرواية الداخلي على اتصال بهيكل الحقيقة فيبدو وكأنه النواة لهذه البنية >>③ .

ولكن الكاتب رغم كل ذلك استطاع أن يطرح المجتمع الجزائري للنقاش بأن << عاد إلى الموضوعات التاريخية ليتناول بالبحث الإبداعي حياة الأسر الجزائرية في ظل التعاسة التي فرضتها عليها البرجوازية الفرنسية >>④.

---

①-المصدر السابق، ص 37

②- المصدر نفسه ،ص 75

③- ميشال بورثور: بحوث في الرواية الجديدة ص39

④- واسيني الأعرج:اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ،ص 368

ويتجلى ذلك من خلال وصف الراوي لأسرة المخفي بن المرابط حيث تهدمت العلاقة الأسرية، وذلك بموت المخفي، وزواج باية زوجته من عزوز، ذلك الرجل الانتهازي الاستغلالي، وسفر الإبنة مسعودة إلى الجزائر، وكأن هذا الشعب اختار لنفسه مستقبل البؤس والشقاء والاستغلال، الأمر الذي يوقظ بعض النزاعات الرجعية النائمة في قراره الكاتب في نظرته للعالم :<< هذه النظرة التي تقف في كثير من الأحيان إن لم نقل كلها حاجزا فاصلا بين الكاتب وتصويره للواقع الاجتماعي بصدق موضوعي >>①.

كما حاول الكاتب أن يستفيد من تاريخ بلاده، و من زخم الثورة الجزائرية في رسم مختلف تناقضات المجتمع،فعمد إلى عملية الاستذكار واسترجاع الذكريات، وذلك هروبا من الواقع المعيش الذي نخره الفساد، فقد تحول الكاتب إلى إنسان حماسي يزعجه هذا الواقع ويرفض عاطفيا كل المظاهر السياسية و الاجتماعية الشاذة، ويصفها وصفا مشحونا بالروح الحماسية التي لا ترى أكثر من الأشكال الخارجية لهذه المظاهر، فقد تحول من هذه الأجواء الحماسية إلى مجرد مشاهد أصيب بخيبة أمل للعملية التاريخية في حركتها، ومراقب لتعرجاتها التي لم يستطيع أبدا فهمها<< ذلك أن التاريخ لا يكتب إلا مرة واحدة فقط، بل كل فئة تكتبه بطريقتها وتفسر أحداثه بما يتناسب ومصالحها، وتتعدد المواقف تجاهه بتعدد فئات المجتمع

① - المرجع السابق ،ص 368

والأحزاب السياسية، والمذاهب الدينية، وهكذا، فإن التاريخ يحدث مرة واحدة، ولكنه أكثر من مرة، وقد شهدت الساحة الثقافية العربية بدءا من منتصف القرن الماضي محاولات لإعادة كتابة التاريخ العربي من جديد بدافع تجاوز التخلف الحضاري والضرورة الملحة لمساءلة الماضي>>①

وقد وجدنا صدى لمحاولات إعادة كتابة التاريخ في الرواية السياسية الجزائرية عموما، وفي رواية< غدا يوم جديد > لعبد الحميد ابن هدوقة على وجه التحديد، وهذا بوصفها نتاج الحركة الثقافية في المجتمع من جهة، و حقلا مهما لإنتاج الوعي الثقافي من جهة أخرى، ويمكن أن نخلص من خلال دراستنا للقضايا السياسية الثورية إلى النتائج التالية:

❶- رغم أن رواية < غدا يوم جديد> تنتمي زمنينا إلى فترة ما بعد الاستقلال، إلا أن ظل الثورة قد اكتسحها وظل يسيطر عليها منذ البداية وحتى النهاية.

❷- إن وحشية السلطة الاستعمارية، ومعاملتها السيئة للأهالي وتعذيبها للمواطنين العزل، بدون شفقة ولا رحمة، يدل على انسلاخها من كل القيم الإنسانية والحضارية.

❸- صمود وشجاعة الشعب الجزائري، في جهاده ونضاله ضد العدو الفرنسي، من أجل الدفاع عن الوطن، وتحريره واستعادة السيادة الوطنية.

---

①- محمد رياض وتار:توظيف التراث في الرواية العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2002 ،ص122

❹- ظهور فئة من الانتهازيين، وعديمي الضمير، الذين لا مبدأ لهم في الحياة، سوى الجري وراء مصالحهم وأطماعهم المادية، فكانوا أذيالا لفرنسا يبيعون لها أسرار الثورة وأسرار المجاهدين.

❺- إن رواية ≻ غدا يوم جديد ≺ هي خطاب إيديولوجي في المقام الأول، وتنطوي على كثير من مواقف المؤلف السياسية والفكرية والعقائدية، و هي من النصوص الجزائرية القليلة التي تحدثت عن القياد.

❻- أثارت الرواية جملة الإشكالات السياسية في الحركة الوطنية والتي امتدت تناقضاتها إلى الاستقلال، والتي كانت سببا في انفجار الأزمة.

*** القضايا الاجتماعية:**

إن اهتمام رواية ≻ غدا يوم جديد ≺بالبعد الإنساني ورصدها لحركة الصراع والتغير الاجتماعي، والتصاقها بحاجات الكادحين وتطلعاتهم، تمثل شكلا من أشكال التحدي، وهي بمحاولتها التعبير عن رؤية ثورية واضحة عن الواقع الاجتماعي، تقف في مواجهة الزيف مناصرة للحقيقة التي لا تقتلها المؤسسة القمعية، ولكن يقتلها التفحم والسلبية والسقوط داخل دائرة اليأس.

<< و المجتمع ليس لغة للتواصل والتبادل بقدر ما هو علاقات قوى بين الأفراد والمجموعات، و هو نظام للإنتاج والتداول، لا يكف عن إنتاج ما به يتحرك التاريخ من التفاوت أو التفاضل أو الاستلاب >> ① وابن هدوقة في روايته حاول أن يفك الدوائر المجتمعية المغلقة الجامدة

---

①-علي حرب: أوهام النخبة، أو نقد المثقف، أو نقد المثقف، ص 91

يجد في الروائي نفسه وسط ميدان بكر وشاسع وقادر على العطاء الفني ويوصفه مبدعا وفنانا أصيلا أدرك بشكل جيد أن المنتج، لا يكتفي أبدا بالأشكال الجمالية الجاهزة، ولكن على العكس من ذلك، فهو يعبر عن حقائق ومشاكل العالم، ومجتمعه، وبوسائل أكثر قابلية للإيصال من غيرها، وبذلك تحدث الاستجابة، وتحقق الوظيفة الاجتماعية و التي << لا تتحقق إلا إذا نهض الأدب بأدواته الجمالية وخصائصه الفنية >>①.

تعبير رواية < غدا يوم جديد > إذن عن المرحلة الراهنة بكل جوانبها، وأشكالها المختلفة، من سياسية واقتصادية، واجتماعية، وثقافية... ولأن الجزائر الوطن هي الأرض التي تتشكل فيها ملامح هذه البنيات والصورة التي تنعكس عليها آثارها بالسلب أو بالإيجاب، بالتقدم أو بالتخلف، فقد اختار الكاتب المرأة، الطرف المسحوق من مجتمعنا والذي يقع على كاهله عيوب المجتمع، وأخطاؤه، لتكون رمزا ولسانا للجزائر، إن" مسعودة " الشخصية المحورية والرئيسة في الرواية تروي حقيقة المجتمع الجزائري ، وتعبر عن حلم الماضي وكابوس الحاضر اختارها الروائي لتمثل زمن العري وتنزع الأقنعة << أريد تعرية كاملة لحياتي أمام الناس، كما هي عريانة أمام الله إذا شئتني الناس أو العنوني. وهم يقرؤون قصتي فذلك سيخفف من تعذيبي إن شاء الله أريد أن يكون حجي كاملا، يغسل عظامي وروحي>>② ..

---

①- عبد الله ركيبي: الرواية السياسية، ص 44

②- عبد الحميد بن هدوقة : غدا يوم جديد، ص19

إنها تعبر عن لحظة الاستفاقة والندم أمام وخز الضمير، وتكشف عن رغبة في التطهير من الماضي الغريب الذي بدا لها مزيفا، بالعمل على نشر حقيقته في الحاضر والانزواء بعد ذلك، فعن طريق " مسعودة " الرمز، يكشف لنا حقيقة حاضر هذا الوطن، وماضيه القريب، حددت " مسعودة " إذن مجال التعرية في جوانب حياتها، ترى في استعادتها كشفا للأمراض الجديدة التي حملتها رياح التحولات<< أحببت أن أعري كل الذين عرفتهم في حياتي، لا لأفضحهم، وإنما لأراهم من جديد أحياء أمامي، أريد أن أرى عزوز، الحاج أحمد،...الحبيب، أريد أن أرى قدور صامدا للعذاب كالدهر،...لا يتزعزع، أريد أن أرى المحطة أن أرى ظلي وراء الحاج أحمد بلا غاية، أريد أن أرى القرية، محمد بن سعدون الرعاة، البنات، الرجال، النساء،...أريد أن أرى كل ما مضى في حركة الحاضر >>①

وبداية الرواية أو مدخلها هي مشهد رمزي مكثف، يعتمد الرمز والإيحاء والإشارة، كما يعتمد الحلم والخيال، يرسم فيه الروائي الشخصية الرئيسة منذ البداية رسما خاصا، فهي شخصية متميزة، متفردة، إذ يحاول منذ البداية تسليط الأضواء عليها، كما يحاول الإيحاء بنفسيتها، عن طريق صورتها الخارجية، وهي شخصية مغيمة، حائرة، منكسرة، تشعر بالذل والقهر والانكسار والاحتقار والفراغ، في هذا الوسط القاتم، ولهذا نقول

① - المصدر السابق، ص 76

إن << تظافر الصفات الداخلية والخارجية يثري الشخصية، ويضفي عليها حيوية وتكاملا وشمولا وتعقيدا، يزيدنا تعلقا بها واحترازا منها >> ①

تنفتح رواية ≻ غدا يوم جديد ≺على مشهد هو عبارة عن وقفة تأميلية تقفها بطلة الرواية على مستوى أحداثها ويقفها بن هدوقة على مستوى التفكير، وتلك الوقفة إنما تمثل النقطة الصفر، زمن الكتابة أو زمن البداية :

كنت مسافرا

في الحلم

كان الليل،

والليل كابوس و حلم

أزحت الستار عن الليل،

عن الكابوس و الحلم

ضاع مني الليل،

والنهار تأخر

لذا استجبت للمغامرة،

للسفر،

للسفر في الزمن

أبحث عن النهار لماذا تأخر

---

①- فوزية الصفار: أزمة الأجيال العربية المعاصرة، ص19

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لماذا تأخر؟

سفري ليس صعودا

الزمن الماضي لم يغادر

هو سفر في الزمن،

بلا زمن!

ورفعت الحجاب !

ورأيتها! ①

يعد هذا البيان<< بمثابة النص الإضافي الذي قدم الكاتب من خلاله بعض المعلومات عن الواقع وعن البطلة لكنه لن يزيدها إلا غموضا وشعورا بالخيبة والهزيمة >>②، وهو بذلك << يعمق الإحساس الدرامي أو المأساوي والحيرة الوجودية التي تطالع القارئ ③

والروائي إذ يلجأ إلى الحلم والخيال، في محاولة تعويضية عما يصعب تحقيقه في الواقع << والخيال ماكنة يجب أن تعمل بالوقود الذي قد يكون طاقة مولودة بصورة طوعية، وكلما كان هدف الكاتب بعيدا كلما زادت قوة خياله >> ④

وقد انعكست رؤية ابن هدوقة إبداعيا في تصوير الواقع تصويرا هادفا، يظهر فيه تعاطفه مع بعض شخصياته الروائية، ورفضه لأخرى

---

①- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص7-8-9

②- ③-منصور قيسومة: الآنا والآخر في الرواية العربية الحديثة، دار سحر للطباعة والنشر، تونس1994، ص 59- ص61

④- كولن ولسن: المعقول واللامعقول في الأدب الحديث، ص 238

هذه الشخصيات التي تعكس أشكال الصراع الموجود في المجتمع: صراع بين التقدم والتخلف، بين العلم والخرافة، بين التحرر والاستغلال، بين المرأة والرجل... باختصار بين التقدمية و الرجعية، وهي قضايا تعكس مشاكل مجتمع يتحول ويتغير في إطار تناقضات شتى، بعضها موروث وبعضها ناتج عن التحول نفسه.

وقد عمل الكاتب على تقديم قيمة المرأة كبؤرة صراعية في مستويات عدة، منها الاجتماعي ومنها الثقافي ومنها السياسي ومنها الرمزي، فقد تكون المرأة رمزا للحرية للأرض، لارتباط الإنسان بالجذور وهذا البعد في الرواية مفهوم في الواقع لدرجة التسطع، فالمرأة " مسعودة " هي في التحديد الأخير الجزائر عبر معظم مراحل تكونها التاريخية التي قطعتها حتى مرحلة الثورة الوطنية، و أطماع الرأسمال الأجنبي، ثم فترة الاستقلال، وحل معظلات المرحلة الوطنية الديمقراطية بكافة التناقضات التي خلفها الواقع الاستعماري، وقد طرح الكاتب عدة قضايا يحكمها خيط واحد، وهو رفض الواقع الراهن، والتطلع نحو مستقبل أفضل.

إن تعدد الرموز في الرواية يضعنا أمام قسمات خاصة << فالدلالة مكثفة وغنية وتحمل قيما هامة في المجتمع والنفس والفكر، وبهذا تفارق جزئيتها وفرديتها لتصبح عامة، ولتحمل جرعة تروي الظمأ في ظرف يتلهف الناس إليها >> ① .

---

① – فايز الداية: جماليات الأسلوب، الصورة الفنية في الأدب العربي، ص 177

فمسعودة رمز للوطن والمدينة ، رمز للجديد، والمخفي الذي هو رمز للصمود والتحدي، بل أنه أسطورة لاسيما بعد قتله، وهنا نلاحظ تقاطع هذا النص مع بعض النصوص التاريخية، إذ كانت نهاية المخفي بن المرابط هي نفسها نهاية الحلاج، وهو نفس المصير الذي آل إليه كل من السهروردي وسقراط... وهذا ما يدل على وجود تناص أسلوبي مع نصوص أخرى.

*** ثنائية الريف/المدينة:**

ركز "عبد الحميد بن هدوقة " في روايته على الفضاء والذي تجسد من خلال حديثه عن المدينة والدشرة، هذه الأخيرة التي تمثل قيم عديدة كالرتابة والنمطية والخصاصة، وضبرة الأم، والعذاب والطبيعة القاسية ومن هنا<< باتت الرواية فنا مؤهلا لالتقاط الحركات الجماعية أو الخفيفة كما تتمثل على مستوى الفكر، والحياة الاجتماعية، وسوف تسهم بذلك في إضاءة الوجدان الاجتماعي العميق>>① ، واللافت للنظر هو اشتغال الكاتب في روايته ≻ غدا يوم جديد ≺على ثنائية الريف والمدينة، بوصفها تعكس مبدأ التقاطب أو الثنائية الضدية التي تسهم مع العناصر الفنية الأخرى في الإيحاء بالأبعاد الدلالية الخفية للنص، ومن ثم التعبير عن وعي الكاتب، ورغبته الملحة في التغيير، والكشف عن توتر العلاقة بينه و بين الواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه ②، لذلك فإن توظيف

---

①- خالدة سعيد:حركية الإبداع، دراسات في الأدب الحديث، بيروت لبنان، دار العودة، ط1، 1979، ص207

②- عمار زعموش: ثنائية الريف والمدينة في رواية غدا جديد، أعمال الملتقى الوطني الرابع، ص 10

الريف والمدينة في رواية ﴿ غدا يوم جديد ﴾ لم يكن بمثابة ديكور فحسب، بل لهما عضويتهما الحية الممتزجة مع الأحداث والشخصيات داخل الرواية << وإذا كانت الواقعية قد وجدت في حياة المدينة أرضا حافلة بالصور والنماذج، فإن عالم الريف بدوره قد اجتذب الروائيين الذين يحملون تأثرات رومنطقية أو مثالية >>①، لذلك كانت رحلة الكاتب في هذه الرواية نحو استعادة الماضي الريفي، و ذلك هروبا من الحاضر المديني المجدب الرديء، ذلك الماضي الذي يمكنه من تقييم مسيرة الجزائر بعد الاستقلال وما آلت إليه، تلك المسيرة التي أفرزت مجموعة من القيم أحدثت تصدعا في البنية الاجتماعية، الأمر الذي جعل الكاتب يتساءل في حيرة على لسان رجل المحطة، وهو يحدث الراوي عن قصة قدور في السجن قائلا:<< ألم يخطر ببالك يوما أننا ركبنا في محطة الاستقلال قطارا غير الذي ينبغي علينا أن نركبه >> ② وبذلك تغدو تلك الأفضية والأمكنة المادية المحسوسة المتمثلة في الريف والمدينة و محطة القطار مجرد ملجأ يحتمي به الكاتب للتعبير عن موقفه تجاه قضايا واقعه الراهن وقد صرح الراوي بذلك على لسان مسعودة قائلا: << أتحدث عن أشياء وأريد أخرى ! >> ③، كيف لا وهو الذي يقول في صفحة أخرى : << أبقي أسماء الأشخاص والأشياء وأغير الأحداث والأزمنة بالحلم، تحديا للحقيقة >> ④

---

①- خالدة سعيد: حركية الإبداع، ص210

②- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 296

③-المصدر نفسه، ص 179

④- المصدر نفسه ، ص 121

وبالتالي :<< فالفرق بين حوادث الرواية وحوادث الحياة ليس في أننا نستطيع التثبت من صحة هذه الأحداث بينما لا نستطيع الوصول إلى تلك إلا من خلال النص الذي يظهرها فحسب، بل إلى ذلك، أكثر تشويقا من الحوادث الحقيقية >> ① .

في ضوء ما سبق، نجد المدينة التي تحدث عنها الكاتب في عمله الروائي، تعود من الناحية الزمانية إلى الثلاثينات وأوائل الأربعينات من القرن العشرين يوم أن كانت مدننا كما يقول:<< للأجانب وكنا فيها نحن الأجانب، أتذكر القصبة يوم أن كانت ممرات للأغنام والبحارة الأجانب، يوم كان دورها محارب و مقابر ومعاهر ... >>②،فمدينة الجزائر المستعمرة كانت << في خيال القرويين قصورا واسعة الأرجاء من قصور ألف ليلة وليلة أو من قصور سيف ابن ذي يزن،... بل هي أجمل، ما حكى عنها القرويون الذين زاروها لا يصل إلى تصويره أشد الخيالات تحليقا الحرمان الذي يحيا فيه الناس، والبطالة، والفقر، وإضافات اللاحق للسابق عن المدينة، كل ذلك نقلها من واقعها الجغرافي إلى واقع أسطوري لا مستحيل لموجود فيه >> ③، ومن ثم غدت المدينة حلما لسكان الريف بقراه ومداشره، وكان الكل يسعى ويتمنى الهجرة والانتقال إليها حتى يتخلص من معاناة الريف ④، لقد كانت المدينة << حلم كل امرأة ...حلم النساء و الرجال >> ⑤

---

①- ميشال بورتور: بحوث في الرواية الجديدة، ص8

②- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 122

③- المصدر نفسه، ص 129

④- عمار زعموش: ثنائية الريف والمدينة في رواية غدا جديد، أعمال الملتقى الدولي الرابع للرواية، مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج ط 2003، ص12

⑤- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 94

وقد أراد الكاتب أن يقارن بين هذه الهجرة التي حدثت في الماضي باتجاه الحلم المديني، وبين هجرة أخرى تحدث في الوقت الراهن، والتي جعلت الحلم يتخذ مسارا آخر، يقول الكاتب:<< شاهدت البارحة في التلفزيون صورا لجموع من الشبان المصطفين أمام القنصلية الفرنسية في قسنطينة لست أدري منذ كم من ساعة، ولا كم من يوم، للحصول على التأشيرة فتساءلت :التأشيرة إلى أين ؟، تمنيت حينئذ لو شاهدت بدل أولئك الشبان رؤساء الأحزاب الخمسين،... إنهم هم الذين أوصلوا أولئك الشبان للبحث عن الهجرة إلى الـ...لا مكان >>① ولكن كل تلك الأحلام تبخرت لأنها لم تكن إلا مجرد زيف، فالمدينة في نظر" مسعودة " صارت كالسراب، يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.

*** صورة المجتمع:**

لما نقرأ رواية ≺ غدا يوم جديد ≻ نشعر للوهلة الأولى مدى ارتباطها بالواقع الجزائري، وبمحدداته البشرية والجغرافية وكذا التحامها مع لحظة الواقع التاريخي الذي كان قبل الاستقلال أو بعده عبر العلامات المخصصة لهذا التاريخ من جهة الحدث الحاصل أو من جهة المظاهر الحضارية المصاحبة له... لذا فإن الرواية تقدم لنا صورة للمجتمع الجزائري كتاريخ و كواقع متغيرين...

- إنها تقدم لنا صورة ما كان (الماضي)
- صورة ما وقع (الحاضر)

---

①- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 296

- صورة ما وقع (الحاضر)

- صورة تداخل هذا الماضي والحاضر كصراع وتفاوت.

<< وهذا الواقع الاجتماعي الذي تعبر عنه الرواية يمشي أغلبية مكونات المجتمع ومؤسساته، الأسرة، المرأة، المدرسة، السياسة، العمران اللباس... و هي تعبر عن ذلك بما يشعر بوجود توتر وتعارض بين هذه المكونات>>①.

ومما لا مراء فيه أن المجتمع الذي نتحدث عنه خصوصا في فترة قبل الاستقلال وجد نفسه في أكثر من مرة يبحث عن وسائل الدفاع عن نفسه والدفاع عن هويته، ووجد نفسه في أكثر الأحيان يواجه عناصر تغيير تقتحم مؤسساته الاقتصادية والصناعية والعسكرية والسياسية و بخاصة في المرحلة الاستعمارية.

ولقد كانت لعملية الاصطدام بالاستعمار و ما نتج عنها من " مثاقفه " شأن كبير في تقوية أسباب التغير في كل مرحلة محددة..مرحلة الاستعمار ثم بعد ذلك في مرحلة الاستقلال التي نقلت الصدام إلى مستوى من التعامل والتبعية... أو كغزو ثقافي. و مع أن الرواية لم تر النور في مرحلة الاستعمار (باستثناء بعض النصوص المكتوبة بالفرنسية) فإنها في مرحلة الاستقلال، عبر عملية التاريخ والتذكر قد رسمت لنا بعض ملامح التغير الذي ظهر كتوتر و صراع ضد الأجنبي ومؤسساته وتقاليده

① - محمود الدغمومي: الرواية المغربية و التحول الاجتماعي، ص 76

التي تنظر إليها كعناصر تهديد للهوية القومية للمجتمع الجزائري سواء في التجارة أو في الأحوال الشخصية (علاقة الرجل بالمرأة) أو في مظاهر السلوك الفردي و الجماعي (التعليم، اللباس...) .

<< لقد كشفت الرواية الجزائرية بصورة أو أخرى، الوضع العام للمجتمع في مرحلتين: مرحلة الاستعمار التي تمثلت كذاكرة الجيل الذي عاش في هذه المرحلة... وتمثلتها كواقع معيش تمتد خيوطه في تسيج سيرة الكاتب أو مرحلة الاستقلال التي تمثلتها كمجال مكون لحياة الكاتب أو فضاء زمانتي لحيوات الشخصيات >> ①.

وإذا كان التوتر في المرحلة الأولى واضحا ويبرز الحدود والعوامل، بين ما هو أجنبي وما هو وطني إسلامي عربي... فإن التوتر في المرحلة الثانية مطبوع بالتعقيد والتشابك إذ اختفى العنصر الأجنبي وأصبح عنصرا غير مباشر وحل محله عنصر آخر اجتماعي آت من ظهور فئات اجتماعية تبنت ما كان يحتبر أجنبيا أو خلقت ما يشبهه ثقافيا واقتصاديا وسياسيا. وأصبح التوتر داخليا يدفع المجتمع إلى المزيد من التغير، وتحقيق التقدم حينا والانتكاس حينا آخر عندما يمر التوتر عبر السلطة السياسية المرتبطة بمصالح مؤقتة أو ظرفية لا تلبي طموح الفئات الواسعة من المجتمع، وتعمل على خلق توازن المصالح ولو كانت غير متكافئة وغير منتجة.

---

① - المرجع السابق، ص 77

إضافة إلى ذلك فقد رصدت الرواية ظواهر مختلفة، تميز بها المجتمع الجزائري، قديما و حديثا، ومن تلك الظواهر:

❶- ظاهرة الفقر:

لقد عانى منها المجتمع الجزائري ومازال يعاني إلى حد الآن، وهي إحدى نتائج مخلفات الاستعمار الفرنسي في الجزائر وهذا ما ورد على لسان مسعودة الراوية: << نحن لا نمتلك حتى الخبز الوشم لا يزال يذكرك في شبابك إلى الأبد ...>> ① و تعكس لنا الرواية صورا مختلفة لعائلات جزائرية فقيرة وهذا من خلال تصويرها للمستوى المعيشي الذي كان سائدا سواء من خلال المساكن التي كانوا يسكونوها و التي كانت معظمها مبنية من الطين و الديس أو من خلال لبساهم و غذائهم وهذا ما دفع بالبطلة إلى السفر نحو المدينة و قد اشتغلت خادمة في بيت إحدى المعمرات ، تقول مسعودة << الأوروبية التي اشتغلت عندها أخذتني ذات يوم إلى الشاطئ تجردت من ثيابها وأرادت أن تجردني من ثيابي >> ② وهي قيمة غريبة من عادات المرأة الجزائرية المحتشمة، وقد أراد الكاتب أن يقارن بين عادات وتقاليد المرأة الجزائرية في الماضي، وبين عادات المرأة المعاصرة، فعبرت الراوية عن ذلك بقولها:<< بنات القطن يستحين الآن بنا، وجدن أمامهن ما شئن من مساحيق التجميل والتطرية، يمكن المال لشراء الزيف >> ③

---

①- عبد الحميد ابن هدوقة: غدا يوم جديد، ص 16

②-المصدر نفسه ، ص 11-12

③- المصدر نفسه، ص 16

❷-الغيـــــرة:

ونستكشف ذلك مـــن خـــلال الصـــدام الـــذي وقـــع بـــين قـــدور ورجـــل المحطة، قدور ثارت ثائرته من أجـــل الـــدفاع عـــن قناعاتـــه، وكـــذا التعبيـــر عن القيم الوطنية التي آمن بها << إنه أحمق لا يفكـــر فـــي العواقـــب...الغيـــرة مشروعة، الرجل الشريف يغار علـــى زوجتـــه، لكـــن المحطـــة لكـــل النـــاس الذي يغار لا يركب القطار، و لا يســـكن فـــي المدينـــة، المدينـــة كنهـــا رجـــال كالطواف حول الكعبة >①، هذا ما عبر عنـــه الـــراوي علـــى لســـان الحـــاج أحمد، والكاتب هنا أراد أن يلقي الضوء على بعـــض طبـــائع الفـــرد الجزائـــري التي تربى عليها وورثها عـــن الأبـــاء والأجـــداد، وهـــي الغيـــرة ... الغيـــرة على الوطن وعلى الزوجـــة، وعـــدم الصـــمود للـــذل والهـــوان، فهـــو يـــدافع عن وطنه وعن مجتمعه وأهله مهمـــا كانـــت الظـــروف، و تحركـــه فـــي ذلـــك الغيرة على الوطن و على الأهل و هـــذا خوفـــا مـــن المســـتعمر الـــذي جـــاء ليجرد الجزائريين من حقوقهم المادية و المعنوية.

❸- الحقد والكراهية:

تتجلى هذه الصفة بوضوح من خـــلال موقـــف الـــدركي الأهلـــي مـــن قدور والذي عامله بوحشية وكراهية وحقد فاقـــت وحشـــية الـــدركي الفرنســـي نفسه، وقد تجسدت هذه الكراهية أكثـــر أثنـــاء اســـتنطاقه لقـــدور، والاســـتهزاء به، والمساس بشرفه عن طريق الكلام الفاحش الذي تحـــدث بـــه عـــن مســـعودة

---

①- المصدر السابق، ص 296

زوجة قدور و هو يتعمد بذلك إذاية قدور جسديا ونفسيا، ويظهر معنى الكراهية كذلك في موقف وكيل طلبة الزاوية، حيث شبه معاملته للطلبة بمعاملة الضباط الفرنسيين للأهالي، وقد وصفه الراوي على لسان رجل المحطة :<< وهو عبارة عن سرجان حقيقي من سرجانات الجيش الفرنسي الكولونيالي لما يتحلى به من أخلاق : السخرية، العنف، القسوة والبذاءة >> ① ، هذه الكراهية التي حولت الإنسان إلى وحش مفترس يفتقد إلى أدنى الصفات الإنسانية والحضارية هي الصفة التي تعاملت بها فرنسا مع الجزائريين ،وقد عملت على زرعها وتشجيعها بين الأهالي بصور مختلفة.

❹- الجشـــع:

وقد جسد الكاتب هذه الصفة أكثر في فئة العملاء والقياد والانتهازيين، وهي الفئة الواسطة بين الأهالي والإدارة الفرنسية مثل الحارس، والشانبيط، والوشاة من الأهالي، فالشانبيط قد يقبل على خرق القوانين والأوامر في سبيل الحصول على المال، ويقوم عزوز أيضا بخرق الأعراف والعادات و لا يتورع في ارتكاب جريمة عظمى (الخيانة) من خلال إفشائه سر المخفي بن المرابط للسلطات الفرنسية من أجل الحصول على مكسب مادي أو مركز اجتماعي، وقد وصفه الراوي على لسان باية قائلا:<< إنه رجل جشع، قاس ظالم، يبيع أمه لو كانت له أم من أجل المال!

① - المصدر السابق، ص 93

كل شيء عنده يباع، قد يكون باع المخفي للدرك والجيش الاستعماري من أجل المال من يدري ؟>>① ، إلا أن لحظات صحو تنتابه من حين لآخر خلال فترات قصيرة، يؤنب فيها نفسه على ما اقترفه من سيئات ومن ذلك تأنيبه لنفسه عندما استمع لتعليق أحد الشبان الوطنيين على احتفال فرنسا بالذكرى المئوية على احتلالها للجزائر، فقد ردد في نفسه هذا القول:<< إنه يكره نفسه في تلك اللحظات، يكره نفسه التي تطيع السلطة من أجل تعرية الأموات >> ②.

يعبر الكاتب عن الواقع الاجتماعي الذي كان سائدا في الجزائر وعن مدى قساوة المجتمع في حد ذاته، من خلال معاملة الأفراد لبعضهم البعض، وما يكنه الواحد منهم للأخر، مؤكدا على أن هذه الأسباب هي التي هزت كيان المجتمع، وخلخلت أركانه، وجعلته يحيا حياة التعاسة والبؤس والشقاء، وكأنه يريد بذلك << إعادة إنشاء الإنسان الذي أضعفته الحياة العصرية و مقاييسها الموضوعة >> ③.

❺- الحب:

تناوله الكاتب بصورة سطحية، وكأن الحب الحقيقي لم يعد موجودا في الواقع، خاصة وأن كل واحد من أفراد المجتمع صار يجري وراء المصلحة الشخصية، وقد جسد الكاتب هذا النوع من الحب في علاقة

---

①- المصدر السابق ، ص 93

②- المصدر نفسه، ص 112

③-أليكس كاريل: الإنسان ذلك المجهول، ترجمة شفيق أسعد فريد، مكتبة المعارف، بيروت، 1998، ص353

خديجة بمحمد ابن سعدون << حب بدأ صغيرا ثم ترعرع، لكنه بقي في مستوى الأمل. لم يتجسد ولو بقبلة ! ذات يوم حاول محمد في غفلة من العين أن يختلس قبلة، لكن خديجة رفضت قالت له << لا، بعد أن نتزوج !>> ① ، أراد الروائي أن يكشف عن خفايا النفس البشرية، والتي تميل دائما إلى ما هو جميل، ذلك أن محمد بن سعدون كان يمثل رمز الجمال في القرية، ولهذا أحبته كل فتيات ونساء القرية وبالإضافة إلى الجمال الذي اشتهر به محمد بن سعدون فإننا نجد إسمه قد اقترن بالفرس والفروسية، فقد كان فارسا وهذا ما جاء على لسان الراوي:<< محمد اشتهر بجماله واشتهر أكثر بفرسه الزرقاء...الفرس في الدشرة لا يملكها إلا ثري، ومحمد فقير، لذلك ارتبطت شهرته بفرسه الزرقاء >> ② ، وكثيرا ما تحيل الفرس إلى دلالات عديدة، وإلى رموز كالأصالة والفروسية والشجاعة والنجدة و النخوة والبطولة والقوة، وهي دلالات تعبر في مجموعها عن مجتمع جزائري أصيل. كما جمعت علاقة حب أخرى بين " باية " وزوجها " المخفي " إلا أن أهم علاقة حب على مستوى النص كله هي علاقة الحبيب ابن الحاج أحمد بشخصية " مسعودة "، حيث إن إسمه يدل على مسماه وأن حبه لمسعودة المرأة يتناسخ مع حبه للوطن، وحبه لوحدة المغرب العربي، وذلك من خلال حبه لنجاة التونسية وكذلك حبه لحزب نجم شمال إفريقيا إنه يحب كل ذلك، من خلال حبه لمسعودة.

---

① - عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 147

② - المصدر نفسه، ص 146

من بين الظواهر والسلوكات السيئة التي كانت منتشرة في المجتمع الجزائري حينها والتي زعزعت كيانه والتي أدت به إلى حياة البغض والأنانية، الإشاعات و المناوءات وكثرة الأقاويل وقد جسد الكاتب ذلك من خلال حديثه عن الدشرة: << إن العين في الدشرة كالحمام في المدينة ... و فيها أيضا تتناقل الإشاعات والغراميات والاتفاقيات >> ① فكانت كثرة الاتفاقيات و الإشاعات بين الناس هي التي ولدت نقمة قدور على محمد بن سعدون الذي كان على علاقة مع خطيبته خديجة انتهت بافتراقهما دون قصد، وقد أوشك قدور أن يقتل محمد لولا أن أحد المارة حال دون ذلك حينما أبعد قدور عن محمد، وقد عبر الكاتب عن هذه الإشاعات الماكرة في شكل أغاني :

آه يا العودة الزرقا أشربي من راس العين

مولاك محمد ركبوك ناس آخرين②

وبالتالي<< فإن البناء الخطي في الرواية يحل محله بناء صوتي يعبر عنه بصور متعددة >>③ ، فقد أراد الكاتب بهذه الأغنية أن يبين اقتران اسم خديجة بمحمد بن سعدون الذي سميت عليه منذ صغرها، ولكن خديجة كغيرها من الفتيات تتطلع إلى حياة أفضل هي حياة المدينة، لذلك ارتبط وجودها الرمزي في الرواية بقدور الذي خطبها وكاد يتزوج بها، لولا

---

① - المصدر السابق، ص 147

② - المصدر نفسه، ص 147

③ - ميشال بورتور: بحوث في الرواية الجديدة، ص92

حدوث بعض المنغصات، التي جعلته يكتشف أنها لا تمثل نموذج المرأة الذي يتطلع إليه، والذي يمزج فيه بين الصفات الأصلية والوافدة بما يتلاءم مع مقومات المجتمع وتطلعاته، لأن التقاليد قد خنقت حرية خديجة وتطلعها إلى المستقبل، والمدينة من خلال الوشم، كما يقول الراوي: << ميثولوجيا ذلك الماضي السحيق، وأخاديد الكبت الذي عرفته المرأة على تعاقب الأجيال... خديجة لن تذهب إلى المدينة بوجه من ورق أبيض ستذهب بوجه مكتوب يحدث الناس عن أحلام القرية >>①.

فقد أراد الكاتب من خلال الحديث خديجة، تجسيد قصة الدشرة في الثلاثينات، دالك أن الوشم هو الذي عن أصالة المجتمع بصفة عامة والفرد بصفة خاصة، وهو الذي يربط المجتمع بعادات وتقاليد راسخة، حتى وإن أراد التغيير، فيبقى الوشم هو الذي يربطه بأصالته وهذا ما عبر عنه الراوي قائلا:<< لكنها إن صارت مدنية لدى سكان الدشرة فإن المدينة لن تنسى لها قرويتها... سوف يذكرها وجهها الموشوم إن نسيت ذلك >> ② .

وبالإضافة إلى ذلك فقد استخدم الكاتب كلمة الوشم، ليعبر بها عن وسائل وأدوات الزينة القديم، على عكس اليوم، حيث تطورت أدوات التجميل ولم يعد للوشم مكان في المجتمع المتحضر.

---

①- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 132

②- المصدر نفسه، ص 133

كما تناول الكاتب أيضا موضوع المرأة الريفية الخاضعة والمغلوبة على أمرها، والمرتبطة بعادات وتقاليد مجتمعها والتي تعيش حياة البؤس والشقاء في البيئة الريفية مركزا أكثر على الدشرة، التي تمثل عدة قيم كالرتابة والخصاصة، ضرة الأم، زوج الأب، ورد ذلك على لسان الراوية مسعودة حيث تقول:<< أيامي، يا لأيامي طفلة ! زوج أمي أرغم قدور على خطبتي، و أرغم أمي على الموافقة، أنا فرحت، حلمي كان اسمه المدينة ! الآن صار مكة ! ثم رحل إلى الدار الآخرة، رحمة ربي واسعة >> ① .

وبالتالي فالمرأة الريفية عادة ما تكون خاضعة إلى سلطة أكبر منها، تجسد ذلك من خلال موقف عزوز رجل الأم، حين أرغم زوجته " باية " على تزويج ابنتها مسعودة بقدور غصبا عنها، وبالتالي رأينا في الرواية نموذج آخر من المرأة، إنها المرأة الريفية المهزومة، والتي شكلت طرفا آخر غير قابل للدخول ضمن حلبة الصراع الاجتماعي فهي لم تخلق لممارسة العمل الثوري المنتج، ولتكون فعالة في المجتمع، خلقت فقط لتكون آلة إنجاب وجنس، وهذا التصور يكرس الإيديولوجية الإقطاعية والرأسمالية، بكل أخلاقياتها وتاريخ الجزائر يكذب هذه الأطروحة بكل وضوح، إن الثورة التي أدمجت المرأة والتي أنجبت جميلة بوحيرد، وفاطمة نسومر، وغيرهما وأنتجت الفتاة المتطوعة والممرضة

① - المصدر السابق، ص 150

والمناضلة في صفوف الجيش دليل صارخ يسقط كل هذه الأفكار والاتهامات.

و في ضوء ما سبق نخلص إلى ما يلي:

1- يمكن وضع تفسير إجمالي للمجتمع الذي تتم دراسته عن طريق مستويات ثلاث:

☜ **المستوى الاقتصادي**: العمل على تحويل وتطوير الإنسان داخل مجتمعه.

☜ **المستوى السياسي**: العمل على تنظيم الحياة الاجتماعية وفق متطلبات السلطة (أهدافها) مهما كانت مرتكزاتها.

☜ **المستوى الإيديولوجي**: إن علاقة الإنسان بنشاطاتها في هذا العالم يتم التعبير عنها بكل أنواع الكلام. ①

2- لم يكن عبد الحميد ابن هدوقة ذلك الإصلاحي الذي يسعى إلى التوفيق بين المتناقضات داخل المجتمع عن طريق الفكر النقدي المهادن، بل كانت رؤيته منبثقة من فكر ثوري ذي توجه جذري يؤمن بالمستقبل وبالعلم والإنسان.

3- تمثل قضية المرأة في المجتمع الجزائري انشغالا أساسيا لدى عبد الحميد بن هدوقة، و لاسيما في رواية ﴿غدا يوم جديد ﴾، ولعل معاناته الشخصية، في علاقته بالمرأة في وسط محافظ يكبت الحريات

---

① -C. ACHOUR ET AUTRES CONVERGENCES CRITIQUES P263

الفردية، ويفرض معاملة خاصة للمرأة ومواصفات معينة لنمط سلوكها العام، كان عاملا أساسيا في موقفه الثوري من هذه المسألة.

4- إن القول بالمجتمع التقدمي الذي يوميء له الكاتب عبد الحميد بن هدوقة يصدر عن جهل بالمجتمع، ذلك أن المجتمع لا ينهض على المساواة المحضة، و لا يخلو من الصراعات...بل يمكن القول بأنه لا مجتمع يتحرك أو يتغير من غير نزاع و توتر، أو من غير تفاوت وتفاضل << فحينما اعترف المجتمع العصري بالشخصية كان عليه أن يقبل عدم مساواتها..فكل فرد يجب أن يستخدم تبعا لصفاته الخاصة >>①

وبهذا المعنى فالمجتمع هو جملة من عوالم وقطاعات وفئات، ومستويات مختلفة، متفاضلة، و متنازعة، منها ما يتقدم أو يتأخر، منها المركز أو الطرف، منها المحظوظ أو المحروم، منها ما هو فوق ألأرض وهناك ما هو تحت الصفر، منها ما يتطور بسرعة قصوى، وهناك ما يسير ببطء شديد. وبهذا المعنى فلكل عصر أنواره وظلماته، ولكل عقل نقائضه و لا معقولاته، تماما كما أن لكل مجتمع مركزه وهوامشه، جوانب تقدمه و مظاهر تخلفه.

5- عكست رواية ﴿غدا يوم جديد ﴾ موقفا انتقاديا تجاه الواقع الاجتماعي، ولم يكن هذا الموقف وليد تحليل شمولي لهذا المجتمع

---

①- أليكسيس كاريل: الإنسان ذلك المجهول، تعريب شفيق أسعد فريد، مكتبة المعارف، بيروت 1998، ص 354

أو إدراك موضوعي لأبعاده، وإنما هو محاولة للتعبير عن صورة واقع أخذ في الانهيار لمصلحة صورة جديدة، ليست هي البديل المطلوب.

6- إن عبد الحميد بن هدوقة في رواياته عامة، وفي رواية ➢غدا يوم جديد ➢خصوصا، مرتبط ارتباطا وثيقا ومتواصلا مع المجتمع الذي يعيش فيه، لقد ربط روايته بحركة تطور المجتمع عبر مراحل مختلفة، وساير بذلك عصرا كاملا بمختلف نجاحاته وتوجهاته وآلامه وآماله وكل حيثياته .

7- نلمح في الرواية نوعا من التأثر والأسي، وذلك بالتخلي عن المبادئ والمشاريع التي تحمس لها الكاتب آنفا، حيث تبخرت أحلامه و خابت آماله في رؤية مجتمع متكافئ خال من الاستغلال والرجعية.

8- لم يقدم لنا الكاتب في هذه الرواية تصورا محتملا، يجعلنا نتفائل بإمكانية إصلاح هذا الواقع، الأمر الذي يجيز لنا القول بأن رؤية الكاتب ذات صلة بالوجودية، لأن الحل عنده يكمن في ترك العنان لمخيلة القارئ تبحث عن صورة ثالثة، تتضمن استمرار وجوده، وتحقق رغباته وهو ما يؤدي به إلى الضياع والخوف والقلق من الغد المجهول.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

* القضايا الثقافية:

لقد عرضنا في سياق دراستنا لرواية ﴿غدا يوم جديد ﴾ إلى القضايا السياسية الثورية والقضايا الاجتماعية، وسنحاول أن نعرض أهم القضايا الثقافية التي حفلت بها هذه الرواية... وقد أراد الكاتب من خلالها أن يحيلنا على ثقافة، جيل الثلاثينات، التي اتسمت بالتفاوت، والاختلاف، والتضارب، نظرا لاختلاف المصادر الثقافية والمشارب الإيديولوجية في تلك الحقبة، وقد استعان الكاتب في إبراز هذه الثقافة من خلال شخوص الرواية و لاسيما شخصية الراوية ...ولاسيما شخصية الراوية " مسعودة " التي تنم عن ثقافة واسعة ومتشعبة لدى الكاتب إكتسبها من إطلاعه الواسع ،واحتكاكه بمختلف شرائح المجتمع ولهذا جاءت الراوية بما يشبه الموسوعة الثقافية لم تترك موضوعا إلا تناولته،و لعل إصرار الراوية " مسعودة " على أن تكتب ذاكرتها بقلم أديب لا بقلم مؤرخ جاء من حرصها على هذا الموروث الثقافي الزاخر، إذ المؤرخ يكتفي بربط الأحداث بفضائها الزماني و المكاني، و لا يجشم نفسه عناء البحث عن الخلفية الثقافية التي تكتسي هذه الأحداث و تحركها لذلك تقول الراوية :<< إياك أن تمسخني أنت بقلمك ،إن القلم إلاه صغير يخلق من العدم مخلوقات تفرح وتتألم، دع المسخ لأهل المسخ أرجوك صورني كما يملي عليك خيالك، إلا المسخ! ...ضعني حيث

شئت، لكن الأحداث، أروها بصدق الأديب، لا بصدق المؤرخ >>① إذ لا يستطيع المؤرخ على الرغم من أنه يسرد أحداثا أن يكون روائيا كما أن الروائي لا يستطيع أن يكون مؤرخا<< فكل واحد منهما يستقل بمهنته عن الآخر، ويختلفان في طريقه سرد الأحداث، فإذا كان المؤرخ يلتزم الحقيقة فيسرد الأحداث كما شاهدها، أو كما رويت له فإن الروائي يعتمد التخيل في سرد الأحداث، فيحذف، ويضيف، يقدم يؤخر، حتى الروائي الذي يكتب الرواية التاريخية ليس مؤرخا، و لو أراد ذلك لالتفت إلى كتابة التاريخ على طريقة المؤرخين، إنما يفعله الروائي الذي يكتب رواية تاريخية هو تقديم أحداث التاريخ في قالب قصصي أي أنه لا يؤرخ، بل يتخذ التاريخ موضوعا للسرد، ويخضع المادة التاريخية لطبيعة الفن الروائي كالتخيل والحبكة والتشويق >> ②.

فالراوية " مسعودة " ترفض مسخ الذاكرة وتريد نقل الموروث الذي لا تجيد كلماتها رسمه، و لا تستطيع تصوير معانيه ونقلها إلى جيل الثمانيات نقلا أمينا << أكتب من كل ذلك، أرجوك، قصة يقرأها الأطفال الذين ولدوا في المستوصفات والمستشفيات، ودثروا في القطن الناعم حدثهم عن الأطفال الذين ولدتهم أمهاتهم على أدخنة الحطب الأخضر ولدتهم وأيديهم ممسكات بحبال معلقة في السقوف السوداء>> ③ .

---

①- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص21

②- محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق2002، ص102

③- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد ، ص 14

والراوية بذلك تريد أن يجد فيها هذا الجيل الزاد الذي يعينه من أجل أن يرى ويعيش غدا جديدا وأفضل، لأن أكتوبر وأحداثه الدامية قد أنطفها ووضعها على المحك، لقد عم الحقد والكراهية، أبناء هذا الشعب...وأصبح كل شيء ينذر بالفناء، إن الأمة التي تشكر لماضيها يخونها الحاضر والمستقبل، إذن ما الذي جعل جيل أكتوبر ينحو هذا المنحنى، ما سر اختلافه عن جيل الثورة ؟ ومبادئها ؟ ...إنه جيل انفصل عن ثقافة ماضيه الأصيل وراح يبحث عن ثقافة من وراء البحر << أبحث عن الشيء في كل مكان، وهو بين يدي، كالجزائر ! تبحث عن الغير عما هو بين يديها !؟ >> ①، إنه جيل لا يريد أن يأخذ الدرس من ماضيه، بسلبياته وإيجابياته << العبر تمر و لا نعي الدرس، تلك أخطاء الأمس، ظننا أن الحرية توحد بيننا كما وحدنا الخوف >>②،...واستقلت الجزائر وكبر حلمنا الأخضر في جزائر عظيمة، ينعم أبناؤها بالحرية والعدالة والمساواة ولكن أكتوبر أفسد هذا الحلم وذكرنا بماض أضعناه في كتب التاريخ المنسية << أكوام الزجاج التي ملأت الأنهج، أدخنة الغازات والسيارات والبنايات المحترقة أزيز الرشاشات والبنادق والدبابات ذكرنى في 11 ديسمبر وأياما أخرى ... لكن دماء أكتوبر سالت في الشارع الذي بنته الرذيلة والنسيان ! ودماء ديسمبر سالت في الحلم الأخضر ! ذلك هو الفرق ! لابد أن لا ننسى هذا >>③.

---

①- المصدر السابق، ص 20

②- المصدر نفسه، ص 20

③- المصدر نفسه، ص14

ولا ننسى كيف تصارعت الأفكار و تنوعت الأحداث << ووجدوا الجزائريون أنفسهم، بعد مضي بضعة عقود من السنين على الاحتلال مضطرين إلى إشباع حاجاتهم الفكرية والثقافية، لأن إدخال التقنيات والبنيات الحديثة بطريقة فجائية، أصبح يعرضهم لا للانحطاط والتخلف فحسب، بل كذلك للانهيار التام >> ①، وهذا ما حدث لجيل أكتوبر الذي عاش ولسنين طويلة في سراب خادع، وتحت أضواء كاذبة،... إنها أضواء المدنية الغربية، بكل ما تحمله هذه العبارة من معاني الاستلاب، وفقدان الهوية،...والتبعية الفكرية والثقافية، ذلك أن << المدنية جاءت في أوروبا نتيجة لحوادث ذات حتمية تاريخية وثقافية، أما انتقالها إلينا فكان نتيجة الاستعمار، ولم تكن نتيجة لحياة اجتماعية وثقافية خاصة أنتجتها، فكان الأمر كشجرتين إحداهما نمت وتضخمت بسبب غذائها الداخلي والأخرى بسبب لصق أوراق وفروع عليها من الخارج وشتان بين الوضعيين>> ②.

لابد أن نعود لنكشف الغطاء عن الزخم الثقافي الذي عاشه جيل الثلاثينات، وكيف انبثق عنه أبطالا صنعوا مجد الجزائر وماتوا من أجلها لتبقى صورهم حية في وجه جيل، وجد كل شيء في متناوله، من دون جد و لا كد ...إنه جيل القطن ! والذي إضافة إلى كونه يتميز باستهلاكه

---

①- مصطفى الأشرف: الجزائر الأمة و المجتمع، ترجمة د.حنفي بن عيسى،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983، ص424

②- عبد الله شريط: معركة المفاهيم، ص 79

للجاهز، فإنه يلاحظ عليه وجود نمطين من التفكير:<< النقد المفرط الذي يخلق جوا مأساويا وقلقا ومثبطا، والرضا الأبله الذي يخلق حالة الاطمئنان القدري العاجز>> ①.

إن القضايا الثقافية التي عرضها الكاتب، وبثها في ثنايا الراوية قد تجسدت ، في شخوص الرواية وفي فضائها المكاني المتمثل في الدشرة، والقرية والمدينة، وفي البيوت والمدارس... و كذلك فضائها الزماني والذي يصادف حدثين هامين الأول الاحتفال بالذكرى المئوية لاحتلال فرنسا للجزائر، والثاني أحداث أكتوبر الدامية،...فمن الحب والزواج إلى العادات والتقاليد والأساطير... إلى العلم والدين والسياسة لأن الثقافة هي سلوك وممارسة تعكس حياة مجتمع من المجتمعات.

*** الولادة /الزواج /الموت :**

يتجلى الموروث الثقافي الشعبي في رواية عبد الحميد ابن هدوقة ﴿غدا يوم جديد ﴾ ، من خلال الدورة الثلاثية التي يمر الإنسان عليها في حياته، وقد أشار المؤلف إلى طقوس الولادة في الريف وشخص من خلالها معاناة المرأة الريفية أثناء الولادة، ويصبح الحبل المربوط في عمود السقف سدا قويا تستعين به الحامل على ألمها أثناء المخاض وهذا ما جاء على لسان الراوية:

---

①- عبد الله شريط: معركة المفاهيم، ص 145

<<... حدثهم عن الأطفال الذين ولدتهم أمهاتهم على أدخنة الحطب الأخضر، ولدتهم وأيديهم ممسكات بحبال معلقة في السقوف السوداء >> ① .

وتناول ابن هدوقة كذلك مراسيم الزاوج الشعبي، و تشمل الخطوبة الشعبية وقوادها كاختيار الزوجة الذي يقوم على سلطة الأولياء، فالعمة " حليمة " هي التي اختارت " خديجة " لتكون زوجة لابن أخيها قدور.

- هي طفلة صالحة، أنا أرى أن تتزوج بها، لن تجد أحسن منها.

- بمن ؟

- بخديجة >> ②

إن ثناء العمة " حليمة " على هذه البنت، جعل قدورا يتعلق بها، وبعد أيام، تمت الخطوبة بصفة رسمية << افرحي يا أم الوليد الفرح جاك يا لآلآ ! >> .

<< جبناها من رؤوس ...

قدمت ربي والنبي محمد من قدم الله لا يخيب على شيء >> ③... هي أغاني كثيرا ما ترافق مراسيم الخطبة والزواج في الريف تكون ممزوجة بالزغاريد،...إنها سمفونية الزواج الريفي، ويدفع المهر للعروسة، ثم يبدأ التحضير للعرس، بشراء لوازم الحفل والوليمة << اشتر قنطارا و نصفا أو قنطارين من القمح، وشاة أو ثنتين، أنت و ما ترى

---

①- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 14

②- المصدر نفسه، ص 117

③- المصدر نفسه، ص 131

<<... حدثهم عن الأطفال الذين ولدتهم أمهاتهم على ضفة الحطب الأخضر، ولدتهم وأيديهم ممسكات بحبال معلقة في السقوف السوداء >> ① .

وتناول ابن هدوقة كذلك مراسيم الزواج الشعبي، و تشمل الخطوبة الشعبية وقوادها كاختيار الزوجة الذي يقوم على سلطة الأولياء، فالعمة " حليمة " هي التي اختارت " خديجة " لتكون زوجة لابن أخيها قدور.

- هي طفلة صالحة، أنا أرى أن تتزوج بها، لن تجد أحسن منها.

- بمن ؟

- بخديجة >> ②

إن ثناء العمة " حليمة " على هذه البنت، جعل قدورا يتعلق بها، وبعد أيام، تمت الخطوبة بصفة رسمية << افرحي يا أم الوليد الفرح جاك يا لالا ! >> .

<< جيناها من رؤوس ...

قدمت ربي والنبي محمد من قدم الله لا يخيب على شيء >> ③... هي أغاني كثيرا ما ترافق مراسيم الخطبة والزواج في الريف تكون ممزوجة بالزغاريد،...إنها سمفونية الزواج الريفي، ويدفع المهر للعروسة، ثم يبدأ التحضير للعرس، بشراء لوازم الحفل والوليمة << اشتر قنطارا و نصفا أو قنطارين من القمح، وشاة أو ثنتين، أنت و ما ترى

---

①- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 14

②- المصدر نفسه، ص 117

③- المصدر نفسه، ص 131

كذلك لا تنسى القهوة والسكر والزيت والفلفل الأحمر والبصل، و كل ما يلزم لإعداد الطعام، سوف يأتي للوليمة كل السكان، سواء دعوتهم أم لم تدعهم >> ① ، وبالتالي، تطرق الكاتب إلى موضوع الزواج من جانبه الثقافي، في كيفية فهمه وممارسته، فقد أحالنا إلى الكيفية التي يختار بها العريس زوجته، وكيف يتم التحضير للعرس، و ما هي أهم العادات والتقاليد التي تتحكم فيه، وما هي الظروف النفسية التي يتم فيها عقد القران، هذا القران الذي ينظر إليه القرويين بوصفه وسيلة لحماية المجتمع من الفتن،...و وسيلة للتناسل و التكاثر، فالكاتب إذن كشف لنا عن فلسفة الزواج في حقبة زمنية ماضية.

كما أورد مراسيم الوفاة في الرواية، من خلال موت " محمد بن سعدون " وقد تم الإخبار بموت محمد عن طريق أغنية حزينة استيقظت الدشرة ذات يوم على مقاطيعها الدامية :

<< ضربوه في صفية عيسى >>

آه، ياالاميمة والقلب لا بى ينسى >> ②

لقد قتل محمد بن سعدون<< كم روع الدشرة مقتل محمد ! كل النساء حزن ! وجد ملقى على حجر، مضرجا بدمائه، اخترقت رصاصة الجزء الأيسر والثانية بطنه >> ③.

إن قتل محمد بن سعدون هو اغتيال للغرام في قلوب فتيات الدشرة .

---

① – المصدر السابق، ص 138

② – المصدر نفسه، ص 161

③ – المصدر نفسه، ص 119

الإنسان في البيئة التقليدية، و من هذه الأذكار ما جاء على لسان الراوية : << قدور القامبة ، شراب اللامبة >> ①

*** الوشم: لغة الجسد:**

إن الوشم لغة معقدة، وقد تعلق بها الرجال والنساء منذ زمن بعيد و هو بالإضافة إلى كونه وسيلة من وسائل التجميل والزينة، يحمل ميتولوجية الماضي، وما ثورة قدور على " خديجة " الواشمة، إلا دليل على ذلك << قال لها بسخط مضغوط إنك ندبت وجهك حولته إلى حصير، ألا تدرين أنك قضيت علا جمالك إلى الأبد ..>> ② والحقيقة أنها لم تقض على جمالها، بل أعطت لنفسها رمز القروية، و كأن الوشم هنا يعبر عن هوية المرأة الريفية، إذ كان قدور يريد أن يمسخها إلى مدنية، مثل الأوروبيات اللاتي يشاهدنهن في شوراع العاصمة و في الميناء حيث يعمل، ولكن الوشم في البيئة العربية و الجزائرية ليس عيبا، إنه موجود منذ القديم، ألم يشبه الشعراء الآثار الباقية بالوشم ؟

لخولة أطلال ببرقة تمهد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد !

وقد يعبر الوشم أحيانا عن الكبت والانحراف، وهذا ما نلمسه من خلال حديث الراوية مسعودة عن قدور:<< كان بذراعه وشم، يصور قلبا يخترقه سيف! ترى سيف من؟ كان بذراعه قبل أن نتزوج، سألته مرة قال :<< محنة و المحاين بزاف !>> .

---

①- المصدر السابق ، ص 186

②- المصدر نفسه، ص 20

الحب محنة ! يا ناس ! قلب الفقير يدميه الحب الممنوع، قلب الغني يخنقه الشحم ! أنا أحببت فتى والحب بدأ وانتهى هناك قبل أن يفقس >> ①

وقد رسمت المرأة الواشمة على خدي خديجة علامة زائد، ثم أخذت إبرة وراحت تخز وخزا متواليا << حتى برز الخطان المتقاطعان بشكل مجسم وصارت " الدبانة " كما سمتها الواشمة، واضحة على خدي الفتاة >>② ، وقد يشير هذا الرسم إلى رمز الصليب الذي يدل على تأثر بعض مناطق المغرب العربي في العهود القديمة بالديانة المسيحية >> ③ والوشم في شموليته يعكس عند هذه الشخصية الثانوية في الرواية عملا فنيا متقدما في دقة صنعه ومهارته << كانت هذه الواشمة من أمهر اللواشمات، أغلب نساء الدشرة يفضلن وشمها، لأنها في نظرهن كانت تحسن الرسم، خطوطها مستقيمة، دقيقة، لا خلل فيها، نتيجة لتجربتها الطويلة في الرسم على الأواني الفخارية، وكذلك في " رقم " الزرابي فهي تعرف العشرات من الأشكال المختلفة و تسميها بأسمائها الحيوانية أو النباتية أو الاجتماعية أو الأسطورية أو الدينية ...>>④

*** الشخصيات الأسطورية:**

الأسطورة هي سرد قصصي مشوه للأحداث التاريخية، تعمد إليه المخيلة الشعبية، فتبتدع الحكايات الدينية والقومية والفلسفية، لتثير بها انتباه الجمهور ⑤

---

①- المصدر السابق ص 16

② - المصدر نفسه، ص 126

③-عبد الحميد الحميد بوسماحة:الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بنهدوقة،ص205

④- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد ، ص 126

⑤-BRUNEL ET AUTRES QU'EST CE QUE LA LITTERATURE COMPAREE P135

والأسطورة تعتمد عادة على تقاليد العامة وأحاديثهم، فتتخذ منها عنصرا أوليا ينمو مع الزمن بإضافات جديدة، حسب الرواة والبلدان فتصبح غنية بالأخيلة و الأحداث والعقد، و قد تكون الأسطورة من صنع كاتب أو شاعر معين غاص على أحلام شعبه وأدرك العوامل المثيرة له و توسل بأسلوبه الخاص فوضع أسطورة معينة، ما تلبث أن تصبح مع مرور الزمن من الفولكلور المحلي أو التراث الشعبي.

والشخصية الأسطورية، هي شخصية تتميز بصفات عجيبة، خارقة للعادة، وهذه الشخصية، لم تهيمن على المتن الحكائي لرواية ﴿غدا يوم جديد ﴾ بسبب تركيزها الواقعي على حدثين مركزيين، كما ذكرنا ذلك مرار إلا أنه يمكننا أن نلتمس بعض ملامح الشخصية الأسطورية من خلال شخصيتي المخفي بن المرابط و قدور.

1- المخفي بن المرابط :

يتركب اسم هذه الشخصية من " المخفي " و " المرابط " فالأول "المخفي" يدل على اسم أو شيء ما وقع عليه فعل الإخفاء، أي بمعنى انتقل من المعلوم إلى المستور، أو أنه لا يزال محتجبا غير معلوم بعد و لم يعلم أمره بعد أيضا، و يدل الاختفاء هنا على خرق الموجود يفسره النص باختراق الأوامر التي اصطنعتها فرنسا لتحد من حرية وسيادة المواطن الجزائري، بينما في نظر الإدارة الاستعمارية، فهو خرق لأوامر يستوجب بالتالي تعقب صاحبه، و تعريضه للعقاب أما "المرابط" فلقب ديني لدى

العامة، ويطلق على الشخص الذي يقرأ الغيب. أي البحث عما هو منشود أو مضيع كما يطلق هذا الاسم أيضا على الشخص الذي " يهدر" الكلام إلا أن اسم "المرابط" لدى الخاصة يدل على الشخص الذي يرابط الأعداء و يتربص للإيقاع بهم، ومن ثمة الانقضاض عليهم، وكل هذا يستوجب الاختفاء و عدم الظهور ① .

نستخلص من هذه القراءة أن هذه الشخصية " المخفي بن المرابط " تقوم بإنجاز أفعال لا ينوي غيرها من الشخصيات على القيام بها، و يدل هذا على أن الأعمال المحققة، من قبلها تتصف بخرق للواقع الموهوم ومكلف بالقيام بأدوار على مستوى المتن الحكائي تتميز بخرق الأفعال المتآلف عليها .

و تضاف إلى هذه الأدوار التي تقوم بإنجازها شخصية المخفي عناصر أخرى تكون شخصيتها، مثل جمال الشكل الخارجي، وجود صلته بالمجتمع الأهلي، وحبه لأهالي الدشرة البسطاء.

و قد تميزت الأقوال التي وصفته، بالمبالغة و التضخيم، بحيث رفعته، من مستوى الفرد البشري إلى مستوى الفرد الأسطوري، إذ توفر فيه كل صفات الجمال، وكل صفات القوة، وصفات النبل، كما اشتركت جميع الشخصيات الأهلية في تضخيم شخصيته مسقطة عليها كل صفات النبل والقوة والجمال والوفاء للوطن، والإخلاص للأهالي المسحوقين ②

---

①- شريبط أحمد شريبط: سيميائية الشخصية الروائية، تطبيق (فيليب هامون) على شخصيات رواية<غدا يوم جديد>، كتاب السيميائية والنص الأدبي، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، ماي 1995، ص 218

②- المرجع نفسه، ص 218

فمن ذلك كلام ابنته خديجة عنه :<< التحق بالجبل من الظلم، وشيب رؤوس الكفار، كانوا يرونه في كل مكان، وقرأ في الدنيا كلها >> ① كما وصفته زوجته "باية" بأوصاف تنطبق على الشخصية الخارقة ومن أوصافها قولها عنه:<< كم كان جميلا المخفي ! تغنت به فتيات الدشرة لكن ! المخفي كان في رأسه أغنية أخرى، لا تعرفها سوى الجبال! حلمه كان أكبر من الغراميات، بلغ الرشد في سن مبكر، لم يكن كالشبان الآخرين، كان يحب كل فتيات الدشرة، يحب كل الناس الطيبين كل المحرومين والمسحوقين، صوره أحد القرويين تصويرا لا يصل إلى تحقيقه ريشة الرسامين و لا أقلام العاشقين، إذا أدرت أن تعرف من هو المخفي بن المرابط، أصفه لك، رأسه أخضر، قلبه أحمر، لسانه أسمر >>②، لقد أسهمت كثرة كلام الناس عن المخفي في تضخيم شخصيته إلى أن اختلطت حقيقته مع الإشاعات التي ينتجها الناس، عن صلته برجال عصره، و عن الأعمال التي يقوم بها، و كذلك صفاته المعنوية، وقد استخدمت الرواية، الفعل الماضي لضمير الغائب < قالوا > لتعدد الإشاعات عنه، و تنوع موضوعاتها، وتبين الفقرات التالية هذه الإشاعات التي نسجتها المخيلة الشعبية المبنية على التأويل والتهويل و التضخيم للأفعال، و للشخصيات التي تقوم بإنجاز هذه الأفعال و قد ذكرت الراوية هذه الأقوال للكاتب، والتي نقلت عن أشخاص مجهولين

① – عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 115

② – المصدر نفسه ، ص 92–93

<< قلوا: من مربط من أصدقاء شكيب أرسلان. ينادي منه بالوحدة العربية من الخليج إلى المحيط...

قالوا:<< المخفي بن المرابط من أكبر أنصار الأمير خالد، كان يشتري المئات من جريدة "الأقدام" و يوزعها بالمجان، ويقرأها على من لا يعرف القراءة !>>

قالوا أيضا << المخفي قاطع طريق، سارق مواشي، لا يخاف لا من الموت و لا من الحياة !.

قالوا :<< المخفي رجل أمين، صديق الفقراء ومعين المحرومين، قرأ في تونس، كان صديق عبد العزيز الثعالبي، وقرأ في مصر، وكان من أنصار سعد زغلول.

قالوا:<< المخفي كان على اتصال بعبد الكريم الخطابي و ثورته بالريف المغربي، اتفق معه على إشعال الثورة في الجزائر>> ①

إلا أن الفقرة التالية، تعبر بوضوح عن الصورة الأسطورية التي شاركت في تهويلها، ونسجها، المخيلة الشعبية، بالإضافة إلى أسلوب الإشاعة الذي قام بدور هام في تصوير هذه الشخصية أسطوريا:<< وقالوا في إشاعة أخرى، تزعم أنه لم يقتل في المحجر، وإنما هرب منه، وأثناء البحث عنه اشتبك بالجيش الفرنسي، وكان يلبس حزاما من فضة من عهد يوغرطة ! من لبسه لا ينفذ في جسمه سيف و لا رصاص ! لا يعلم سر

---

①- المصدر السابق، ص 102-103

هذا الحزام إلا عزوز، و الذي أضفى الدرك ، و الجيش الفرنسي على ذلك السر، تماما كما وقع من قبل للمقراني في حربه ضد فرنسا، و هناك من أشاع أن المخفي، لم يقتل، و لا يمكن لأحد أن يقتله إنما اختفى كالإمام المهدي، ليعود في زمن آخر >> ①

لقد اشتركت جملة من الأفعال في نسج شخصية " المخفي بن المرابط" فبالإضافة لإلى مقاومته للوجود الفرنسي، ورفضه لأوامر السلطة الاستعمارية، التي أوهمت الأهالي بها، بأنها قوانين حضارية و إنسانية فإن كثرة الإشاعات ،و تنوعها والتي نسجتها المخيلة الشعبية عنه، قد تظافرت كلها، و رسمت صورة أسطورية لشخصية المخفي، وجعلت له معنى قويا على مستوى نص رواية <غدا يوم جديد>②

2- قـــدور:

لم ترد شخصية قدور مستوى " أسطورية " شخصية المخفي بن المرابط فهما يفترقان في كثير من الصفات،و إسم" قدور" هوصيغة مبالغة من المصدر " المقدرة " وهب قوة جبارة، تكمن في عضلاته و تنسجم هذه القدرة أو القوة مع طبيعة عمله، كحامل للبضائع، في ميناء الجزائر.وقد وصفته زوجته مسعودة:<< قدور القوي، شهرته لم تتعد عضلاته >> و لكن الراوية نفسها تشبهه بموقع أخر بشخصية المهدي>>③.

---

①- المصدر السابق ، ص 225

②- شريبط أحمد شريبط: سيميائية الشخصية الروائية، تطبيق (فيليب هامون) على شخصيات رواية<غدا يوم جديد> ، ص 219

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

نستخلص مما سبق، أن شخصية قدور، هي أقرب إلى الشخصية الواقعية، منها من الشخصية الأسطورية، بالرغم مما يوحى، به النص الروائي، في عدة مواضع، من أن شخصيته، غير عادية، وخاصة من حيث العضلات، و شدة التحمل للألام، أثناء تعذيبه في المحجر وسرعة غضبه أيضا، وهو ما يوحي به كلام زوجته مسعودة عنه: << قدور شهريار و أنا شهرزاد >> ①

*** الفضـــاء الثقافـي:**

يحوز الفضاء الثقافي على مساحة من حجم النص الروائي و خاصة فضاء " الزاوية " الذي غطى صفحات عديدة من حجم الرواية، كما حظيت الزاوية بتفصيل دقيق لما يقع بداخلها<< ولم تكن هذه الزوايا إلا ثورة ثقافية في الجزائر، ولم يكن إلا نذيرا أو بشيرا، بقرب نهاية وجود الاستعمار و نظامه القذر >> ②

وسنحصر كلامنا عن الفضاءات الثقافية التالية :

❶- فضـــاء الزاويـــة:

يقع مقر الزاوية في مكان نائي نسبيا، عن مقر التجمعات السكانية وقد حدد في النص بأنه << يبعد بنحو عشرة كيلومترات عن محطة القطار >> ③، إلا أن عزلتها هذه لم تمنعها من أن تكون فضاء نشيطا تدب فيه الحركة في كل الأوقات، وخصوصا في المواسم المعتدلة

---

①- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد ، ص 115

②-عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر،ط2 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص 32

③- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 21

وكما عبر عنها الراوي، فهي << خلية نحل حقيقية، فيها العباد و الزهاد والفجار و التجار، والسماسرة، والمختلون والمثقفون والفنانون و المكبوتون...فيها المرضى و الكسالى، والأصحاء و العمال كأي مدينة أخرى، لكنها مدينة روحية بالدرجة الأولى، من حيث الرمز، مدينة علم من حيث ما يقدم فيها من دروس، ملجأ من حيث إيواء الفقراء والمساكين والعاطيلين والعجزة، والأرامل، لياليها ساهرة أبدا، الزوار لا ينقطعون بعد العشاء يقيمون الحفلات الفلكلورية ذات الصبغة الصوفية، رقص درس، رقص يدق الراقصون فيه الأرض بأرجلهم، صفوفا صفوفا حفلات موسيقية، حلقات ذكر، حلقات قراءة و قرآن ...①.

وقصد الكاتب بتركيزه على هذا الفضاء الثقافي إلى نقد واقعه الذي ضل عن هدفه الحضاري، الذي أنشأ من أجله، و تحول إلى مركز تجاري ضخم، يتاجر فيه الناس بكل شيء، و يقومون بجميع الأعمال المشروعة و المحضورة، << و قد أصبحت الوظيفة الأساسية التي أسست الزاوية من أجلها و هي التربية و التعليم مثل بقية الأعمال الأخرى التي تنجز داخل الزاوية، رغم أنها تتميز بدقة التنظيم، سواء في مواعيد الدراسة أو المواد المقررة طوال مدة الدراسة >> ②

تميز فضاء الزاوية، بانغلاق شديد، وإدارة قوانين صارمة تشبه القوانين العسكرية، ولعل سبب ذلك يعود إلى النظام الداخلي وقلة إمكانيات

---

①- المصدر السابق، ص 115

②- المصدر نفسه، ص 92-93

الاستقبال، و كثرة الطلبة، و هي حالة اجتماعية أدت ببعض الطلبة إلى الشذوذ ①، و رغم ما تتمتع الزاوية به، من مصادر متنوعة للتموين فإن الطلبة يعيشون أوضاعا مزرية، و يعاتون من ضغوط نفسية قاسية و قد نشأ عن انعدام حرية التعبير داخل الزاوية، وجود طبقتين متعارضتين: الأولى تملك و تدير، و تقدم الأوامر، و تتمتع بكل ما لد و طاب من الخيرات الواردة إلى الزاوية، و تتمثل هذه الطبقة خصوصا في شخصية شيخ الزاوية، و بعض مساعديه، وكذلك المشائخ الذين يتولون وظيفة التدريس، و أما الفئة الثانية فهي تتكون من الطلاب و بعض الخدم حيث تكاد هذه الفئة تحرم من جميع المنافع التي ترد إلى الزاوية، و تعيش وضعا اجتماعيا قاسيا << في العشاء جيء بجفنة طعام مدهون بزيت الصانقو، و هو زيت نباتي فظيع الطعم في الكسكسي، لم يكن عدد الطلبة، حينئذ كثيرا، كنا حوالي "30" طالبا جيء بثلاث جفان خشبية كان المرق الذي يسقى به الكسكسي يتكون من ماء، و قرع، يشبه لونه لون البول >> ②

❷- فضاء المدرسة:

يلتقي هذا الفضاء، مع فضاء الزاوية في وظيفة التعليم، و لكنهما يتوازيان في أمور كثيرة، حيث أن فضاء المدرسة، يتميز بهيمنة العنصر الأجنبي عليه، فهو الذي يعلم، و يدير المدرسة و يقرر مواد البرنامج

---

①- شريبط أحمد شريبط: بنية الفضاء في رواية غدا يوم جديد، مجلة الثقافة ص 192

②- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 216

وإضافة إلى كل هذا، فهو يسعى إلى التفرقة بين التلاميذ الفرنسيين، و بين التلاميذ الجزائريين، كما أنه يبث التفرقة بين التلاميذ الجزائريين << حاول في البداية، وضع العرب في جهة، و الأطفال القبائل في الصف الأيمن للعرب >>①

ومما يثيرنا، هو أنه رغم ما كان يبثه المعلم الفرنسي، من تفرقة بين التلاميذ الجزائريين، و تضليل و تشويه للحقائق التاريخية، فإن التلاميذ لم يستجيبوا لأفكاره، ولم يتأثروا بمحتوى دروسه، وإن تمردوا على مضامين هذه الدروس، و سخروا من الأفكار التي يسعى لغرسها في أذهانهم >> ② .

وقد بلغت هذه الثورة ذروتها في شخصية << " ابن القائد" إذ كان من أكبر المحرضين على العبث والسخرية بالمعلم>>③ ،و بلغ وعي ابن القائد مداه، حينما قرر المعلم الفرنسي أن يكون موضوع الاختبار الكتابي في مادة الإنشاء عن موضوع: << حمار، عومل معاملة سيئة من طرف أحد الأهالي >>④ ، فقد كتب موضوعه في شكل قصة جميلة، وجعل الحمار يتكلم ثلاث لغات:الفرنسية، العربية، القبائلية، وقد تمكن من أن يكون من بين الذين استقبلوا الرئيس الفرنسي، وألقى خطابا بليغا أمامه فأعجب به، ودار الحوار التالي بينهما:<< ما إن سمع بمقدم رئيس الجمهورية في طريقه إلى قسنطينة، حتى كان من أول المستقبلين له !

---

①- المصدر السابق، ص 240

②- شريبط أحمد: بنية الفضاء في رواية غدا يوم جديد، مجلة الثقافة،ص 193

③- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد ص 241

④- المصدر نفسه ، ص 242

تعجب الناس وأسرعت سلطات الأمن لإبعاده عن طريق رئيس الجمهورية لكن الحمار تكلم ! فانصعق الجميع لذلك، ولم يدروا ماذا يفعلون ! الأمر الذي يسر للحمار العجيب الاقتراب من رئيس الجمهورية، وكان يحب الحيوانات فمسح على رأس الحمار العجيب يطمئنه، شكره الحمار على ذلك بلغة فرنسية فصيحة ! فتعجب رئيس الجمهورية إلى درجة الذهول ! لم يدع الحمار فرصة لرئيس الجمهورية، و لا لأحد أن يتمكن من إقصائه، فبادر بإلقاء خطابه، كانت دهشة الرئيس فوق ما يتصور العقل، ولم يدر كيف وجد نفسه كانت بلغت منه مبلغها، فقد غلط في خطابه، فبدل أن يقول :<< أيها الأهالي >>، قال :<< أيها الحمير >> أوصيكم بالأهالي >> ①.

لقد صور فضاء المدرسة تماسك الشبان الجزائريين، و عدم استسلامهم للأفكار العنصرية التي تدس إليهم في الدروس، كما بين وعي الشبان بواقع بلادهم، و المصير المأساوي الذي آل إليه شعبهم و اللافت للانتباه هنا أننا نجد أبناء أعوان فرنسا، من الأهالي يتمردون و يتجاوزن أفكار الطبقة التي ينتمون إليها " القياد"، فيثورون على الأوضاع و يعبرون عن مواقفهم الوطنية، بجرأة و ثورية نادرتين، و يعد هذا من بين الأمور التي لم تهتم بها الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية إلا نادرا.

---

① – المصدر السابق، ص 246

❸- فضـــــاء النوادي الثقافية:

لم يرد الحديث عن النوادي الثقافيـــة ســـوى نـــادي الترقـــي الـــذي كـــان موجـــودا قبـــل الاســـتقلال، و أدى دورا هامـــا فـــي نشـــر الثقافـــة العربيـــة و المحافظـــة عليهـــا طـــوال ســـنوات العشـــرينات و الثلاثينـــات مـــن القـــرن الماضي إلى جانب مدارس التعليم العربـــي الحـــر، و علـــى رأســـها مـــدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقـــد جـــاء الحـــديث عنـــه عـــن طريـــق حالات التداعي، حينما استنطق الدركيان " قـــدور " بأســـلوب اســـتفزازي، عـــن موقف العلماء، و صهره المخفي، و إقدام الأهـــالي علـــى القيـــام بحـــرب مـــن أجل إخراج فرنسا مـــن الجزائـــر << فـــي الجزائـــر يتحـــدثون كثيـــرا عـــن السياسة، كم مرة سمع الناس يقولـــون أن الـــوطن أخـــذ بـــالقوة، و لـــن يعـــود إلا بالقوة ! سمع ذلك في " نادي الترقي " في بعـــض المقـــاهي الوطنيـــة، بـــل حتى في المرسى من بعض النقابيين الجزائـــريين >>① ، حيـــث تـــذكر قـــدور حينها عدة أماكن كان يتردد عليها، أو يســـمع عنهـــا مثـــل : الميناء، المقهـــى المسجد أو الجامع << و في الجامع كانوا يقرأون القـــرآن علـــى شـــيخ واحـــد يحذرهم من الفرقة، و الناس في ذلك الزمان عمومـــا كـــانوا يعتبـــرون المعلـــم الفرنسي ليس شيخا حقيقيا، إنما يعلمهم حروفا أجنبية قـــد يحتـــاجون إليهـــا،... المعلم الحقيقي هو شيخ الجامع >> ②.

وقد كانـــت جمعيـــة العلمـــاء المســـلمين الجزائـــريين و هـــي الجمعيـــة الرائـــدة في ميدان التعليم العربي الحر، تقوم بنشاط بـــارز فـــي هـــذا الميـــدان

① - المصدر السابق، ص 62

② - المصدر نفسه، ص 141

في جميع مدارسها، و شعبها المبثوثة في كل أنحاء الوطن، و كانت تلك النشاطات الفكرية و الثقافية التي تتم في المدارس و النوادي و المساجد على مستوى القرية أو الحي أو المدينة، تترك أثرا كبيرا في نفوس التلاميذ وأوليائهم، و تدفعهم إلى الالتفاف حولها، من اجل التصدي لمناورات الاحتلال و مؤامراته ضد اللغة العربية و الثقافية الإسلامية و الشخصية الجزائرية ① .

أما عن طريقة التعليم التي اعتمدتها مدارس التعليم الحر، فيشرحها الشيخ الإبراهيمي، نائب ابن باديس في رئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على النحو التالي، يقول :<< كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا و ابن باديس في اجتماعانا بالمدينة المنورة في تربية النشء، هي أن لا نتوسع له في العلم، و إنما نربيه على فكرة صحيحة، و لو مع علم قليل فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا >> ②.

والقارئ لرواية﴿ غدا يوم جديد ﴾، يجد أن الثقافة الدينية تكاد تكون مسيطرة على كل الأحداث، و الأفعال، و هي التي توجهها كالإيمان بالقضاء و القدر، و التوكل على الله، و الصبر ... و لكن هذه الثقافة الدينية تجسدت بسيطة، شكلية، مليئة بالأوهام و الخرافات والأباطيل، نظرا لافتقاد القرويين للعلماء، ولمصادر العلم من كتب و مخطوطات << من أين لسكان، رغم إسلامهم الشكلي يحيون في إحيائه

---

①- تركي رابح : التعليم القومي و الشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1981 ، ص 342

②- المرجع نفسه، ص 343

مليئة بالأرواح و الأشباح، من أين لهم أن يرتفعوا إلى مستوى تلك العلوم إنهم يحيون في الغيب مع الأرواح ! ... أرواح ليلية ظلامية >> ① .

وهنا يحيلنا الكاتب إلى دور المثقفين و رواد العلم ورجال الدين، أمثال الشيخ عبد الحميد ابن باديس، و طلابه الذين تخرجوا على يديه، في نشر الوعي الديني الصحيح و تعاليمه في أوساط الشعب و تخليصه من البدع والأباطيل و الخرافات.

إننا لم نلم بكل القضايا الثقافية التي حفلت بها الرواية، لأنها لا تعد و لا تحصى... إنها ثقافة جيل بكامله، عاش الحرمان و القهر و قاوم ليصنع المجد، ولكننا تطرقنا إلى جلها، و خلصنا منها إلى النتائج التالية:

1- بالرغم من بساطة ثقافة الشعب الجزائري في تلك الفترة الزمنية التي كانت فيها الجزائر ترزح تحت وطأة الاستعمار الفرنسي الغاشم إلا أن ثقافة حب الوطن قد عمت جميع شرائح المجتمع فملأت عليهم حياتهم، و جعلت قلوبهم تخفق لحب الوطن و الذود عنه.

2- لقد وضعنا الكاتب أمام ثقافة شعبية تزخر بالعادات و التقاليد و الأمثال الشعبية، و الحكم و الأساطير...هذه الثقافة الشعبية التي تشكل مقوما مهما من مقومات الشخصية الجزائرية .

---

① - عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 199

3- يمثل التمازج بين النمطين الثقافيين التقليدي والحديث عامل ثراء وتوازن في وعي الكاتب، ولم تكن المثاقفة بالنسبة له عامل ازدواج شخصية،أو ذوبان في ثقافة الآخر.

4- يعرض الكاتب الثقافة الشعبية الجزائرية الأصيلة ثم يقابلها بالثقافة الفرنسية التخيلية، الغارقة في المادية، لينتصر للأولى، فمن الحب القروي الشريف إلى الحب الجنسي المادي، ومن الزواج الشرعي الذي يحفظ النبل و الشرف و الكرامة إلى زواج المصالح و قضاء الحوائج.

5- لقد نجح " التعليم العربي الحر" ، في إحياء تاريخ الجزائر و محاربة سياسة تشويهه و تزويره، وكانت المناهج الدراسية تركز بصفة عامة على: اللغة العربية، والدين الإسلامي والتاريخ العربي الإسلامي للجزائر، وجغرافية الجزائر والوطن العربي و هي المواد التي تكون الشخصية الوطنية و القومية للجزائر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

*** البناء الفني للرواية:**

رواية ﴿غدا يوم جديد﴾ هي آخر أعمال الكاتب عبد الحميد بن هدوقة و يتأسس نص الرواية على تقنيتين ركيزتين ①:

الأولى: شكل الاعترافات، و تتجلى من خلال البوح الذي تقوم به الراوية المسعودة للكاتب، فهي تبدو و كأنها أمام رجل دين ، أو كاتب سير تاريخية فتسرد له ماضيها ،و قد حثته أكثر من مرة ،أن يكتب قصتها بأية طريقة، وليس مهما أن تترابط أجزاء حكايتها فالمهم عندها هو البوح و الاعتراف،وإفراغ أعماقها من ترسبات الماضي و الحاضر المشوهة، و هي ترجو من كل ذلك ﴿ التطهير﴾،و قد وصفت الراوية طريقة سردها لعناصر قصتها باللامنطق، و كررت ذلك مرات عديدة كمثل قولها << و كذلك هذا اللامنطق الذي أحكي به حكايتي >>②

و قد قادت هذه التقنية إلى جعل النص الروائي ،يتميز ببنية مفككة و مهددة بالتداعي، وأن هنالك لوحات منفردة ،تطول أو تقصر ،بحسب المعنى المراد التعبير عنه،والتي لا يربطها بعضها سوى خيط ماضي الشخصية المحورية،< لدرجة تكاد تكون بعض تلك اللوحات أو الفواصل قصصا قائمة بذاتها و يمكن الاستغناء عنها كاملة،دون تأثير السياق الروائي>③

---

①- شريبط أحمد شريبط :بنية الفضاء في رواية غدا يوم جديد لعبد الحميد بن هدوقة مجلة الثقافة ، ع 1997/115 ، ص 144.

②- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص17.

③- عمار زعموش: غدا يوم جديد ،بين الإدراك والانهزامية،أعمال الملتقى الوطني الثاني الأدب الجزائري في ميزان النقد ،عنابة ماي 1993.

و الثانية: تبرز من خلال استماع المؤلف لقصة الراوية و قيامه بكتابة اعترافاتها.و قد يوحي استخدام هذا الشكل من قبل المؤلف إلى صعوبة التعبير، و هي نفسية سارية في وسط المجتمع الجزائري إذ كثير ما يعتمد أفراده على الذاكرة و الشفوية، أكثر من التجائهم إلى التدوين و الكتابة و قد وجدنا في النص الروائي، جملا و فقرات تؤكد مقدرة الراوية على الحكي، واستذكار تفاصيل الماضي، و لكنها تعجز عن التعبير على أفكارها بوساطة الكتابة و التدوين، ولذلك صممت، فطلبت من الكاتب الشاهد أن يدون أحداث الرواية. إن حوادث خمسة(05)أكتوبر 1988م هي التي حررت لسان الراوية ،لتقول كل شيء ،حتى ما لا يقال، و قد وصفت ذلك بقولها :< أكتوبر أنطقني أكوام الزجاج التي ملأت الأنهج أدخنة الغازات و السيارات و البنايات المحترقة أزيز الرشاشات و البنادق ذكرني في 11 ديسمبر و أياما أخرى>①

وأظن أن هذا الشكل الفني الذي لجأ الروائي إليه، قد أفاد الشخصية الراوية لأن تعبر عن أفكارها بأسلوب متدفق شلالي، و تعبر هذه الحالة النفسية عن عمق الجرح الغائر الذي تعاني الراوية من آلامه ، و كذلك عن امتلائها حتى الفيضان بثقل الماضي و صدمات الحاضر،ولذلك اندفعت تقص كل شيء، و تسرد كل تفاصيل حياتها، فحتى الأشياء و الأمور التي تسيء إلى سمعتها، اندفعت فجأة من أعماق طفولتها منسابة

① – عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 14.

بين الحلم و الواقع، و لذلك كانت تردد دائما هذه الجملة:<< أكتوبر أنطقني أقول كل شيء، ثم أذهب إلى مكة أغسل عظامي>> ①

وقد استثمر الكاتب في صياغة متنه الحكائي و بناء خطابه الروائي على تقنية التوالد السردي ،حيث تتناسل الحكايات عن بعضها البعض و تتداخل في أنساق الحكي ،ليجد القارئ نفسه أمام أكثر من قصة فعن قصة العجوز/ الفتاة مسعودة،و التي تتقاطع و قصة السارد أو الكاتب و هي تشكل القصة الإطار في هذه الرواية ،تتولد قصص قدور،وعزوز بن المرابط،محمد بن سعدون ،الحبيب ،الشيخ أحمد، وتتداخل إلى حد الالتباس أحيانا عندما يتشعب السرد الذي يعكس سر الحكي الشفوي قبل أن يتم تدوينه. كما يستثمر الكاتب أكثر من نوع أدبي و شكل فني في صوغ عالم حكيه و تشكيل أنساقه الجمالية.②

فتعالق الروائي و السيري بين في هذه الرواية ،إذ تدل عليه عديد من العلامات الكاشفة عن استثمار الكاتب لعدة مكونات سيرته الذاتية،يعمد السارد إلى الإفصاح عنها في حكيه و التي نجد لها صدى في حياة الكاتب مثل حديثه عن جوانب من حياته في تونس و ما كان من انتمائه طالبا إلى جامع الزيتونة، و ربط النص الأدبي بصاحبه حقيقة لا تحمل الجدل فكثيرة هي الأعمال الإبداعية التي يلمس فيها الناقد على نحو سهل شخصية صاحبها أو أجزاء كثيرة من تفصيلات حياته اليومية،و النص

---

①- المصدر السابق، ص 14.

②-بوشوشة بوجمعة: التجريب و سؤال الحداثة في الرواية العربية الجزائرية، أعمال الملتقى الدولي الخامس، مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج، ص 227.

الأدبي في علاقته بصاحبه يمكن أن يصاغ في ثنائية الاتصال/الانفصال، و ذلك في صورة رسم بياني يكون كالتالي:

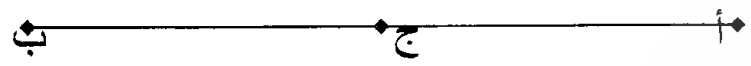

أ: نقطة الانطلاق.

أج : خط سير العملية الإبداعية.

ب: نهاية خط الذات المستقيم.

المستقيم(أج) يمثل إبداع الأديب.

المستقيم (أب) يمثل حياة المبدع.

هناك إذن نقاط التقاء النص بحياة صاحبه،و هناك نقاط يبتعد فيها النص عن صاحبه إلى حد ينفصل عنه تماما①.

فإذا كانت (أ) هي نقطة انطلاق حياة الكاتب ،وحياة النص في الوقت نفسه، فإن نقطة الفصول ليست واحدة،فهناك (ب) و هناك(ج) ،ومن هذا المنطلق جاءت رواية ≺غدا يوم جديد ≻تحمل عناصر السيرة الذاتية أو بعض السمات الشخصية الفردية لمنتجها (بن هدوقة) ،ولكنها في الوقت نفسه، تبدو كأنها تأخذ في الانفصال عنه تدريجيا ،لاسيما حين تتدخل التداعيات التي تصوغ محتويات اللاوعي<< ويفرض ذلك الانفصال التصويري ،فيما يبدو لي ،قراءتين ممكنتين: فإما أن القارئ يدرك أن المؤلف يتكلم عن نفسه بجلاء و يتظاهر بأنه يتكلم عن شخص آخر

① – أحمد حيدوش.النص الأدبي بين المبدع و المتلقي (وجهة نظر نفسانية) ،مجلة التبيين ،تصدر عن الجاحظية ،عدد "6" 1993 ،ص 20.

وإما أنه يدرك أن المؤلف الذي لا يزال يتكلم عن نفسه بجلاء، و يتظاهر بأن شخصا آخر هو الذي يتكلم عنه، ففي الحالة الأولى، يكون المؤلف متحدا مع السارد، و تكون الشخصية هي المنفصلة خياليا، و في الحالة الثانية يكون المؤلف متحدا مع الشخصية، و يكون السارد المنفصل خياليا لكن في كلتا الحالتين، يكون السارد منفصلا عن الشخصية و بذلك يكون السرد غير القصة >>.①

ولذلك تبقى الشخصية ،اللاواعية للمبدع تعمل عملها في أي نص من نصوصه ،إلا أن ذلك يكون بصورة يصعب التفطن إليها، لاسيما أن بعض الكتاب يتعمدون الإخفاء عن قصد خوفا من رقابة الآخر، وهذا ما نلاحظه جليا في رواية ≺غدا يوم جديد ≻، ومن ثم يمكن القول << إن النص الأدبي في أوج استقلاليته عن صاحبه مرتبط به اشد الارتباط و لكن الحبل الذي يشده سري، لا يدرك من ظاهر المعنى>>②.

وبالتالي فالتجارب الشخصية هي مجموعة الصور و الذكريات و المعارف العامة و الخبرات الفردية للأديب ،المستمدة من واقعه ،واقع التناقضات التي يعيشها في زمنه، فبتلك الخامات الأصيلة و المصقولة مع الزمن ، تتشكل الرواية ومن خلالها تزدهر و تتفرغ و تتنامى في إطار من أهداف الروائي و فلسفته في الحياة، صعودا بما ينتج أو نزولا حيث يتخبط ، نستشف ذلك من خلال شخصية المؤلف المفترض في النص

---

①- جيرار جينات:عودة إلى خطاب الحكاية، ترجمة محمد معتصم، ط1، 2000، منشورات المركز الثقافي العربي ، ص 140

②- لأحمد حيدوش.النص الأدبي بين المبدع و الملتقي ، ص 21

الروائي < والمؤلف المفترض هو كل ما يسمح لنا النص، بأن نعرفه عن المؤلف ،و لا ينبغي للشعريين و لا لغيرهم من القراء أن يهملوه >①

لا شك إذن في أن رواية ﴿غدا يوم جديد ﴾ ، تمتد في علاقات حميمة شخصية مع مبدعها ،حتى و لو لم يشعر هو نفسه بتلك العلاقة،فهي تجسد بوضوح رؤيته السياسية،وفلسفته الاشتراكية و هذا بشكل عفوي و تلقائي،إذ أن نظام الكتابة في رواية﴿غدا يوم جديد ﴾يمكن في فوضويتها ،وفي طابعها الزلزالي ،وفي رفضها البات لأي نمطية ومعمار مسبق ،واستراتيجية مؤطرة بالقوانين ذلك أننا عندما نكتب فالنص يكتبنا بقدر ما نكتبه ، و هو يأتي حاملا لنظريته الخاصة ،إنه ذلك السعي الدائم الواعي بأنه لا يستهدف الوصول أو الجواب ،وحتى عندما يحقق الكشف فهو اكتشاف أن ما كشف عنه هو مجرد عتبة أخرى تفضي إلى مجاهيل جديدة ، فالكتابة تنبع قبل كل شيء من الإنصات إلى الذات من التأمل في اللامرئي ،من ذلك العراك المستمر مع الذاكرة الفردية و الجمعية من تعنيف الذات ،ومصارعة قانون الصمت اللعين، فالكاتب يكتب بقوى و أنفاس لا يعيها دائما ،تفعل فيه و في النص على الأقل بقدر ما يفعل هو فيها و في النص ،و من هنا يجب أن نضع جانبا تلك الإرادوية التي يستسيغها بعض النقاد و المختصين، و التي تسقط في كثير

---

①- جيرار جينات .عودة إلى خطاب الحكاية ،ص 193

من الحالات على أرض الممارسة الإبداعية < ذلك أن المجدد الذي يتطلب قراءة متمكنة و خلاقة، يغير باستمرار الموضوع الجمالي الذي يتناسب معه في التاريخ و كلما ظهر مدخل نقدي جديد ، فهو يولد قراءة جديدة>①

وتتلاقح في هذا النص، الرواية و نوع الاعترافات الذي يتخذ من الذات موضوعا، ومن تجاربها الحياتية مدارا و ذلك عبر أشكال من المكاشفة تدرك مدى التعرية و هو ما تؤكده العجوز " مسعودة " في أكثر من مقطع ،بقولها :<أريد تعرية كاملة لحياتي أمام الناس كما هي عريانة أمام الله >②، فهي تدرك أن الاعتراف بالذنب تكفير عنه.

*** اللغة الروائية:**

تتداخل التخوم بين الرواية و نوع المذكرات عبر استعادة شخصية مسعودة و السارد ،الكثير من وقائع الحياة الماضية و المقترنة بالكثير من الوقائع المتصلة بتاريخ الجزائر في زمني الاستعمار والاستقلال (19 جوان 1965-19 جوان 1988 -1930-أكتوبر1988-نوفمبر1954) وهي استعادة وظيفية ،تكشف عن موقف الكاتب الرافض لحاضر الجزائر و الذي يعبر عنه في قوله على لسان الراوية: < لا أكتمك إنما يدفعني إلى الماضي هو رداءة الحاضر الذي نراه>③

---

①- بيير زيما .النقد الاجتماعي ،نحو علم الاجتماع النص الأدبي ،ترجمة عايدة لطفي ،دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع ،ط1،القاهرة 1991 ،ص 205

②- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 70.

③- المصدر نفسه، ص 72.

و المدين لسلطة الاستقلال التي شوهت التاريخ النضالي لشعب الجزائر < فمن ذا كان يتصور أن نوفمبر العظيم يلد أكتوبر > ①،وبذلك فإن الكاتب يحمل هذه السلطة مسؤولية ما انتهت إليه البلاد من فتنة و دمار وتهافت قيمي و سلوكي ،ويتم ذلك عبر اشتغاله المكثف على تقنيات التذكر و التداعي والاستبهام والاستطراد و التقطيع.②

و يتداخل السرد و الشعر عبر تضمين الكاتب روايته العديد من أبيات الشعر العربي القديم ،و من الزجل الشعبي الجزائري إلى جانب مقاطع من الشعر الحر من نظمه ،مما أسهم في شعرنة لغة الخطاب الروائي و تكثيف أبعاده الذاتية في التعبير عن أشكال معاناة الذات في علاقتها بالآخر و العالم .③

و لذلك جاءت لغة الرواية بمثابة منبه فعال لأفراد الشعب و محفز لهم على التغيير ومواصلة الدرب،و الثورة على أولئك الخونة و ممثلوا الظلم و الجهل و الاستبداد ،وبالتالي مواصلة مسيرة النضال والكفاح على الرغم من الزمن و ممن يحاولون أن يجروا عجلته إلى الخلف.

ويستثمر الكاتب في ذات السياق نقدية الرواية من خلال الحديث عن شروط كتابتها وأدواتها و كيفية تقبل القارئ لها،وقد صارت نصا وهو ما تفصح عنه مسعودة لكاتب قصتها في أكثر من مقطع سردي تقول:< أكتب القصة مبعثرة، لكن لا يبعد الزمن بين أحداثها...

---

①- المصدر السابق، ص102.

②- بوجمعة بوشوشة، التجريب و سؤالالحداثة في الرواية العربية الجزائرية،ص228

③- المرجع نفسه، ص228

أرجوك أكتب كل ذلك. لكن بصياغة أخرى، كلماتي أنا قديمة، قد لا تجذب أحدا أريد أن تكون قصتي جميلة، قصة بلا جمال تصبح حياة عادية >① وتضيف في مقطع آخر < ما أريده هو أن يكون كل فصل من حياتي يشكل قصة مستقلة أو مكملة لغيره، يمكن أن يقرأ أي فصل بذاته لذاته. إذا مزق الكتاب و بقيت منه ورقات يمكن أن تتضمن قصة.>②،كل ذلك و لا يتهيب الكاتب من اختراق المحرم الجنسي بإثباته بيتا شعريا في اللواط، وهو :

عجبت لمن يزني و في الناس أمرد أليس ركوب الخيل في الحرب أجود③

و كذا تضمينه الحوار الذي يدور بين الشخصيات بعض الكلمات النابية التي تأباها ضوابط الأخلاق و أحكام البيئة.

و لكن رغم ذلك فإننا نرى الكاتب- في أكثر الحالات- يحلل بعمق هواجس شخصياته و أحلامها، وهو في الوقت ذاته يبتعد مسافة كافية جامعا بين السرد اللبق ذي الجمل الرشيقة و بين التداعي والحلم والاسترجاع و اللافت للنظر أن القسم الأكبر من الزمن السردي في الرواية ،ينبثق من الذاكرة التي تتحول إلى أداة فعلية لاسترجاع الماضي، فالروائي ينتقل بسهولة بين الحاضر المتشعب والماضي ذي الأبعاد المتعددة، بين الواقع الحالي و الواقع الآخر المنبعث من الذاكرة الثرية.

---

①- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 77

②- المصدر نفسه، ص222

③- المصدر نفسه، ص 222

فالذاكرة هي الأداة العضوية الحيوية التي تحرك الماضي(التاريخ) فهذا الماضي يمتزج بالحاضر و يؤطره ،ينبعث منه،و يعود إليه ،يتموج في خبايا السرد ليعبر عن الهموم والمحن. وهكذا يتعانق البعدان (الماضي و الحاضر) في تحالف زمني فني،فالتاريخ في هذه الرواية لا يسير في خط مستقيم ،لكنه يدور و يتفاعل مع الحاضر المتحرك.فيوازن الكتاب بدقة بين الماضي والحاضر، إذ نلاحظ أن الأحداث تتراوح ما بين الاحتفالات الفرنسية عام 1930 بالذكرى المئوية على مرور احتلال الجزائر و بين الويلات التي أفرزتها أحداث أكتوبر1998. و ما يثير الانتباه في هذا العمل أن شخصية "مسعودة " تحتل المركز و تبعث على القص① . فهي تقوم أولا بالاختيار و الإعلان عما جرى لها من أحداث في الماضي، و نطلب من شخصية ثانية القيام بتسجيل هذه الأحداث ،وبعبارة أخرى ،تسرد في جلسات ما وقع لها في الماضي من مغامرات و محن تتضمن كل واحدة منها معنى مستقلا.

وهذه المغامرات و الأحداث ،سواء الحديثة ،أي المتعلقة بأحداث أكتوبر ،أو القديمة والمتعلقة بالاحتفالات الفرنسية ،تقدم في شكل اعترافات لمسعودة ،اعترافات تشكل كل واحدة منها قصة رائعة ،و لا شك أن هذا الأسلوب الذي يعتمد على تقطيع الأحداث ،يسمح بتقديم الشخصيات على امتداد عدة مقاطع ،متباعدة من حيث الموقع و الزمن.

---

①-شريفي عبد الواحد ، تجربة بن هدوقة الروائية ،أعمال الملتقى الوطني الرابع ص 191

تصف مسعودة للكاتب سيرتها الأسلوب الذي يدون به قصة حياتها فتقول:<< ما أريده هو أن يكون كل فصل من حياتي يشكل قصة مستقلة أو مكملة لغيرها، يمكن أن يقرأ أي فصل بذاته ،إذا مزق الكتاب ،وبقيت منه ورقات ،يمكن أن تتضمن قصة >>①

و لا يمزج ابن هدوقة في الرواية بين الماضي و الحاضر فحسب وإنما يمزج أيضا بين الضمائر،و لاسيما بين ضميري المتكلم و الغائب اللذين يعكسان بعد زمن القص عن وقوع الأحداث الروائية.و من الواضح أن هذه التقنية في توزيع الضمائر قد ساهمت في تعميق النظر إلى الأحداث و المواقف و الشخصيات نظرة مستوعبة و شاملة لكل التناقضات البشرية...إنها تقنية لا تسمح بتمييز الشخصيات بعضها عن بعض فحسب ،بل هي أيضا الوسيلة الوحيدة التي يمتلكها الروائي للتمييز بين مستويات الوعي واللاوعي عند هذه الشخصيات ،و تعيين أوضاعهم بين الآخرين و بيننا نحن② ،لأن تمثل الآخر عند كل شخص << لا يقوم على أساس تراكم بسيط للملاحظات أو الانطباعات ،كانت قد التقطت كيفما شاءت الصدف و إنما هذا التمثل للأخر هو بالأحرى نتاج بنائية معينة ،إن إدراك الآخر ككل إنما هو إدراك لا يتم بطريقة فوضوية. إنه وضع عناصر متنوعة و ترتيبها من أجل أن نعطي لهذه العناصر شكلا >>③

---

①- عبد الحميد ابن هدوقة: غدا يوم جديد، ص170.

②- شريفي عبد الواحد: تجربة بن هدوقة الروائية ،أعمال الملتقى الوطني الرابع، ص 192

③- غني رويشيه: مدخل إلى علم الاجتماع العام، ص 25.

إن رواية ﴿ غدا يوم جديد ﴾ تعبر بصدق عن واقع حي بكل جوانبه وأشكاله المختلفة، من سياسية واجتماعية واقتصادية و ثقافية، وما إلى ذلك، و هذا الموقف الفكري الذي تعكسه رؤية الكاتب للواقع هو الذي جعل روايته تتخذ شكلا يكاد يكون خاليا من الانتظام لأنها لا تشمل عقدة رئيسية، أو ما يصطلح عليه عادة في الرواية الواقعية بالحبكة القصصية التي تجعل أحداث الرواية تنمو و تتطور باتجاه نهايتها. ذلك أن رواية ﴿ غدا يوم جديد ﴾ عبارة عن تسجيل لمجموعة من جلسات اعتراف كانت تتم بين الراوي و الشخصية الرئيسية المحورية التي تعيش ماضيها من خلال عملية التذكر الاسترجاعي ،وهذا أقرب ما يكون لعمل الطب النفسي ،و يمكن اعتبار" مسعودة " هي المريضة و" الكاتب " الذي تسرد له حكايتها هو الطبيب النفسي، فهي في هذه الرواية تعبر عن ماضيها وكأنها تريد الإفراج عن شيء يؤلمها و تحاول البوح به لترتاح من خلال تكرارها للازمة<< أقول كل شيء و أذهب إلى مكة أغسل عظامي>>①.

و في الحقيقة أن كل أبطال و شخصيات هذه الرواية ،رسمت فرنسا في قلوبهم و أعماقهم ،إن لم تكن في أجسادهم ،سياط الظلم و جلدات الألم و ضربات الحرمان و الفقر والجهل والعذاب و" مسعودة " عاشت هذا و أحسته و كبتته في نفسها إلى أن جاء الكاتب ،فأخرجت ،وباحت له بكل ما عاشته وعذبها ودمر نفسيتها الأنثوية الحالمة و الحساسة، ولعل أحداث

---

①- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 93

أكتوبر هي التي حلت عقدتها و جعلت لسانها يبوح بكل شيء حتى ولو كان ذلك من المحظورات.

إن عملية التذكير الاسترجاعي التي جعل الأديب"عبد الحميد بن هدوقة " "مسعودة " تقوم بها قد أضفت على روايته تشكيلا جديدا أو ممازجة حارة بين حلم الماضي و حقيقة الحاضر و لذلك لا تتأسس في الرواية على امتداد فواصلها التسعة و الثلاثين ،قصة يمكن تلخيصها فكل ما هناك لوحات منفردة تطول أو تقصر بحسب المعنى المراد التعبير عنه ،والتي لا يربطها ببعضها البعض سوى خيط ماضي الشخصية المحورية ،لدرجة تكاد تكون بعض تلك اللوحات أو الفواصل قصصا قائمة بذاتها ، و يمكن الاستغناء عنها كاملة دون تأثر السياق الروائي ،وهذا عائد لرغبة البطلة الراوية " مسعودة " و هي رغبة نفسية لم تعرف سببها لكنها ترجت الكاتب الذي يسجل اعترافاتها و قصة حياتها قائلة: < أود أن تكون قصتي كالقرآن ،أستغفر الله، القرآن فريد و معجز،لم أحسن التعبير ما أريده أن يكون كل فصل من حياتي يشكل قصة مستقلة أو مكملة لغيرها يمكن أن يقرأ كل فصل بذاته إذا مزق الكتاب و بقيت منه ورقات يمكن أن تتضمن قصة...عفوا أرجو أن تكتب حياتي بهذا الشكل كل فصل يشكل موضوعا قائما بذاته >①، وهذا ما جعل الراوية " مسعودة " في الرواية تنمو و تحقق من خلال الزمن النفسي

① – عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص170.

للشخصية البطلة و الذي يحدث اعتمادا على أدوات النص الحديثة كالتذكر أو الاسترجاع أو الحلم أوالهذيان...

غير أن استعادة الراوية للزمن الماضي، هو من أجل إثارة أسئلة في الحاضر، وعن الحاضر، والإجابة عن هده الأسئلة، فالكاتب، يحاول اكتشاف أساس لواقعنا الراهن ،والكشف عن الاحتمالات المستقبلية لآن الغد و المستقبل لا ننفذ إليهما إلا من خلال الحاضر،جاء هذا على لسان الراوية: < أصبح الماضي يعيش إلى جوار الحاضر و المستقبل علامة استفهام،... فأصبح الحاضر هو الأمس، و نبحث عن الغد فنجده في الأمس > ①، و هذا نظرا لانتشار ظاهرة الانتهازية السياسية و البيروقراطية و غياب العدالة الاجتماعية و الديمقراطية.

و إذا حاولنا تطبيق فكرة الحقول الدلالية ،على المستوى المعجمي للرواية، بوضع الجدول التالي:

---

①-المصدر السابق، ص331.

سجل الكلمات الدالة على الثورة	سجل الكلمات الدالة على المأساة و القمع	سجل الكلمات الدالة على التفاؤل
أكوام الزجاج – أدخنة الغازات – البنايات المحترقة–أزيز الرشاشات – البنادق – الدبابات– دماء أكتوبر – دماء ديسمبر– إثارة الشعب – التشويش– ثورة التحرير– النصر أو الاستشهاد – الأسلحة – المكثفات– الحرب–فوهات البنادق– عسكر–الشهيد	السوط– المحجر– المحتل– الجحيم – القتل – بدلة الكاكي – الشابنيط – الدركي – السجن– التعذيب – الاستعمار – السلطة	– الأمل – الأزهار– الشباب – الربيع – الحلم – النجم – الأضواء – الحرية – الغد – الجديد.

وهذا بالإضافة إلى عينات أخرى يمكن تصنيفها في سجلات مستقلة بذاتها لكنها لا تمثل إلا القلة القليلة من مفردات النص الروائي.

نلاحظ من خلال– الجدول السابق– أن أكبر نسبة مئوية من المادة الأولية للنص الروائي، نجدها في سجل الكلمات الدالة على الثورة وهي تمثل صورا للهدم ويليها سجل الكلمات الدالة على المأساة، وهي كلمات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

محفزة على الثورة، ثم سجل الكلمات الدالة على التفاؤل، وهذا شيء طبيعي لأن الأدب الاشتراكي غالبا ما يختم بالتفاؤل.

وإذا حللنا هذه العينات ،وفق نظرية < المعادل الموضوعي> باعتبار أن اللغة تحمل شحنات نفسية و ثقافية،و هي المعبر الحقيقي عن لا شعور الأديب،إذ ينفس المبدع عن كبت و يبوح برغباته الداخلية سواء شكلت اللاوعي الفردي أو الجمعي،و لذلك كان الشعور الأول الذي ينطلق منه الكاتب في روايته،هو الشعور بالتشتت و الضياع و العجز،نتيجة انكسار الحلم، بل إن الرواية في عمقها،هي مقاومة ذلك الشعور، وهي محاولة الانعتاق و التحرر،تحرر الذات من علم الرؤى الضيقة و الغبار الكثيف و القمع و التكميم >①، حتى إنه ليبدو كل شيء مختل، أيد تعمل و أخرى تكتز< قلب الفقير يدميه الحب الممنوع ،وقلب الغني يخنقه الشحم>②

لقد عمد الكاتب على إبراز اللغة الروائية على الرغم من وجود الأحداث متزاحمة و متداخلة حيث< نجدها معقدة، وما تعقيدها إلا نتيجة تداخل الزمان و المكان فيها، والواقع بالحلم، والوعي باللاوعي>③

و من الملاحظ أن أسلوب " ابن هدوقة " في هذه الرواية أسلوب أكاديمي، محافظ إلى حد بعيد، مع اغترافه في بعض الأحيان من اللغة العلمية الدارجة. ويمكننا القول بصفة عامة إن لغة الكتابة في رواية ﴿غدا يوم جديد ﴾ هي لغة ثقافية ،متحولة ،تثبيقية الدلالية ،بحكم تعامل

---

①–منصور قيسومة:: الأنا والآخر في الرواية العربية الحديثة ، ص63.

②– عبد الحميد ابن هدوقة :: غدا يوم جديد، ص 16

③– فوزية الصفار::أزمة الأجيال العربية المعاصرة ص 70

المبدع معها تعاملا انزياحيا، وعليه يمكن القول إن لغة ﴿غدا يوم جديد﴾ هي تلك اللغة الخاصة التي اصطنعها الروائي ،وأخرجها من المستوى الميكانيكي إلى المستوى الانزياحي ،الذي يتيح له أن يسخر لغته لمعان جديدة كثيرة، توسع دلالتها.①

وبناء على ذلك، تميزت هذه الرواية ،بلغتها الشعرية المكثفة و الموحية ،تصطنع الجمل القصار و تحدث نوعا من الإيقاع الموسيقي الذي يحدث عند المتلقي ما يعرف بالمتعة الفنية ،كما تميزت بنسيج لغوي عجيب ،إن على مستوى المعجم أو التركيب أو الأسلوب ،و خاصة تقنيات سردها ،الذي يجسد أحداثها ،يرسم شخصياتها وفضاءاتها ،وبنيتها الزمنية.

و نلاحظ أيضا أن الرواية تبدأ بعبارة < كنت مسافرا> و كثيرا ما يوظف ابن هدوقة الفعل< كان > ،وهو شكل من أشكال السرد العربي القديم < بلورته نصوص <ألف ليلة و ليلى> بروعة ،ونزعت عليه الأخيلة الشعبية في حكاياتها الخرافية ،فخلدته حتى غدا شكلا من أشكال السرد العربي الأصيل.②

إن المعجم الفني لدى" ابن هدوقة " معجم فني متميز، وذلك من حيث ثرائه وشاعرية لغته وأناقة تشبيهاته و تفرد معجمه ،ثم من حيث اشرئبابه اللاهث إلى الاغتراف من ينابيع الجمال ،من حيث هو جسم موصوف ومن حيث هو لفظ مكتوب ،ومن حيث هو نص مسطور ،ومن حيث هو خيال منهال.

---

①- يحي بعطيش: الخصائص اللغوية في الرواية الحديثة ،لغة ابن هدوقة نموذجا أعمال الملتقى الوطني الرابع، ص 74

②- عبد الملك مرتاض:القصة الجزائرية المعاصرة ،المؤسسة الوطنية للكتاب،رقم النشر 1986/85 الجزائر 1990، ص 174

والخلاصة هي أن ما يميز كاتب رواية عن آخر، هو هذه القدرة العجيبة على نسج نص ، تتآلف و تتناغم فيه أصوات مختلفة قد تكون متنافرة فتكون سنفونية رائعة، أو لوحة فنية خالدة.

وقد تميز الخطاب السردي في رواية ﴿غدا يوم جديد ﴾ ببعض الخصائص ،والتي نحاول أن نجملها ،فيما يأتي:

1- **الوصف:**

الوصف في السرد حتمية لا مناص منها فهو الذي يساعد على النمو و التطور.① ، ولقد تنوع الوصف في النص الذي نحن بصدد دراسته وهذا من أجل غاية فنية ،أهمها إعطاء المتلقي معلومات تتصل بالفضاء و الشخصيات التي تتحرك فيه.

ويشتغل الكاتب في عملية الوصف في مستويين، يقوم الأول على اختيار، مجال الوصف ،أما المستوى الثاني فيعمل على اكتشاف مكونات المجال الموصوف. وهناك طريقتان لتحقيق ذلك ،الطريقة الاستقصائية وفيها يقدم لنا الكاتب المكونات الجزئية والدقيقة للمجال الموصوف والطريقة الانتقائية، وفيها يذكر الكاتب الملامح العامة للمجال أو الشخصية الموصوفة، وهذه الطريقة هي التي رجحت في رواية ﴿غدا يوم جديد ﴾، وقد تناول الوصف في النص الروائي:(الشخصيات – الفضاء الإنساني– الطبيعة).

---

①- J. COURTES ANALYSE SEMIOTIQUE DU DISCOURS HACHETTE. PARIS 1991,P30

وسندعم هذه الفكرة ببعض الأمثلة من الرواية :

- < وتشدني إليها نبرات ذلك الصوت الذي يأتيني من أعماق الزمن> ①

- < ...كانت منشغلة بجسمها الطري الذي استدارت مكوناته ،فأعطته مغريات فذة > ②

- كان شعر رأسها كثيف يغطي كامل وجهها وجزءا من صدرها > ③

2- **الحـــوار:**

إن الحوار ،يشارك إلى جانب السرد في رواية الأحداث عبر شخصياته المتحاورة، وقد كان الحوار، في رواية<غدا يوم جديد > قليلا وربما هذا راجع إلى طبيعة الموضوع ،تقتضي ذلك حكاية قصة عجوز و على العموم فقد تميز الحوار في النص الروائي بما يلي:

- ***أسلوب القصر***: وقد ورد بصورة قليلة في النص الروائي و من أمثلة ذلك: السنون تمضي بسرعة! كم عمرك الآن يا خديجة ؟ لا أدري أمي قالت ولدت في العام إلي ذهب فيه أبي إلى الحرب④
- ***العامية***: جاءت بعض فقرات الحوار بالعامية و من أمثلة ذلك الحوار الذي جرى بين قدور و محمد بن سعدون:

- اهبط يا ابن الهجالة !

- السلام علكم

---

①- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص90

②- المصدر نفسه، ص 40

③- المصدر نفسه، ص 40

④- المصدر نفسه، ص 45

- اهبط يا ابن الفاعلة. قلت لك !
- مالك ، مالك !
- خذ يا ابن الفاجرة ①

• ***الرتابـــة***: و نلمس ذلك في الحوار الذي دار بين قدور و عمته:

- قدور،أنت مريض اليوم؟
- لا ،لابأس و الحمد لله .
- رأيتك لم تذهب كعادتك إلى المقهى ، قلت ربما ...
- أنا في صحة جيدة و الحمد لله. إذا كنـــت ذاهبـــة إلـــى مكـــان ما ،إذهبي لا تتحيري .
- أنا سأبقى اليوم بالبيت .
- لا ، لا لست ذاهبة إلى إي مكان .أنا أيـــض لا أخـــرج اليـــوم ستأتي بنت الحامدي ،لأغـــزل الغـــزل الـــذي غزلتـــه لأمهـــا وتأتيني بالصوف ،لأن التي عندي غزلتها.
- إذا أردت أن أخرج ! أخرج ②

3- التكـــــرار:

يعتبر التكرار حتمية موجودة في أي مكـــان أدبـــي فقـــد يضـــطر الكاتـــب إلى تكرار الألفاظ ،و الأفكار والعبـــارات فـــي العمـــل الروائـــي، لأن طبيعـــة النص تقتضي تكرار معان و أفكار بعينها ، كما يحدث التكرار عن عمد

---

①- المصدر السابق، ص153

②- المصدر نفسه، ص 107

لدلالة معينة < لأن السمة الأساسية التي تؤدي إلى انسجام النصوص و تكيفها من الناحية الشكلية ،تكمن في التكرار و التوازي> ①

أضف إلى ذلك أن في التكرار ،يتشكل المعني و يتضح في آن واحد وحين < تكرر اللفظة أو العبارة ،لابد أن يقترن هذا التكرار ،بأداء نفسي متميز يؤدي موقفا نفسيا مهما في رسم هذا الجو الذي تتزاح فيه خطرات اللاوعي > ②،و هكذا ينطوي التكرار<< على تعميق الحركة الزمنية من خلال الاسترداد الصريح للأحداث الماضية >③ ،و من خلال تصفحنا للرواية ، لاحظنا أن الكاتب كرر بعض العبارات بكثرة مثل < أقول كل شيء و أذهب إلى مكة أغسل عظامي و أيامي >. إن العجوز " مسعودة " بوصفها امرأة مخضرمة عاشت أحداث ثورة التحرير وأكتوبر، أرادت وللأمانة التاريخية أن تكشف لنا بعض الحقائق المتعلقة بالوطن والثورة و الاستعمار و الجنس و البطالة و الخيانة و الحوار و الحصار...(أذهب إلى مكة أغسل عظامي و أيامي)، هذه العبارة لها مرجعية دينية في الذاكرة الشعبية هو وسيلة لغسل الذنوب المقترفة في السابق.

(أكتوبر انطقني) بعد الصمت الذي دام عدة سنين جاء أكتوبر،فنطق جميع الناس بما فيهم العجوز التي كانت تعتقد أن أكتوبر هو انتفاضة شعبية عفوية ،ضد الحقرة و النظام والحكام،ولكن أملها قد خاب بعد جوان الحصار.

---

① – روجر فاولر.اللسانيات والرواية،ترجمة د.أحمد مومن، مطبعة البعث، 2006 ،ص 74

② – فريد الزاهي.الحكاية و المتخيل ، ص 138.

③ – بول ريكور.الزمان والوجود والسرد ،ص 151

* الشخصيـــــات:

◆الشخصية الرئيسية في الرواية:

لا شك أن المقصود "بالبطل الروائي" ، لايرد بمعنى البطولة < الفروسية > ،ولكن بمعناه الفني أي الشخصية الرئيسية في الرواية التي تشكل بؤرة مركزية لا يمكن تجاوزها أو تجاوز مركزيتها ،لا يقاربها في ذلك سوى المسرحية ،لكن المرونة الكبيرة للرواية بوصفها جنسا أدبيا والحرية التي يمتلكها الروائي في تشكيل عوالمه ورسم شخصياته < جعلتا الشخصية الأدبية أكثر اقترانا بالراوية من المسرحية >① إن فكرة " البطل" في الرواية الحديثة فكرة برجوازية < معنى ذلك أن ظهور البطل في الرواية مرتبط بظهور الطبقة البرجوازية على المسرح السياسي والاجتماعي>② ،لأنه انعكاس للواقع الاجتماعي ،بمعنى أن "البطل" يعد خلقا اجتماعيا بحتا،لكن لا يمكن إغفال الميراث الحضاري الذي ينتمي إليه ومكوناته النفسية المعقدة ،والمتتبع لتطور الأبطال الروائيين ،عبر المسار الزماني و الظرفي يلاحظ تناسقا وتوافقا بين القيم و المثل السائدة التي هي< انعكاس للثنائية التاريخية المجسدة في علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج من جهة ،والمثل و القيم التي تتراءى و تترسم في سلوكات و تحركات البطل من جهة ثانية >③

---

①- صلاح صالح:سرد الآخر،الأنا و الآخر عبر اللغة السردية، المركز الثقافي العربي في بيروت،لبنان ،ط2003،1،ص101-102

②- أحمد إبراهيم الهواري: البطل المعاصر في الرواية المصرية،دار الحرية للطباعة ،بغداد ،1976،ص08

③-المنصف وناس.اشكال وصنع شخصيات الأبطال.مجلة الفكر التونسي.ع 10 حوليات 1983،ص 54

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن الرواية هي النوع الأدبي المرتبط في نشأته و نضجه ببروز دور الطبقة الوسطى و نضج مثالها الثقافي فهذا النوع الأدبي يستلهم ملامح أبطاله من صفات أوساط الناس أو من العاديين< لأن الإنسان العادي من اكتشاف الطبقة الوسطى>①

فهو يسعى جاهدا إلى تحقيق الذات المعبرة في كل حالاتها عن وعي مخصوص للوجود،وعي ينعت بالبؤس و الشقاء لاتسام الواقع المحيط بالاضطراب و اللاإستقرار ،ويتمزق الفرد بين ما يصور إليه وما يجده ،هذا الإنسان" الفرد" الممزق بين أحلامه و خيباته هو بطل الرواية الذي تفرزه الأوضاع السائدة في عصره ،تجعله دون غيره يعي أوضاع عصره و يتحرك في وسطها ،سواء كان تحركا إيجابيا أو سلبيا ،فالمهم هو وعيه بذاته وللأشياء من حوله وإن قعد عن الفعل أو إنتهى بعد الفعل إلى الفشل واليأس. تلك في نظرنا السمة البارزة التي أكسبت الشخصية الحكائية في الرواية العربية الحديثة صفة البطولة.

ويركز "مخائيل باختين" على الوعي الذاتي " للبطل " بوصفه فكرة فنية مسيطرة في بناء صورة البطل ولكن بشرط أن يقوم – بوصفه ذاتيا – بالتعبير عن نفسه فعلا أي بشرط أن لا يندمج مع المؤلف < شرط ألا يصبح بوقا لإيصال صوت المؤلف ... وأن يحافظ

---

①-عبد المنعم تليمة.مقدمة في نظرية الأدب، دار العودة، بيروت، ط1 1983، ص143.

داخل العمل الأدبي نفسه على مسافة تفصل بين البطل و المؤلف و ما لم يقطع الحبل السري الذي يربط البطل بمؤلفه فلن نجد أمامنا عملا أدبيا، بل وثيقة شخصية >①

<< إن اعتبار البطل مرادفا للشخصية الرئيسة هو اعتبار خاطئ ، فالشخصية الرئيسة تكسب صفتها من دورها داخل الرواية ؛أما البطل فيكتسب صفته لا من دوره فقط ولكن من خصاله أيضا>>②

إن الشخصية الرئيسية في الرواية ،ترسم و تمنح تميزها من خلال الوسائل التالية:

- مدى تعقيد الشخصية
- مدى الاهتمام الذي تستأثر به بعض الشخصيات .
- مدى العمق الشخصي الذي يبدو أن إحدى الشخصيات تجسده.③

ذلك أن استخدام مصطلح الشخصية الرئيسة و الشخصية الثانوية الهدف منه التمييز بين الشخصيات البارزة في الرواية و تلك الشخصيات التي يأتي دورها تابعا أو عرضيا على نحو ما إذ أن استخدام مصطلحات< البطل و البطلة > يبدو مضللا

---

①- ميخائيل باختين.شعرية دوسنويفسكي،ترجمة د. جميل نصيف التكريتي،دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ،المغرب ،1986،ص 72.

②- لطيف زيتوني. معجم مصطلحات نقد الرواية ،عربي،إنجليزي،فرنسي، دار النهار للنشر ،بيروت،ط1،2002،ص35

③- روجر هنكل.قراءة الرواية ،مدخل إلى تقنيات التفسير،ترجمة د.صلاح رزق دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة 2005،ص178.

< لأن الشخصيات الرئيسية غالبا ما تظهر باعتبارها شيئا دون البطولة بكثير >①

وهناك من قسم الشخصيات إلى نوعين: مدورة ، و مسطحة.②

و يمكن أن نميز بين النوعين من الشخصيات إذ الشخصيات المدورة، يشكل كل منها عالما كليا و معقدا في الحيز الذي تضطرب فيه الحكاية المتراكبة و تشع بمظاهر كثيرا ما تتسم بالتناقض < وإنا نعتقد على كل حال ،أن تدوير الشخصية واضح الدلالة من المعنى الذي تمنحه اللغة فإنما الشخصية المدورة هي تلك التي لا تستقر على حال و لا تصطلي لها نار، ولا يستطيع المتلقي أن يعرف مسبقا ماذا سيؤول إليه أمرها ،لأنها متغيرة الأحوال و متبدلة الأطوار ،فهي في كل موقف على شأن ،وتتميز بغناء الحركة التي تكون عليها داخل العمل السردي،وقدرتها العالية على تقبل العلاقات مع الشخصيات الأخرى والتأثير فيها... إنها الشخصية المغامرة الشجاعة،المعقدة بكل الدلالات التي يوحي بها لفظ العقدة، والتي تكره وتحب ،وتصعد وتهبط ،وتؤمن وتكفر وتفعل الخير كما تفعل الشر، تؤثر في سواها تأثيرا واسعا>③

---

①- المرجع السابق ، ص179

②- د.عبد الملك مرتاض.في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد،عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب ،الكويت، ص179

③- المرجع نفسه، ص 179

و أما الشخصية المسطحة فهي<تلك الشخصية البسيطة التي تمضي على حال لا تكاد تتغير ولا تتبدل في عواطفها ومواقفها ،وأطوار حياتها بعامة >①

فالشخصية " المدورة" هي معادل مفهوماتي للشخصية "النامية" أو الإيجابية، بينما الشخصية "المسطحة" هي مرادف للشخصية "الثانية" أو السلبية، بيد أن الشخصيات السلبية أو المسطحة، لها أهميتها في العمل الروائي، إذ كثيرا ما تتوهج الشخصية المدورة بفضل هذا الضرب من الشخصيات ، فالشخصيات المركزية لا يمكن لها أن تكون إلا بفضل الشخصيات الثانوية والتي ما كان لها لتكون ،هي أيضا ،لولا الشخصيات العديمة الاعتبار.

إن الشخصية تكون واسطة العقد بين جميع المشكلات الأخرى حيث تصطنع اللغة و تبث أو تستقبل الحوار، و تصنع المناجاة ، و تصف معظم المناظر التي تستهويها ، وهي التي تنجز الحدث ،و تنهض بدور تضريم الصراع أو تنشيطه من خلال سلوكها وأهوائها وعواطفها، تقع عليها المصائب، تعمر المكان و تتفاعل مع الزمن فتمنحه معنى جديدا و تتكيف مع التعامل مع هذا الزمن في أهم أطرافه الثلاثة: الماضي والحاضر و المستقبل②

---

①- المرجع السابق، ص179

②- المرجع نفسه، ص 104

لا أحد من المكونات السردية الأخرى يقتدر على ما تقتدر عليه الشخصية ،فاللغة وحدها تستحيل إلى سمات خرساء فجة لا تكاد تحمل شيئا من الحياة والجمال ،والحدث وحده يستحيل أن يوجد في معزل عن الشخصية و في غيابها لأن هذه الشخصية هي التي توجده ،وتنهض به نهوضا عجيبا ،والحيز يخمد و يخرس إذا لم تسكنه هذه الكائنات الورقية العجيبة " الشخصيات " .

◆شخصية الراوية " مسعودة ":

تعد شخصية الراوية " مسعودة " في الرواية الشخصية المركزية والباعثة على القص ،وهي صاحبة المقام الأول في النص السردي،كانت "مسعودة" جميلة ،كثيرة الذنوب ،ولكن ذنوبها كانت عن سطحية و كرم ،أرغمت على الزواج من قدور ،سكنت بعد الاستقلال قصرا كولونياليا ،وبه كانت تسمع كل يوم ما لا يصدقه العقل ،تنبأت بأحداث أكتوبر قبل وقوعها ،من محطة القطار بدأت حياتها تدخل إلى العالم ،وهي تقوم أولا بالإخبار أو بالإعلان عما جرى لها من أحداث في زمن مضى وتطلب من شخصية ثانية القيام بتدوين هذه الأحداث ،وهذا ما يجعل النص الروائي أكثر اقترابا من نوع السيرة الأدبية ،حيث قدمت أحداث الرواية مجزأة إلى قصص قصيرة تسرد أثناء جلسة واحدة ،وتكاد كل واحدة منها تتضمن معنى أدبيا مستقلا ①.

---

①- شريبط أحمد: سيميائية الشخصية الروائية.تطبيق آراء:< فيليب هامون> على شخصيات رواية " غدا جديد" لعبد الحميد بن هدوقة،أعمال ملتقى السيميائية والنص الأدبي،جامعة عنابة، ماي 1995 ، ص 223

كما أن الوقائع التي جرت في الماضي، سواء الحديثة العهد،كحديث الراوية عن أحداث أكتوبر 1988،أو كانت بعيدة مثل الأحداث التي وقعت أثناء بداية الثلاثينات من هذا القرن،إذ أن الكثير منها قدمت للمتلقي على شكل اعترافات للراوية ،وقد أضفى هذا الشكل على النص الروائي < تشكيلا جديدا أو ممازجة حادة بين حلم الماضي ،وحقيقة الحاضر>①

وقد عبرت الراوية "مسعودة" عدة مرات على ميلها للزمن الماضي بالرغم من تشوهاته ،ونتوءاته ،وحرارته،حيث بدا الزمن الحاضر في الرواية ،وكأنه زمن الفاجعة و الخيبة والانسداد تقول الراوية لكاتب اعترافاتها < لا أكتمك لأن ما يدفعني إلى الماضي ،هو رداءة هذا الحاضر الذي نراه!... منذ سكنت هذا القصر هذا القصر ،وأنا أرى كل يوم وأسمع ما لا يصدقه عقل،كل شيء يباع و يشترى ،الأملاك،الوظائف،الضمائر الحريات ، شهادات الجهاد و النضال...كل شيء حتى البشر! أرأيت الناس يبيعون...>②، ويمكن أن نرصد شخصية الراوية مسعودة من زوايا ثلاث:

الأولى:

شخصية مسعودة من الخارج أي تركيز الاهتمام على الجانب الفسيولوجي متضمنا الكيان المادي و جسد الشخصية و مظهرها العام وسلوكها المرئي.

---

①- عمار زعموش.غدا يوم جديد بين الإدراك والانهزامية،أعمال الوطني الثاني،الأدب الجزائري في ميزان النقد،المطبعة المركزية،عنابة 1993،ص103

②- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد ،ص 73

الثانيـــــة:

شخصية مسعودة في وسطها الاجتماعي وحركتهـا داخـل هـذا الوسـط ومدى فاعليتها أو خمولهـا والكيفيـة التـي يحـدث فيهـا انحـراف السـلوك أو تعديله نتيجة خبرتها في الحياة من خلال تجاربها المتعددة.

الثالثـــــة:

شخصية مسعودة مـن الـداخل ،وهنـا نركـز الاهتمـام علـى الجانـب النفسي وما يرافقه من مشاعر وعواطف وأحاسـيس واتجاهـات تفكيـر يقودهـا إلى السلوك الخارجي.

حيث تبدو الراوية "مسـعودة" ،أحيانـا شـاردة ،افتقـدت ملكـة الـتحكم في تدبير أمورها،مشبهة نفسها بـالجزائر<التـي تبحـث عنـد الغير،عمـا هـو موجود بين يديها> ①

و توجد أيضا مواقـع عديـدة فـي الـنص يبـرز مـن خلالهـا تـداخل شخصية الراوية كامرأة مع الوطن/الجزائر ،ويتضح هـذا مـن نظـرة الراويـة لنفسها ،وكذلك من نظرتهـا للجزائـر كوطن،فقـد وصـفت جسـمها للكاتـب: <جسمي كما ترى صار أثرا من الآثـار القديمـة >② ،وعبـرت عـن تـداخل شخصيتها ببعض العلامات التـي تـدل علـى الـوطن/الجزائر،مثـل تشـبيهها لنفسـها بجبـال جرجـرة ،وجبـال الهقار،وجبـال التاسـيلي فـي قولهـا: < إنني أرى نفسي أحيانـا كجبـال جرجرة،عاليـة، عاريـة، وأحيانـا أتخيـل نفسي، كجبال الهقار و التاسيلي >③

---

① - المصدر السابق، ص 25

② - المصدر نفسه، ص 42

③ - المصدر نفسه، ص 45

و عبرت أيضا عن حزنها على المال الذي آلت إليه شوارع الجزائر① كما ينبثق من حديثها عن جمالها ،وشدة كرمها أثناء شبابها معنى كرم الجزائر وروعة جمالها ،وكثرة خيراتها التي استفادت كل الشعوب منها إبان سنوات عزها وعظمتها << كنت كريمة و صغيرة،كان الشباب يملأ عروقي، ما يرغب فيه المحرومون كنت أملكه>②. وينبثق معنى إدانة الراوية للواقع المعيش ،ورفضها له من اعترافاتها الجريئة ،إذ تعترف بأن القصر الذي تقيم فيه قد أفتكه أبناؤها ببنادقهم وهي لذلك تشعر بالاحتقار و الهوان فيه ③ ، كما تعترف بأن زواجها من قدور ،لم يكن منبثقا عن حب وإنما من أجل أن تحقق المشروع الذي بقيت تحلم به منذ صغرها وقد تمثل في الانتقال من الدشرة إلى المدينة، ومن الحياة التقليدية إلى الحياة الحديثة وتعبر رغبة الانتقال هذه في نظرنا عن حلم الجزائر في الانتقال من أوضاع اجتماعية تسيرها أعراف تقليدية إلى وضع جديد يمكنها من امتلاك أدوات الحضارة الجديدة ،ولذلك فإن الراوية لا ترى في شخصية قدور غير القدرة التي تمكنها من الانتقال إلى المدينة التي يتساوى نور الليل فيها، مع ضوء النهار ،وهو أيضا بمنزلة الشخص الوحيد الذي باستطاعته أن يقدم المدينة مهرا لعروسه④، ولكن شخصية الرواية مسعودة كشخصية محورية هي شخصية << مفتوحة على الآخرين تأخذ منهم و تعطيهم و تتغذى روائيا على أفعالهم و أقوالهم >> ⑤

① - المصدر السابق، ص 306

② -المصدر نفسه ، ص 18

③-④- شريبط أحمد:سيميائية الشخصية الروائية.تطبيق آراء: < فيليب هامون> مرجع سابق ، ص 224

⑤- شاكر النبولسي: مدار الصحراء، دراسة في روايات عبد الرحمان منيف، المؤسسة العربية للدراسات و النصر،ط1 1991، ص 174

في حين كانت الشخصيات الروائية المحورية الأخرى هي التي تغذي الآخرين و لا تتغذى منهم، ويمكن أن نبين علاقة الراوية مسعودة بباقي الشخصيات الروائية من خلال المخطط التالي:

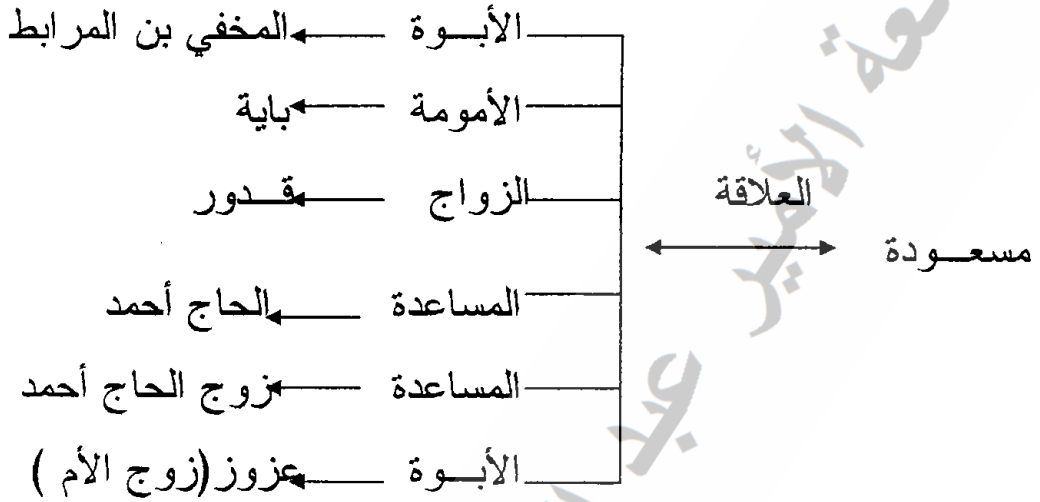

ولقد وصفت الراوية هلعها ،حينما أيقنت بفشل مشروع السفر إلى المدينة عندما أمسك الدركيان زوجها بقولها:< ماذا يقول الناس لو عادت إلى القرية ؟ إنها كارثة بالنسبة إليها ستضيع أحلامها،هي رضيت بالزواج من أجل المدينة، تزوجت المدينة،أما الزوج فلا تعرفه أي راع من رعاة القرية أفضل منه لديها...①.

يمثل السفر إلى المدينة امتلاك الحلم المفقود في الدشرة << ولكنه سرعان ما يتحول إلى كابوس مرعب، وخيط من الدخان يتصاعد من فني الدركيين أثناء اللحظة التي ألقيا القبض فيها على قدور>> ②

---

①- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 27

②- شريبط أحمد شريبط: سيميائية الشخصية الروائية.تطبيق آراء: < فيليب هامون>، مرجع سابق ، ص 224

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن تأثير شخصية الراوية "مسعودة " على مجرى أحداث الرواية قوي وجلي، فهي قد جسدت طموح المرآة كطرف مقصى من حركة المجتمع خلال سنوات الثلاثينات ،وذلك من خلال حلمها الذي يتمثل في الانتقال المادي من مجتمع الدشرة إلى مجتمع المدينة،كما عبرت عن تطور وعي المرآة الجزائرية السياسي والثقافي بعد الاستقلال، وذلك من خلال ممارستها النقدية لذاتها أولا وللقيم الجائرة التي أصبحت تتحكم في مصائر المجتمع ثانيا.

و قد وصف الكاتب إعجابه بشخصية الراوية، وتحليلها الدقيق للقضايا التي تقوم بروايتها له بقوله:< تتحول كلماتها إلى ما فوق الحكمة و ما فوق الجمال! وتصله مباشرة بجوهر الأشياء و الأحداث> ①

وخاطبها أيضا بقوله:< أنت عين ثرارة، يشرب منها كل عابر عطشان > ② ،كما تتحول في نظره إلى مدلول مرادف للزمن و العظمة وذلك في وصفها ،بأنها:عجوز/فتاة، إمرأة /عظيمة ، قاهرة/الرجال و الزمان.

إذ أسند الكاتب لشخصية الراوية أدوارا تفوق مقدرتها كإنسان فعندما تتاظم المرأة لتصير معنى من معاني الوطن ،ومرادفها للزمن،فإنها تحمل ما يحملانه من ديمومة و مهابة ،كما تتحول في نظره إلى مدلول مرادف للزمن و القوة ③.

---

①- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 10

②- المصدر نفسه ، ص 77

③- شريبط أحمد شريبط. سيميائية الشخصية الروائية.تطبيق آراء: < فيليب هامون> ،مرجع سابق ، ص 226

فهي مثل الزمن لا يبلغها الكبر،وتمثل في الوقت نفسه مثله حياة الطفولة وحياة الشيخوخة ،وقد يفوق دورها على دوره حينما تضاف إلى هذه الصفات قوة خارقة ،تقهر بها الزمن ،والرجل في الوقت نفسه وهذا ما جعلنا نقف عند تحليل هذه الشخصية بتعمق كبير ،معتمدين على الأوصاف و الملامح و الأقوال و الأفعال وإلى جانب هذه المظاهر الخارجية ،وجب علينا الغوص في نفسية هذه الشخصية لمعرفة الحالات النفسية التي تمر بها من خلال التركيز على علاقتها مع بعضها البعض ،وبالتالي فإن < تظافر الصفات الداخلية و الخارجية ،يثري الشخصية و يضفي عليها حيوية وتكاملا و شمولا وتعقيدا ،ويزيدنا تعلقا بها واحترازا منها > ①.

و قد أعطت هذه الصفات للراوية "مسعودة" مدلولا يتجاوز رمزها الطبيعي ويكسبها رموزا أكثر عمقا،وأغنى دلالة ،ولا تتوفر مثل هذه الدلالات إلا في رمزية ثنائية: المرأة/الأرض، فالأرض كوطن،هي التي بمقدورها معرفة تاريخ الإنسان،وهي التي يمكنها أن تكون شاهدة على أحلامه وانكساراته ،كما تعرف أدق تفاصيل حياته الظاهرة منها و الباطنية.

وقد كانت تراود "الراوية" من حين لآخر أحلام كانت تهفو إليها نفسها ،ومن بين هذه الأحلام ،زواجها من شخصيات إسلامية عظمى،مثل حلمها بزواجها من الصحابي الجليل عقبة بن نافع ،والطريف أن شخصية الكاهنة هي التي حكمت عليه أن تتزوجه ،ويشير في نظرنا هذا الزواج

---

①- فوزية الصفار: أزمة الأجيال العربية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص 19

و الذي يستحيل إنجازه على مستوى الواقع، بينما يمكن تحقيقه على مستوى المتخيل والحلم ،إلى وجوب تظافر الماضي مع الحاضر من أجل المستقبل ،وكذلك إلى مصالحة المتضادات ،كما تمنت الراوية "مسعودة" لو أنها عاشت في زمن الرسول – صلى الله عليه وسلم – و تزوجت بأحد الصحابة ،مثل خالد بن الوليد ①، فهذا الحلم يمثل اتحادا صوفيا تطهريا حيث ترمي به إلى التخلص من ذنوبها وخطاياها وجاهليتها لتتحد في عالم من المثل و الطهر والصفاوة ،فهي كذلك تأمل أن يصفو ماضيها من كل ما اقترفته فيه.②

أما قدور زوج "مسعودة "،فقد كان قويا ،شجاعا ،نزيها وشريفا عيبه الوحيد أنه كان مدمنا على شرب الخمر،تربى يتيما ،لأن أباه توفي قبل أن يولد ،رحل صغير إلى الجزائر العاصمة،وكان يعمل حمالا بالمرسى دخل السجن بسبب تعاركه مع رجل المحطة،واسمه (قدور) هو صيغة مبالغة من المصدر (المقدرة) وهو قوة جبارة، تكمن في عضلاته ،وتنسجم هذه القوة أو القدرة مع طبيعة عمله كحامل للبضائع في ميناء الجزائر وقد وصفته زوجته مسعودة بقولها:< قدور القوي شهرته لم تتعد عضلاته> ③، ولكن الراوية نفسها تشبه في موقع آخر بشخصية المهدي عرف قدور بشدة تحمله للآلام أثناء تعذيبه في المحجر

---

①- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 225

②- المصدر نفسه ،ص 326

③- المصدر نفسه، ص 16

وسرعة غضبه أيضا وهو ما يوحي به كلام زوجته مسعودة عنه < قدور هو شهريار، وأنا شهرزاد >①

ويمكن أن نبين علاقة قدور بباقي شخصيات الرواية من خلال المخطط التالية:

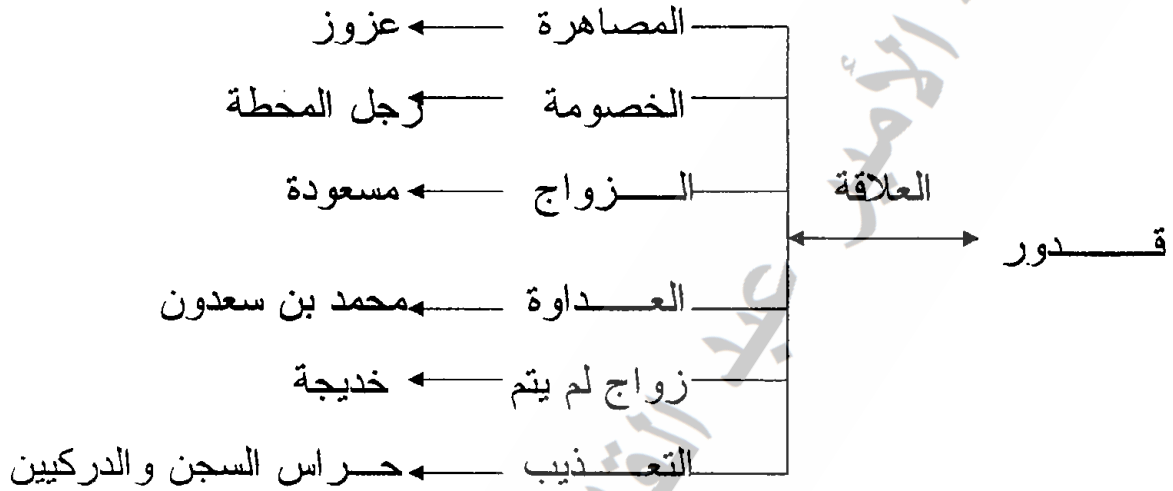

وقد وصف الكاتب جسد قدور بقوله < كان بذراعه وشما يصور قلبا يخترقه سيف>②، ووصف ثيابه قائلا:< في البداية كان السكان يسخرون منه ، من سرواله الطويل الأزرق ،و الجبة البيضاء فوقه وشاشيته الحمراء ،التي يشدها بمنديل فوق رأسه ،كانوا يسخرون أيضا من شواربه الكثيفة الطويلة التي تغطي كامل شفته العليا ،وتغطي السفلى أيضا عندما يكون صامتا ،والتي لا يفتأ يبرم شعرها إلى الأعلى③

---

① - المصدر السابق ، ص 225

② -المصدر نفسه ،ص 326

③ - المصدر نفسه ، ص 16

و الملاحظ في الرواية ، أن الكاتب لم يكن مولعا برسم ملامح شخصياته رسما دقيقا،فربما هذا يعود إلى أن البناء المورفولوجي للشخصيات لم يكن ذا أهمية عند الكاتب أو أنه تفادى رسم الشخصية ليجعلها مفتوحة دلاليا ،ولكنه وفق إلى حد بعيد في رسم شخصياته من الداخل ،فمثلا وصف قدور بالبساطة وطيبة القلب و الغيرة فقال : < قدور رجل بسيط ،طيب القلب ،غيور على شرفه القريب المتمثل في الزوجة >①

أما عزوز وهو الزوج الثاني لـ" باية " أم مسعودة ،فقد وصفه الكاتب بالجشع والقسوة ، حيث قال:< إن عزوز هو السبب، إنه رجل جشع قاس، ظالم يبيع أمه لو كانت له أم من أجل المال،كل شيء عنده يباع >②. إلا أنه كان يؤنب نفسه أحيانا على ما اقترفه ،وهذا خلال لحظات الصحو التي كانت تنتابه من حين لآخر ومن ذلك تأنيبه لنفسه عندما استمع لتعليق أحد الشبان الوطنيين على احتفال فرنسا بالذكرى المئوية على احتلالها للجزائر فقد ردد في نفسه هذا القول:< إنه يكره نفسه في تلك اللحظات ،يكره نفسه التي تطيع السلطة من أجل تعرية الأموات>③.

ويقوم عزوز بخرق الأعراف ،والعادات و لا يتورع في ارتكاب خيانة عظمى ، كإفشائه سر المخفي بن المرابط للسلطات الفرنسية

---

①- المصدر السابق ، ص 104

②- المصدر نفسه ، ص 93

③- المصدر نفسه، ص 270

من أجل أن يحصل على مكسب مادي أو مركز اجتماعي، أو عز، ويدل اسمه على (العز)، مستخدما من أجل ذلك كل سبل الاحتيال و الغش و الخيانة، حيث إن لحظات الصحو التي كانت تنتابه سرعان ما تخفت وتختفي في أعماق نفسه ،وتحل محلها طباعة الشريرة، وأطماعه وقد تحدث الكاتب عن ذلك قائلا : < هذه الأفكار التي تعود بعزوز أحيانا إلى نقاط بعيدة في نفسه ،لا يدعها تتغلب عليه ، و تفسد حياته و مشاريعه >① ،وعلى الرغم من ذلك ،فقد كان عزوز رجلا حازما لا يحب الإهمال و التبذير و حديث المقاهي .

ويمكن أن نبين علاقة " عزوز " بباقي شخصيات الرواية من خلال المخطط التالي:

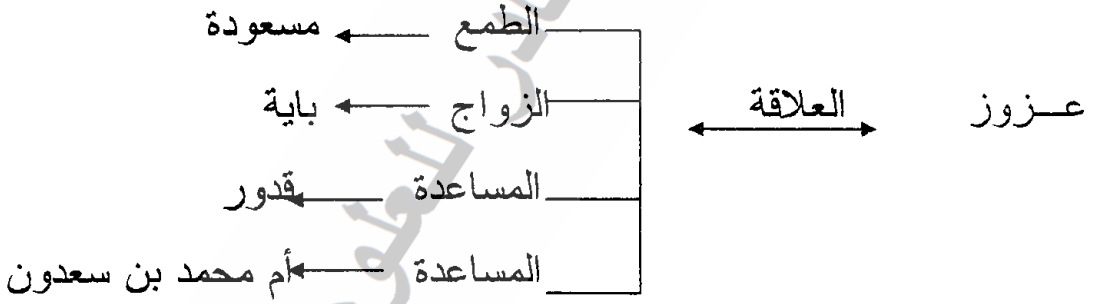

ونلاحظ من المخطط السابق بأن " عزوز " لم يكن كما صوره أغلبية سكان الدشرة مفترسا، بل كان في بعض الأحيان رجلا طيبا حازما بدليل مساعدته لقدور ،وكذلك مساعدته لأم محمد بن سعدون.

---

① - المصدر السابق، ص 270

② - المصدر نفسه، ص 260

وقد أحبت مسعودة الحبيب ابن الحاج أحمد،وهو شاب وسيم قرأ بالزاوية ، ثم انتقل لمواصلة دراسته بتونس و هناك أحب فتاة تونسية تدعى " نجاة" كان نجيبا مواضبا على دروسه ،متفوقا في كل المواد ، تعلق قلبه بمسعودة لأنه شبهها بنجاة و يمكن أو نوضح أكثر ،علاقة الحبيب بباقي الشخصيات الرواية من خلال المخطط التالي:

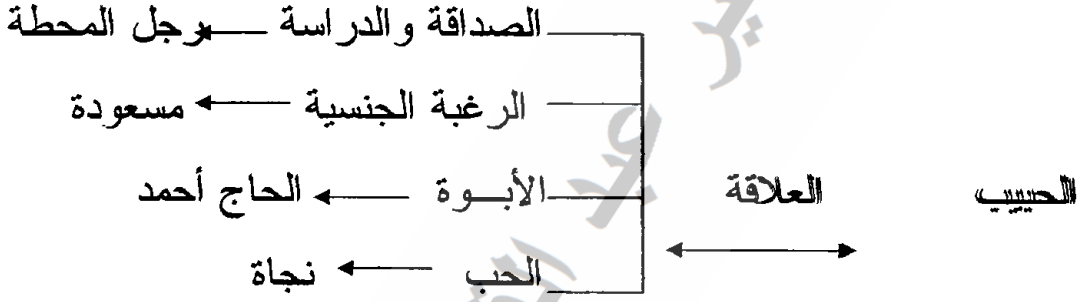

وقد لاحظنا أثناء قراءتنا لرواية <<غدا يوم جديد >> و متابعتنا لمسار حركة الشخصيات، أن " عبد الحميد ابن هدوقة " قد حدد عمر شخصياته في فئتين :

*** فئة الشيوخ:**

وأحسن من يمثلها:الحاج أحمد، المخفي بن المرابط، شيخ الزاوية عزوز،مسعودة بعدما بلغت من الكبر عتيا وتمثل هذه

الشخصيات في النص الروائي (الوقار،التقوى،الخبرة، التجربة ،الشجاعة حب الوطن المعرفة الواسعة)، و الملفوظات التالية دليل على ذلك ①:

- الحاج أحمد تبدو عليه علامات التقوى و الشهامة ②

- أفهمه – أي شيخ الزاوية – أن كثرة المذاهب واختلافها هو الذي يغربل الأفكار و ينقضها.③

- المخفي ذلك المخرب، الذي لو لم يلق عليه القبض بواسطة المخلصين لفرنسا من الأهالي ،ولو لم يمت في حادث المتفجرات بالمحجر ،لأشعل حربا أهلية حقيقية بين الفرنسيين.④

- كل ما درسته وقرأته لم يعلمني ما تعلمته منها – أي مسعودة- في هذه الفترة .⑤

*** فئة الشباب:**

وخير من يمثلها قدور، محمد بن سعدون ، الحبيب ،خديجة ،مسعودة عندما كانت شابة يافعة ، وهذه الشخصيات تمثل(القوة ،التهور المشاكسة الانحراف الجنسي) و الملفوظات التالية دليل على ذلك :

---

①- عبد العالي بشير.دراسة تحليلية لرواية <غدا يوم جديد> ،أعمال الملتقى الدولي الثالث،ص 172

②- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد ، ص 33

③- المصدر نفسه ، ص 227

④- المصدر نفسه ، ص 60

⑤-المصدر نفسه ، ص 10

- قدور في مسائل الغيرة والغضب ،تنتقل الأوامر فورا من نظره إلى عضلاته. ①

- كان بذراعه هو وشم يصور قلبا يخترقه سيف.②

- كان ثملا،رائحة الخمر تملأ ثيابه وجسمه. ③

- كنت لا أستطيع أن أرد أحدا يرغب في شيء أملكه...وكنت قريبة سهلة التناول.④

- أراد أن يخنقني عندما وجدني قد اجتزت مرحلة العذرة.⑤

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

① - المصدر السابق ، ص 16

② - المصدر نفسه، ص 16

③ - المصدر نفسه، ص 16

④ - المصدر نفسه، ص 17-18

⑤ - المصدر نفسه، ص 301

بناء الحدث الزمني :

1- أهمية الزمن في الرواية:

تدون كل رواية قصة،وتروى تلك القصة زمنيا ،وقد غدا البحث في البنى الزمنية التي تحتوي أحداث القصة من أؤكد اهتمامات النقاد المعاصرين ،علما بأن الزمن في أي رواية زمن مزيف،وعلى القارئ أن يقف تبعا لذلك على تتابع الأحداث في الخرافة(Histoire) و نظامها في الحكاية أو الخطاب①، ومن النادر أن نجد حتى في القصص الكلاسيكية و الحكايات الشفوية أحداثا تسرد وفق نظام خطي ،لما للزمن من اتصال وثيق بالشخصية الروائية ،وبأحداث لا يمكن الإحاطة بها دون أن يعمد الكاتب إلى تقنيتي التداخل بين الأزمنة ،بالرجوع إلى ماضي الشخصيات و الأمكنة التي تحتويها ،والكشف عما يتطلعون إليه أو يخشونه مستقبلا وذلك عن طريق تقنيتي السوابق و اللواحق وفي هذا الصدد يبرز لنا الموقف من الزمن و التجربة الزمنية < سواء على صعيد الوعي أو على صعيد الكتابة ،وما تقسيم النص إلى ذلك التقسيم الدائري ،إلا مثالا على ذلك ،وتنكشف لنا من خلاله دورية الزمن الحاضر امتداد للماضي بل هو امتداده السلبي وحصيلته التطورية > ②

---

①- علي منصوري. البطل السياسي في الرواية العربية المعاصرة أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة باتنة 2007-2008 ،ص301

②- سعيد بقطين.انفتاح النص الروائي ، ص 75

إن تتابع الأحداث و تسلسلها أي كما تعيشها الشخصيات – يظهر أكثر في الحكاية التقليدية الشفوية بصفة عامة .

< ظعن تنظيم الأحداث خطيا كثيرا ما يقع التخلي عنه حالما ما يتواجد الشخصان مهمان في القصة فيضطر الراوي-مؤقتا-إلى التخلي عن مغامرة الواحد لمعرفة ما حدث للأخر في الوقت نفسه > ①

وقد شهدت نهاية القرن 19 سلسلة تحولات في تقاليد الرواية، فإذا ببعض الصيغ القصصية ،تكسر استمرار < الزمن البلزاكي> و يعتبر "بروست" قد أحدث ثورة في هذا المجال < إنه لا ينقل إلينا أحداثا تتعاقب وحتى وإن حاول ذلك فلكي يهدم هذا التعاقب >②

فالتخلي عن البناء الخطي للزمن – هو إحدى سمات الرواية الجديدة- لا يهدف إلى غاية جمالية بل إلى توخي نظام معين كثيرا ما يدفع إليه مضمون الرواية، و طبيعة الشخصية الروائية على نحو ما نجد في رواية ﴿غدا يوم جديد﴾، وتتميز هذه الرواية ببنية زمنية في غاية التعقيد فكثيرا ما تتداخل أحداث الماضي بتلك التي تدور في الحاضر بأخرى قد تقع في المستقبل ،ومجالها في الغالب ذهن البطلة (أحداث تتطلع إليها أو تخشاها) ،كما تتعدد السوابق و اللواحق وتتداخل كاسرة بلا انقطاع نظام الأحداث الخطي.

---

①- MICHEL BUTURE .ESSAIS SUR LE ROUCURE GALIUARD 1975.PP 113.114

②- عزة أغاملك.القراءة والكتابة القصصية في الرواية الحديثة،مجلة الفكر العربي المعاصر ،ع44. 45 ،ربيع 1987.

وهكذا يقوم بناء الأحداث في هذه الرواية على انتقال مضطرد بين الماضي والحاضر انطلاقا من < موقع استراتيجي >حسب عبارة "جيرارجينات" وهو الحاضر①

إن هذه السمات تجعل وضع ترسيمة لاستكشاف هذه الأعمال من زاوية الزمن أمرا شاقا،ولكنه ضروري لإلقاء بعض الأضواء على عالم الرواية الداخلي.

إن تفكيك الرواية من الداخل ،من شأنه أن يفضي بنا إلى ربط جداول للأزمنة وأخرى للأمكنة وثالثة للشخصيات ،وبالبحث في طبيعة الأحداث والمدى الذي استغرقه كل حدث ،يمكننا الوقوف عند الزمن المرجعي وزمن المغامرة.

2- الزمن المرجعي:

إن الإلمام بالزمن المرجعي وتحديد الإطار التاريخي الذي قد يحيل عليه النص الأدبي ،ولو بصفة تقريبية يعتبر من الأمور المفيدة في دراسة الأعمال القصصية وخاصة إذا كانت الرواية ذات طابع اجتماعي سياسي واضح كما هو الشأن في ﴿غدا يوم جديد﴾.إن تحديد الراوية لبعض التواريخ أو إشارتها العابرة إلى بعض الأحداث التاريخية ذات الأهمية قد تساعدنا على ضبط طرفي الزمن المرجعي في الرواية والذي اقترن بحدثين هامين هما:- الذكرى المئوية لاحتلال فرنسا للجزائر

- وأحداث الخامس من أكتوبر 1988

---

①-GERARD GEUETTE FIGURE 3COLLECTION POETIQUE EDITION DU SEUIL PARIS ;P75.

زمـــن المغامـــرة:

يميـــز ميشـــال بورثور بيـــن أزمنـــة ثلاثـــة في الروايـــة ①:

1- **زمـــن المغامـــــرة:** وهـــو المـــــدة التـــــي تستغرقـــــها أحـــــداث القصـــة.

2- **زمن الكتابـــة:** وهـــــو الـــزمن الـــذي يعتمـــده الكاتـــب فـــي روايـــة الأحداث .

3- **زمن القراءة:** وهو متغير مادامـــت الروايـــة تطبـــع ويقرأهـــا النـــاس جيلا بعد جيل.

والتركيز هنا ينصب على زمن المغامرة ،لما لـــه مـــن أهميـــة خاصـــــة في إدراك القضية المطروحـــة فـــي هـــذا البحـــث ويتفـــاوت زمـــن المغـــامرة من رواية إلى أخرى،إذ أن تعقد مسالك السرد ونظـــام الأحـــداث الزمنـــي لـــيس من السهل على الدارس أن يضـــبط زمـــن المغـــامرة ،علـــى أن الانتبـــاه إلـــى عديد الإشارات التي تستغرقها الأحداث ويتـــوزع مجمـــوع الأحـــداث والوقـــائع في رواية ≺غدا يوم جديد≻على الفترات الزمنية التالية:

1- **الزمـــن الأول:** ما قبل الثورة.

2- **الزمـــن الثاني** : فترة الثورة التحريرية.

3- **الزمـــن الثالث:** ما بعد الاستقلال.

---

①- ميشال بورثور . بحوث في الرواية الجديدة، ص 62.

ويعتبر "جيرار جينات" :< الحكاية مقطوعة زمنية مرتين ،زمن المحكي ،وزمن الحكاية > ① ،وهو الأمر الذي يؤكده بول ريكور :< يمكننا القول أن هناك نوعين من الزمن في كل قصة مروية،هو سلسلة من الأحداث ومن ناحية أخرى تقدم القصة المروية جانبا زمانيا آخر يتسم بالتكامل والنضج والاختتام الذي تدين له القصة بحصولها منه على صياغة تصورية معينة >② ،لكننا ندرك بجلاء أن الرواية قد تجاوزت ثنائية الزمن المشار إليها إلى شبكة أكثر تعقيدا ،وذلك ببساطة لأن زمن الحكي قد تجاوز المرة الواحدة ،فالقصة سردتها مسعودة أولا لمتلق متضمن هذا الأخير الذي سردها هو بدوره لمتلق مفترض ،وبالتالي فإننا نستنتج من هذا التحديد الأولي للبنية الزمنية المعقدة مجموعة من المقاطع أو المحاور الزمنية الأساسية التي انبنت عليها الرواية ،ويمكن إيجازها كالآتي ③:

1- المقطع الأول:

وهو الزمن الذي جرت فيه الأحداث القصصية فعلا،والذي عاشت فيه مسعودة صباها ،وقد كان في فترة الاستعمار ،وقد ارتبط بمكانين القرية أولا ،ثم المدينة . ويمكن أن نمثل للفترتين بمقاطع من النص :< القرية التي ولدت فيها تبني الأساطير والآلهة والأنبياء والأبطال ... والزمن الذي عاش فيه أبي لم يبق فيه لسكان القرية غير أسماء أسطورية

---

① -GERARD GEUETTE FIGURE III SEUIL ,P147

②- بول ريكور.الوجود والزمان والسرد،ص 41-42

③- نبيلة زويش .البنية الزمنية في رواية غدا يوم جديد ،أعمال الملتقى الوطني الخامس .

رمزية بعيدة وذكريات أشد رمزية وأسطورية ،نسجتها الذاكرة الجماعية لتحمي نفسها من الانقراض النهائي أو انقراض ما يتصل بهويتها تحت ضربات المستعمر.①

-< عندما دخلت المدينة لأول مرة ،نزعت حذائي الجبلي الغليظ ،حذاء البيرني المسمر ،كانت طرق المدينة عندي ألين منه ،أتذكر أيضا أنني لم أنم الليلة الأولى حتى أذان الفجر.>②

2- المقطع الثاني:

و هو الزمن الذي سردت فيه مسعودة قصة حياتها على الكاتب وهو الزمن الذي بدا آنيا،وهو أيضا الأكثر تحديدا لأنه احتوى على إحالات تاريخية دقيقة كما سنبين ذلك من خلال بعض الأمثلة من النص :

- < أكتب قصتي بما تعرف من كلمات وإيماءات جميلة، كتابتي أنا لا تستطيع أن تتحمل الهواجس والمكنونات > ③
- < أكتب ما أقصه عليك بكلماتك، ما يملك رأسي لا تفنيه كلماتي>④
- < أكتب القصة مبعثرة ،لكي لا يبعد الزمن بين أحداثها لكي لا يكون الزمن شاسعا بين أكتوبر وديسمبر مثلا > ⑤

---

①- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد ، ص 101

②-المصدر نفسه ،ص 11

③- المصدر نفسه ، ص 13

④- المصدر نفسه، ص 15

⑤- المصدر نفسه، ص 17

3- المقطـــع الثالث:

وهو الزمن الذي سرد فيه الكاتب قصة مســعودة. مــا علمــه منهــا ومــا علمه من غيرها، بالإضــافة إلــى ســرده لــبعض المقطوعــات التــي شــكلت ومضات زمنية من حياته هو نفسه.

- < أسدلت الجزء الأعلــى مــن لحافهــا علــى وجههــا وهــي تــرى برصيف المحطة شخصا يسترق النظر إليها، شــعرت بعواطــف غريبــة تنتابها...>①

-< ما ذا لو حدثتنا عن الحبيب حلم شــبابها،...ومــع ذلــك ...لا بــد أن أحكي لها القصة > ②

- < أصعد في الزمن ،في الــذكريات المنســية،في الطفولــة...كــم كــان سني حينئذ ؟ لا أدري ...كنت صغيرا ...> ③

ويبدو من خلال مقاطع النص تنوعــا كبيــرا فــي المســتويات الســردية لأن النص لم يستقر على ســارد واحد،ولــذلك لــم يعــرف الاســتقرار فينتقــل في كل مرة من السرد من الدرجة الأولــى إلــى الســرد مــن الدرجــة الثانيــة وقد أحدث تداخلات حكائية واضحة ،هــذه التــداخلات الحكائيــة أدت بــدورها إلى تداخــل البنى الزمانيــة.

---

①- المصدر السابق ، ص 23

②-المصدر نفسه ،ص 195

③- المصدر نفسه، ص 39

اللواحق و السوابق:

إن اعتمادا تقنيتي تنافر الزمني فضلا عن غاياته الجمالية قد يكون ضروريا لتجنب الملل الذي تبعثه متابعة الأحداث الخطية الرتيبة و العودة إلى الوراء سواء جاءت عن طريق الراوي العليم أو عن طريق الأنا السارد، من شأنها أن تحدد التفاوت بين الأزمنة كما تسمح للكشف عن مفعول الزمن على الأشخاص وتصرفاتهم ونظرتهم إلى الآخرين من حولهم ورؤيتهم للواقع والوجود عامة.

وقد تشكل على مستوى البنية الزمنية المكثفة لرواية ﴿غدا يوم جديد﴾، تنويع في المفارقات الزمنية ،خاصة اللواحق ،التي تراكمت مشكلة ارتدادات على ارتدادات ،كان منها الخارجي والداخلي، القريب في البعد الزمني والبعيد ،القصيرة المدى والطويلة، وبينما تعلقت السوابق بالمقطوعات السردية التي لم يتم تحققها على مستوى الفعل وتجلت على مستوى القول فقط ،فقد حاول الكاتب استغلال بعض اللواحق القريبة للإيهام بآنية بعض الأحداث .سنحاول فيما يأتي أن نبين بعض النماذج منها.

اللواحق:

يعرف جيرار جينات اللاحقة بأن < يترك الكاتب مستوى القص الأول ،كي يورد أحداثا سابقة للنقطة التي بلغها السرد > ①

---

①- جيرار جينات.عودة إلى خطاب الحكاية ، ترجمة محمد معتصم،ط1، 2000 منشورات المركز الثقافي العربي ، ص 159.

وهذه الأحداث متفاوتة باعتبار بعدها عن النقط التي وصل إليها السرد ومن هنا يمكننا الوقوف عند أنواع عديدة من اللواحق.

إن كل ما سردته " مسعودة " كان استذكارا لماضيها وحياتها وبذلك فأغلب المقاطع لواحق ذاتية استرجعت من خلالها حياة مسعودة .

– < أيامي ...يا لأيامي ! طفلة ،زوج أمي أرغم قدورا على خطبتي وأرغم أمي على الموافقة. أنا فرحت ،حلمي كان اسمه حينئذ المدينة !> ①

– كنت في شبابي أسمع جوارحي وأرى بكل جسمي! كم كانت المتعة كبيرة !كانت الدنيا كلها لوحات متجددة > ② .

–< في صغري كنت أستحم مع أترابي تحت شلالات الوادي أو في أحواضه...كم كنا نتلذذ > ③

–< وأصبحت أما لأطفال بدل واحد تركه أبوه مضغة في بطني !إنهم إذا شئت أن تضحك من مأساتي يمثلون البشرية...بيتي القصباوي الصغير ،ثم بيتي الكبير...أبنائي كلهم شاركوا في الثورة >④

يظهر من خلال هذه الأمثلة القليلة أن رواية <غدا يوم جديد> قد انبنت أساسا على اللواحق ،حيث ارتدت الساردة واسترجعت ذكريات

---

①– عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ص 15

②– المصدر نفسه، ص 22

③–المصدر نفسه ،ص 38

④– المصدر نفسه ، ص 18

الماضي التي شكلت قصة حياتها ،التي تريد أن يكتبها لها هذا الكاتب وكما يبدو في الأمثلة السابقة أن اللواحق كانت متنوعة ومختلفة ويمكن أن نوضح ذلك من خلال القرائن الدالة على ذلك > ①.

لم تكن هذه اللواحق ذات مدى واحد ولا سعة واحدة، فقد ارتدت إلى الماضي البعيد الذي يتحدث من قولها < طفلة > ، < زوج أمي > وهو سن الطفولة الذي عاشته مع زوج أمها وتؤكد هذا في مقاطع أخرى و تشير إليه بقولها < في صغري > ،ثم تحدث انكسارات زمنية أخرى فترتد إلى ماض أقرب ليتشكل على مستوى النص لواحق على لواحق، بمعنى أن الزمن يركب مما يحدث تداخلات وانكسارات كثيرة ،لكن ما نود الإشارة إليه أن مسعودة لم تبدأ من الطفولة ،فالشباب حتى تصل إلى اللحظة الآنية ،وذلك لأنها كانت تقدم وتؤخر دون أن تلتزم بترتيب تنازلي للأحداث ،ورغم أنها تسرد قصة حياتها مبعثرة ،كما تقول عنها ،إلا أننا نستطيع أن نتبين كل المراحل التي تحدثت عنها : الطفولة الصبا ،الشباب ، الزواج ، الأبناء وغيرها من المراحل ،ويمكن أن نقسمها أيضا على مراحل زمانية ،قبل الثورة ،إبان الثورة ، وما بعدها.

إن أهم ما نتوصل إليه على مستوى البنية أن اللواحق لوحدها قد شكلت انكسارات كبيرة على مستوى الزمن الماضي .

---

①- نبيلة زويش :البنية الزمنية في رواية غدا يوم جديد ،أعمال الملتقى الوطني الخامس ، ص 123.

السوابـــق:

لعل إحدى الخصائص المميزة للروايـــة الجديـــدة وروايـــة تيـــار الـــوعي مقارنة بالرواية الكلاسيكية هي التركيز المكثف علـــى تقنيـــة الاســـتباق، فيحـــاط القارئ علما بأحداث ووقائع متقدمة علـــى النقطـــة التـــي وصـــل إليهـــا الســـرد ولقد لاحظ جيرار جينات أن < السرد بضمير المـــتكلم أكثـــر أنمـــاط القصـــص ملاءمة للاستباق نظـــرا لطبيعـــة الرجعيـــة الصـــريحة التـــي لا تســـمح للأنـــا السارد بالإشارة إلى الحاضر فقط > ① ،بـــل بالرحيـــل عبـــر أحـــلام اليقظـــة لاستكشاف مستقبله وهذه الإشارات تعد جزء مـــن وظيفـــة الـــراوي فـــي هـــذا النوع من أنواع السرد.

وقد جاءت السوابق في هاتين الـــروايتين تجســـيما لمـــا تزمـــع الراويـــة القيام به مستقبلا أو تعبيرا عن توقعات أو مخـــاوف تـــلازم الراويـــة أو أحلامـــا تمني بها ، خاصة في وهـــدة الإحساس المدمر بعبث الحياة

ويمكن اعتبار أهم سابقة تكـــررت علـــى مســـتوى ســـرد مســـعودة هـــي التـــي وردت في المقطوعـــة الآتيـــة:

-< أقول كل شيء ،ثم أذهب إلى مكة لأغسل عظامي وأيامي > ②

لقد تكررت هذه السابقة التي شـــكلت التنـــافر الزمنـــي الثـــاني وصـــيغة الفعـــل تدل على المستقبل، إنها استشراف غير أننا نلاحظ أنهـــا تبقـــى علـــى مســـتوى القـــول ولا تتحقق على مستـــوى الفعل إنها مثل توقـــع .

---

①- جيرار جينات.عودة إلى خطاب الحكاية ، مرجع سابق، ص 159.

②- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد،، ص 15

أما ما يمكن قوله بالنسبة لبقية السوابق التي وردت في النص فإنها كانت قصيرة المدى، إن لم تكن غير محددة ، من ذلك مثلا ،قول مسعودة: < أعرف أن الله سيعاقبني على كثرة أفعالي > ①

وقولها أيضا :< لا تخش أحدا، إذا لم يحمك ابني الوزير ،حماك ابني الضابط ،أؤكد لك أنه سيفعل > ② .إن هذه السابقة لا تورد حدثا مستقبليا بقدر ما تنفي حدوثه مستقبلا.

كما ورد على لسان " مسعودة " صيغ مبنية على أفعال طلبية ، وقد ارتبطت بقرائن تدل على المستقبل ،مثل "السين " أو " سوف " فتشكلت سوابق تنبأت مسعودة من خلالها بأحداث ممكنة التحقق لاحقا.

- < إذهب إلى القرية ،حدث الناس ،أسألهم سوف تجد صورا من حياتي > ③
- < أريد أن أرى عزوزا ،الحاج أحمد، أريد أن ارى الحبيب ، أريد أن أرى قدورا ،صامدا للعذاب...>④

إن الملفت للانتباه في مثل هذه السوابق أنها تشير لاستحضار أشياء من الماضي ،تجسدت زمانيا وانتهت ،ومن ثم فهي ليست إنباء إن مسعودة تستغل الماضي و تريد أن تخلق منه مستقبلا .

---

①- المصدر السابق ، ص 215

②- المصدر نفسه، ص 261

③- المصدر نفسه ، ص 71

④- المصدر نفسه، ص 80

لكن المدهش في تقنية السوابق إدراك الساردة لجماليات الزمان فهي تقول للكاتب: < أنت تستطيع إلغاء الزمن أو دمجه في زمن جديد > ①

تجدر الإشارة أيضا إلى أن أغلب هذه السوابق قد ارتبطت بلحظات رجوعها إلى الحاضر فكلما توقفت مسعودة عن الاستذكار ،سعت لمناقشة الكاتب أو توجيهه لما تريد.

هناك نماذج أخرى من السوابق ،لكنها وردت بعفوية فاكتسبت بطابع عرضي ،السبب الذي لم يجعلها تؤثر في المجرى الحكائي و القصصي.

كما يمكن القول إن أغلب السوابق بدت عفوية ،فظهورها بشكل مفاجئ ،وعدم احتلالها لحجم نصي كبير يؤكد ما نذهب إليه②.

إن ظاهرتي الاستباق والاسترجاع اللتين تؤسسان بتقنيتي السوابق و اللواحق ، لا تستندان إلى وعي واضح بالحدود الزمنية بين الماضي و الحاضر والمستقبل ، فهذا التداخل يأتي بصفة عفوية ،وكأنه لا مشيئة للراوية فيه، وهو ما يحمل دلالة بليغة فيما يتصل بحالة الراوية النفسية ونشئتها الذهني ،ووقوعها تحت تأثير عبء الزمن الماضي وضيقها بالحاضر وشوقها إلى الانعتاق من قيد الإحساس المتضخم بالخطيئة و التطهر من الذنوب.

---

①- المصدر السابق، ص 130

②- نبيلة زويش .البنية الزمنية في رواية غدا يوم جديد ،أعمال الملتقى الوطني الخامس ، ص 124.

وهذا التداخل الزمني يأتي أيضا تعبيرا عن نفسية مضطربة كئيبة فالراوية تحاول جاهدة الإفلات من أسر الماضي ،ولكن ماضيها يطاردها بلا هوادة، و هي تحلم كثيرا بالسكينة و الاستقرار و النقاء ولكنها تجد الآفاق مسدودة في وجهها و هذه الحالة النفسية المتدهورة تكيف إدراك الراوية للزمن في مستوياته الثلاثة : المنقضي و المعيش و المنظر- وقد أثبتت الدراسات الفلسفية للزمن باعتباره مفهوما وظاهرة ما للعوامل النفسية و التجارب الذاتية على اختلافها من تأثير في تكييف إحساسنا بالزمن فهو ليس معطى مستقلا بذاته ،بل هو < وليد قريحتنا و لا وجود له بدوننا > ① . فالزمن إذا زمنان:

الزمن الموضوعي الذي تقع فيه المتعاقبات ،و هو الزمن الرياضي القابل للقيس .

و الزمن الذاتي و فيه تتوالد الأحاسيس دفعة واحدة فلا يبقى من فاصل بينها إذ تتداخل و تتشابك في نفسية الإنسان و ذاته.

---

① - علي منصوري. **البطل السياسي في الرواية العربية المعاصرة** أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة باتنة 2007-2008 ،ص318

***المكـــــان ودلالتـــه:**

تدون كل رواية حكاية فرد أو مجموعة ،تحتـوي سلسـلة مـن الأحـداث يختلف نظامها من اثر إلى آخر ،وتتنزل في إطار زمـاني وآخـر مكـاني وقـد عرف " ميشال بورتور" الرواية بأنهـا < رحلـة فـي المكـان >① ، بـل إن هذه الرحلة هي الموضوع الأساسي لكل أدب روائي.

وإذا كان اهتمام كتاب الروايـة الواقعيـة ،متجهـا إلـى وصـف الأطـر المكانية بدقة وأمانـة متنـاهيتين ،حرصـا علـى الإيهـام بواقعيـة الأحـداث و الشخوص، وقد أدرك النقـاد مـا للمكـان مـن طـور متميـز فـي تكييـف الأحداث والكشف عن المضـمون العميـق لأي قصـة ،فللمكـان مـا للزمـان مـن أهميـة فـي تشـكيل ملامـح الشخصـية و سـبر أغوارهـا ،وإبـراز خصوصـيتها لأنـه < لا يتسـنى إفـراد شخصـيات الروايـة بمـا يميزها من الصـفات والـرؤى،إلا إذا نزلناهـا داخـل سـريرة مـن الزمـان و المكـان >②

والمكان في الروايـة الجديـدة ،لـيس مجـرد وعـاء يـؤطر الأحـداث والأشخاص ،بل إن علاقتـه بالإنسـان علاقـة جوهريـة ،تلـزم ذات الإنسـان وكيانـه لأن وظيفـة المكان ودلالته كثيرا ما تتشكلان من خلال علاقـة

---

①- ميشال بورثور . بحوث في الرواية الجديدة، ص 83.

②- علي منصوري. البطل السياسـي فـي الروايـة العربيـة المعاصـرة أطروحـة مقدمـة لنيـل درجـة الدكتـوراه، جامعة باتنـة 2007-2008 ،ص318

الإنسان الخاصة بـــه < فالفضـــاء داخـــل الروايـــة لـــيس محايـــدا ،بـــل يعبـــر عن نفسه من خلال أشكال متفاوتة،ويكتسب معـــاني متعـــددة إلـــى الحـــد الـــذي نراه أحيانا يمثل سبب وجمد الإنتاج نفسه >① ،وهو فـــي هـــذه الحالـــة يتحـــول إلى محاور حقيقي ،ويقتحم عالم السرد محررا نفسه من أغلال الوصف.

إن الأمكنة في رواية ≻ غدا يـــوم جديـــد ≺، وإن ظهـــرت خصائصـــها وسماتها الموضـــوعية ،ووظيفتهـــا الاجتماعيـــة الأصـــلية،قد وظفـــت توظيفـــا محكما للكشف عن أزمة الراوية وآمالها وخيباتها، < فالفضـــاء هـــو نظـــام دال وهو يشكل في الرواية العنصر البنائي الأساسي في توليد الرواية ②

ويشكل تعدد الفضاء المكاني في رواية≻ غدا يـــوم جديـــد ≺، ظـــاهرة جماليـــة متميزة ،ويكاد محور الريـــف/المدينـــة ،يطغيـــان علـــى هـــذا العمـــل الروائـــي بحيث تتداخل فضاءات الريف بفضـــاءات المدينـــة فيكونـــان نســـيجا متشـــابكا من الصلات و الدلالات و الرموز.

1- الفضاء الريفي:

- **القرية /الدشرة:**

يعتبر فضاء الدشرة مـــن أكثـــر الفضـــاءات و الأمـــاكن حضـــورا فـــي الروايـــة، وقرية الجبل الأحمر في النص الروائي ،هي نمـــوذج

①-ROULAND BOURUF ET R.OULLET , L'UNIVER DU ROUAU IBID,P98

②- عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي ،معالجة تفكيكية سيميائية مركبة،لرواية زقاق المدق،ديوان المطبوعات الجامعية(د.ط) 1995،ص 189

للقرية الجزائرية التي لا تزال ترزخ تحت البؤس والفقر وقساوة الطبيعية ،والتي لم يرفع عنها الغبن و الشقاء في زمن الحرية أوالاستقلال.①

ومن هنا نستطيع القول إن اختيار الكاتب لفضاء القرية ليس اختيارا عبثيا وإنما هي رؤية تعكس موقفه من الوضع الذي آل إليه سكان هذه القرية من تخلف وجهل وبؤس.كما أن فضاء القرية في سكونه و ثباته وافتقاره إلى عناصر الحياة ، يتحرك بوصفه فاعلا مضادا لرغبات سكانها.

والشيء الملفت للانتباه في هذه الرواية ،أن الإفلات من سلطة المكان،لا يكون بالعمل على تغيير العلاقات التي تسيره ،وتتحكم فيه بل بالانتقال إلى فضاء آخر يجلب السعادة هو فضاء المدينة.

إذا كان فضاء القرية في اتساعه،يعج بدلالات اجتماعية وفكرية تنهض في اتساعه ،تنهض عبر الإشارات التي تنتج عن التفاعل بين الإنسان و الطبيعة ،فإننا نجد في رواية﴿ غدا يوم جديد ﴾، أفضية أخرى محتواة في فضاء القرية ، لا تخل من دلالات رمزية واجتماعية و من بينها :

- **العين:**

العين في الدشرة ،هي كالحمام في المدينة و هي مصدر لتبادل المعلومات و الأخبار بين نساء الدشرة ،وفيها يتعرفن على ما يجري

---

①- عبد العالي بشير. دراسة تحليلية لرواية غدا يوم جديد ،لعبد الحميد بن هدوقة أعمال الملتقى الوطني الثالث،ص 181.

في وطنهم الصغير وهي أيضا ،مكان لتناقل الإشاعات و الغرانيات والاتفاقيات.

- محطة القطار:

تتضح أهمية هذا الفضاء ،في كونه يعتبر نقطة انطلاق لأحداث الرواية، وتحويل مسارها،وفي كونه أيضا يشكل بالنسبة لبطلة الرواية "مسعودة " ،وغيرها من الشخصيات نقطة عبور نحو الحلم .①

وقد كشف لنا الكاتب من خلال وصفه العام لمحطة القطار عن موقعها الجغرافي الطبيعي فقال: < الحر يلفح الوادي الذي تقع فيه المحطة الشمس لم تعد أشعة وأضواء صارت لهيبا في هذا الوادي الناشف الذي التحف حفافاه بالأملاح ...لحسن الحظ أشجار الصنوبر و الكاليتوس تغطي المحطة من أقصاها ،و إلا لانعقدت الألسنة وجفت الحلوق.②

2- فضاء المدينة:

هي بالنسبة لسكان القرية ،حلم للتخلص من شقاء وحر القرية ورتابة الحياة، وهي واقع أسطوري إن صح التعبير ،ولقد اتخذ هذا الفضاء في النص الروائي عدة دلالات نذكر منها:

◆السعادة ، النعيم ، الرجاء ، جاء ذلك على لسان الراوية مسعودة: < المدينة في خيال القرويين قصورا واسعة الأرجاء ...> ③

---

①- المرجع السابق ،ص 181.

②- عبد الحميد ابن هدوقة : غدا يوم جديد، ، ص 24-25

③- المصدر نفسه ، ص 129

♦الإعجاب و الانبهار< عندما دخلت المدينة لأول مرة ،نزعت حذائي الجبلي الغليظ ،حذاء البيرني المسمر ،كانت طرق المدينة عندي ألين منه أتذكر أيضا أنني لم أنم الليلة الأولى حتى أذان الفجر ضوء الكهرباء فتنني.> ①

♦ الحرية ،تقول الراوية:< المدينة لا يعرف الناس فيها بعضهم بعضا تفعل ما تشاء ،لا يسأل عنك أحد ،ليست كالقرية > ②

ولذلك لاحظنا أن " مسعودة " لم تتكلم عن فضاء المدينة و قيمته الجمالية سوى لأنها لا تجد صعوبة في ممارسة حياتها به ،حتى أنها لم تقبل الزواج من قدور إلا من أجل أن تنتقل إلى المدينة ،وعبرت عن ذلك بقولها < هي رضيت الزواج من أجل المدينة،تزوجت المدينة ! >③ وكانت المدينة تتراءى لها عندما يتحدث عنها < بأضوائها التي محت عنها الليل يخبزها الذي تتلقفه الأبصار قبل الأفواه > ④ ،أما "خديجة" فقد ضحت بعواطفها نحو" محمد " مقابل نعيم المدينة <...كانت موزعة بين الشوق إلى نعيم المدينة ،وعواطفها نحو محمد لكن النعيم غلب العواطف ،ملذات المدينة لا يعطيها لها محمد إنها تريد أن تسير تحت أنوارها وعلى طرقها الحريرية التي لا تؤذي الرجل...>⑤

---

①- المصدر السابق ، ص 15

②- المصدر نفسه، ص 18

③- المصدر نفسه، ص 27

④- المصدر نفسه، ص 65

⑤-المصدر نفسه ، ص 129

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3- فضـــاء السجـــن:

يعد السجن المكـــان المشـــؤوم للإنســـان ، فهـــو يـــوحي دائمـــا بـــالحزن والعذاب والذل والقمع والظلم. وقد وجدنا أن هذا المكـــان يحتـــل حيـــزا لابـــأس به في الرواية حيث أن الكاتب ،نسج بعض أحداثـــه فـــي الســـجن الاســـتعماري الفرنسي،كما حدث لقدور ورجل المحطة.

وإذا كانت الوظيفـــة الأصـــلية للســـجن هـــي إلغـــاء كـــل فعـــل مـــادي أو فكري كان يصدر على الأهالي ،فإنه في هذه الروايـــة يمثـــل بـــؤرة للحركـــة ومجالا للصراع بين رغبة المستعمر في تعـــذيب وســـحق الـــوطنين المخلصـــين وصمود وتحدي هؤلاء المساجين من أجـــل إثبـــات الـــذات ،وهـــذا مـــا حـــدث مع قـــــدور.

ومما لا شك فيه أن السجن، يعد عالم الرعـــب المســـتوطن فـــي القلـــوب وهـــو أخطـــر أدوات الســـلطة لســـحق نزعـــة التفكيـــر والفعـــل المضـــاد فـــي المـــواطنين متـــى قصـــرت القـــوانين الزجريـــة والإيديولوجيـــة عن تأمين ذلك ①

إن توظيف عبـــد الحميـــد بـــن هدوقـــة لهـــذا المكـــان المشـــؤوم يرمـــي إلى هدف وبعـــد معينـــين، فقـــد أراد الكاتـــب أن ينقـــل لنـــا حقـــائق ســـجون الاستعمار وما كان يدور فيها من جـــرائم وظلـــم ،وكانـــت وســـيلته فـــي ذلـــك النقل ،الوصف الدقيق للمعامـــلات السيئة التي استهدفـــت المساجيـــن.

---

①- علي منصور.البطل السجين السياسي فـــي الروايـــة، العربيـــة المعاصـــرة أطروحـــة مقدمة لنيل درجـــة دكتـــوراه الدولـــة فـــي الأدب الحـــديث جامعـــة باتنـــة 2007-2008 ص 321

وخلاصة القول إن " ابن هدوقة " ،في هذه الرواية ، قد وظف أبرز الأدوات الروائية الجديدة ،التقطيع المكاني والزماني صنع اللقطة، تفتيت الحدث وتغيير الإيقاع من شخصية إلى أخرى ،الوصف الفني الذي يساعد على إلقاء الأضواء على الشخصيات والأمكنة،الصور الموحية المتميزة بالحيوية والطرافة،الرموز التي تساهم في فهم الأحداث ، اللغة المتنوعة التي تنبض بحرارة الشعر، إلى غير ذلك من الأساليب التي استغلها لخلق شخصيات تنبض بالحياة ،ومواقف درامية ذات أبعاد عميقة تضيف خصوبة وثراء لنصوصه المتميزة بالتكثيف التعبيري و الرمز الموحي و الرؤية السياسية الواعية.

غير أن نهاية رواية< غدا يوم جديد>، يصعب وصفها أو نعتها إذ هي في الحقيقة نهاية اللانهاية أو هي لا نهاية النهاية هي نهاية حائرة حيرة الكاتب نفسه، وهي انفتاح على مستوى تطور الأحداث إذ تتوقف كتابة الرواية دون أن تتوقف الرواية،بل لعل ما سيحدث تصورا و افتراضا بعد توقفها وانتهائها ، هو أغرب بكثير مما حدث أو مما صوره الكاتب.

وفي ضوء ما سبق، يمكننا استخلاص جملة من النتائج أهمها :

1- تندرج رواية < غدا يوم جديد>، ضمن خانة تيار الوعي إذ أنها في مجملها ،مجموعة من الاستذكارات لأحداث ماضية استحضرتها بطلة الرواية " مسعودة " بواسطة التداعي الحر الذي

لا قانون له إلا نفسية " مسعودة " المشوكية المتغيرة المتقلبة في هذيانها وسيولة ذاكرتها المثقلة بتفاصيل الماضي.

2- شخصيات الرواية ليست إلا علامات تتجاوز الواقع للإحالة على مدلولات أعقد ،تعبر عن فلسفة الكاتب وإيديولوجيته الخاصة،حيث نجد " مسعودة " الأنثى في دلالتها السطحية تحيل على المدينة بوجهها الواقعي و الخيالي لكن في دلالتها العميقة فهي تحيل على الألم.

3- حملت رواية ﴿ غدا يوم جديد﴾، سمات الرواية الجديدة التي تتداخل فيها الأزمنة، ويعايش فيها الماضي الحاضر ،كما ركز الكاتب على الحدث أو الفكرة موظفا الشخصيات النمطية التي تجمع بين أكثر من مستوى وظيفي مستغلا في ذلك الرمز بصورة مكثفة.

4- نلاحظ من خلال بطلة الرواية " مسعودة " سيطرة الزمن الاستذكاري والذي يحيل على دلالة التطويق والحصار و الخنق بالإضافة إلى دلالة الصراع والقهر والظلم و التعذيب و النفي... إن هذه الدلالات الرمزية المكثفة للأحداث و الشخصيات ،جعلت رؤية القارئ للرواية تتسم بالغموض ،وجعلت الرمز ينهار أحيانا ويفقد ميزة الوضوح والتي هي من السمات الرئيسية للفن وعنصر ملازم لجماله.

5- كما نسجل من خلال الدراسة الفنية لرواية ﴿ غدا يوم جديد ﴾ مجموعة من الانكسارات فهناك :

- انكسار اللغة الروائية، من خلال القاموس اللغوي المشحون بعبارات الحزن والخيبة والمرارة ،والتي كانت في غالبيتها لغة قلقة متوترة.
- انكسار الشخصيات من خلال بناء الحدث الروائي حيث نلمح ذلك التمزق الذي يستوطن أعماق الإنسان ويتجسد من خلال الانكسار النفسي و الانكسار المادي .
- انكسار حلم الثورة أمام لغة المستحيل ،الحلم الذي يراه الكاتب في إعادة تشكيل العالم وفق رؤاه الثورية التي أجهضت على أرض الواقع.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لقد كانت إذن هذه هي أهم القضايا التي تتصـل بالرؤيـة الفنيـة الفكريـة لقضية الخطاب السياسي، التي تطرحهـا الروايـة الجزائريـة بصـورة عامـة ورواية ≺غدا يوم جديد ≻لعبد الحميد بن هدوقة بصورة خاصة.

و يمكن حصر جملة نتائج البحث في النقاط التالية:

1- الروايـة الجزائريـة وليـدة ظـروف سياسـية واجتماعيـة وثقافيـة ويظهر ذلك نتيجة اهتمامها الكبيـر بالقضـايا الاجتماعيـة و المشـاكل السياسية و الصراعات الحضارية، وقد ركـزت علـى قضـايا هامـة فـي مقـدمتها: الكفـاح ضـد الاسـتعمار، و محاربـة البورجوازيـة و الإقطاع، وقوى البطش و الإرهاب ، و كذا قضـية الصـراع بـين القديم و الحديث ، وصراع الأجيـال و الإيـديولوجيات ، و المـذاهب المتناقضة و المتباينة.

2- تعد دراسة الخطاب السياسـي مـن الدراسـات الحديثـة فـي مجـال العلـوم، و تواجـه هـذه الدراسـات إشـكاليات عديـدة سـواء على المستوى النظـري أو المنهجـي، لأن دراسـة الحالـة الفكريـة و الذهنية جد شائكة و معقـدة هـذا لاعتبـار أن الخطـاب السياسـي إنتاج فكري و ذهني .

3- الخطاب السياسي لا يوظف لإضـفاء أبعـاد سياسـية علـى الروايـة فحسب، وإنما يستعمل أيضا لغاية جمالية، و هـي تشـكيل الشخصـية الروائية، وإبراز خصوصياتها النفسـية و الفكريـة، و بهـذه الكيفيـة يسهم الخطاب السياسي في تشييد البناء الفني للرواية ككل.

4- يحمـل أي خطـاب سياسـي معـاني و مضـامين تعبـر عـن آراء و تصورات و توجهات معنية ، وهذا بوصـفه منظومـة مـن الأفكـار تشكلت عبر تراكم معرفي نابع مـن اسـتقراء للواقـع بكـل مكوناتـه الثقافية والاجتماعيـة و السـيوكولوجية و تمحـورت عبـر أنسـاق إيديولوجية مستمدة من التصـورات السياسـية المنبثقـة مـن التـراث أو من الحداثة و مدى ارتباطها بمسـتوى الأداء الحركـي فـي عمليـة التغيير.

5- إن غلبة قضايا السياسـة، و مشـكلات الإيـديولوجيا علـى الروايـة الجزائرية، أمر طبيعي ، بحكم زخم قضايا الواقـع و تعقـد مشـكلاته الفكرية والاجتماعية والسياسـية، بعـد التحـرر مـن احـتلال غاشـم استمر مدة قرن و نصف تقريبا.

6- جرأة الكتاب و الروائيين الجزائريين و تـوجههم بقـوة، نحـو كشـف مواطن العفن و مراكز الضعف في المجتمـع، قصـد تعريـة الفسـاد الاجتماعي و السياسي و الثقافي، ... والدعوة إلى تغييره.

7- تسعى الرواية الجزائرية في أعمال السبعينات إلـى تجسـيد الصـراع بين التيار الاشـتراكي و الشـيوعي و التيـار الإسـلامي، و تـذهب بعض الأعمال الروائية إلـى نقـل الخطـاب السياسـي الإيـديولوجي تماما كما تجري الأمور في الواقـع، ممـا يجعلهـا فـي كثيـر مـن الأحيان عرضة للمباشـرة و التقريريـة، وكـأن الروايـة فـي هـذه الحالة لا تكسب شرعيتها مـن أدبيتهـا ، بقـدر مـا تكسـبها بفضـل الخطاب السياسي الـذي تنحـاز إليـه،وكانت الروايـة حينهـا تكتـب تحت مظلـة الخطـاب الاشـتراكي الـذي أصـبح يقتـرن بالوطنيـة و التضحية من أجل تغيير أوضاع الطبقة الكادحة.

8- إن رواية ﴿غدا يوم جديد ﴾ لعبد الحميد بـن هدوقـة، هـي خطـاب إيديولوجي في المقام الأول، تنطوي على كثير مـن مواقـف المؤلـف السياسية و الفكرية، و يمكـن تصـنيف هـذه الروايـة ضـمن خانـة روايات تيار الوعي إذ أنها في مجملهـا مجموعـة مـن الاسـتنكارات لأحـداث ماضـية استحضـرتها بطلـة الروايـة " مسـعودة " لكاتبهـا بواسـطة التـداعي الحـر الـذي لا قـانون لـه إلا نفسـية مسعودة المشوشة و المتقلبة فـي هـذيانها و سـيولة ذاكرتهـا المثقلـة بتفاصيل الماضي.

9- حملت رواية ﴿غدا يوم جديد﴾ سمات الرواية الجديدة، التي تتداخل فيها الأزمنة، و يعايش فيها الماضي الحاضر، كما ركز الكاتب على الحدث أو الفكرة، موظفا الشخصيات النمطية التي تجمع أكثر من مستوى وظيفي، مستغلا في ذلك الرمز بصورة مكثفة.

10- رغم أن رواية ﴿غدا يوم جديد﴾ تنتمي زمنينا إلى فترة ما بعد الاستقلال، إلا أن ظل الثورة قد اكتسحها، و ظل يسيطر عليها منذ البداية و حتى النهاية .

11- شخصيات رواية ﴿غدا يوم جديد﴾ليست إلا علامات تتجاوز الواقع، للإحالة على مدلولات أعقد، تعبر عن فلسفة الكاتب وإيديولوجيته الخاصة، حيث نجد " مسعودة " الأنثى في دلالتها السطحية تحيل على المدنية بوجهيها : الواقعي و الخيالي وأهم ما تطمع إليه الخروج من الدشرة لكن في دلالتها العميقة، تحيل على الألم، في حين تحيل والدتها على الأصالة و" قدور " يحيل على دلالة الكبرياء و الكرامة و العنف، و أن ما أخذ بالقوة لا يرد إلا بالقوة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

12- نلاحظ من خلال بطلة الرواية " مسعودة " سيطرة الزمن الاستذكاري، و الذي يحيل على دلالة التطويق و الحصار و الخنق، بالإضافة إلى دلالة الصراع و القهر و الظلم و التعذيب و النفي...إن هذه الدلالات الرمزية المكثفة للأحداث و الشخصيات جعلت رؤية القارئ للرواية تتسم بالغموض، و جعلت الرمز ينهار أحيانا و يفقد ميزة الوضوح ، و التي هي من السمات الرئيسية للفن ، و عنصر ملازم لجماله.

13- لم يكن عبد الحميد بن هدوقة ذلك الإصلاحي الذي يسعى إلى التوفيق بين المتناقضات داخل المجتمع، عن طريق الفكر النقدي المهادن، بل كانت رؤيته منبثقة من فكر ثوري ذي توجه جذري يؤمن بالمستقبل و بالعلم و الإنسان.

14- إن القول بالمجتمع التقدمي الذي يومئ له الكاتب عبد الحميد بن هدوقة، يصدر عن جهل بالمجتمع، ذلك أن المجتمع لا ينهض على المساواة المحضة، و لا يخلو من الصراعات ... بل يمكن القول بأن لا مجتمع يتحرك و يتغير من غير نزاع و توتر أو من غير تفاوت و تفاضل، و بهذا المعنى فالمجتمع هو جملة من عوالم و قطاعات و فئات ، و مستويات مختلفة، متفاضلة و متنازعة، منها ما يتقدم ومنها ما يتأخر، منها المركز ومنها

الطرف، منها المحظوظ ومنها المحروم، منها مـــا هـــو فـــوق الأرض و منهـــا مـــا هـــو تحـــت الصـــفر، منهـــا مـــا يتطـــور بســـرعة قصوى ومنها ما يسير ببطء شـــديد ، و بهـــذا المعنـــى فلكـــل عصـــر أنواره و ظلماته، ولكل عقل نقائصه و معقولاته، تمامـــا كـــم أن لكـــل مجتمع مركزه و هوامشه، جوانب تقدمه و مظاهر تخلفه.

15- تمثل قضية المرأة في المجتمع الجزائري انشـــغالا أساســـيا لـــدى عبـــد الحميد هدوقة، ولاســـيما فـــي روايـــة ﴿غـــدا يـــوم جديـــد ﴾ ولعـــل معاناته الشخصية فـــي علاقتـــه بـــالمرأة فـــي وســـط محـــافظ يكبـــت الحريات الفردية، و يفـــرض معاملـــة خاصـــة للمـــرأة، و مواصـــفات معينة لنمط سلوكها العام، كان عـــاملا أساســـيا فـــي موقفـــه الثـــوري من هذه المسألة .

16- نسجل من خلال الرواية مجموعة من الانكسارات فهناك :

- انكسار اللغة الروائيـــة مـــن خـــلال القـــاموس اللغـــوي المشـــحون بعبارات الحزن و الخيبة و المرارة، و التي كانت فـــي غالبيتهـــا لغـــة متوترة.

- انكسار الشخصيات من خلال بنـــاء الحـــدث الروائـــي حيـــث نلمـــح ذلك التمزق الذي يســـتوطن أعمـــاق الإنســـان و يتجســـد مـــن خـــلال الانكسار النفسي و الانكسار المادي.
- انكسار حلم الثورة أمام لغة المستحيل ، الحلم الـــذي يـــراه الكاتـــب في إعادة تشكيل العـــالم وفـــق رؤاه الثوريـــة التـــي أجهضـــت علـــى أرض الواقع.

17- لـــم يقـــدم لنـــا الكاتـــب عبـــد الحميـــد بـــن هدوقـــة فـــي روايـــة ➢غدا يـــوم جديـــد ➢ تصـــورا محـــتملا، يجعلنـــا نتفـــاعل بإمكانيـــة إصلاح هذا الواقع، الأمر الذي يجيز لنـــا القـــول بـــأن رؤيـــة الكاتـــب ذات صلة بالوجوديـــة، لأن الحـــل عنـــده يكمـــن فـــي تـــرك العنـــان لمخيلة القارئ، تبحث عن صورة ثالثـــة، تتضـــمن اســـتمرار وجـــوده و تحقق رغباته، و هو ما يؤدي به إلى الضـــياع و الخـــوف و القلـــق من الغد المجهول.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر و المراجع

❶ - المصادر:

- 1- عبد الحميد بن هدوقة: غدا يوم جديد ، منشورات الأدندلس الجزائر،1992

❷ -المراجع العربية:

* الأعرج واسيني:

2- اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1986

3- الطاهر وطار،تجربة الكتابة الواقعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،ط1 1986

4- الأصول التاريخية للواقعية الاشتراكية في الأدب الروائي، دار الكتاب الحديث، بيروت 1986

5- الفيصل سمير روحي: السجن السياسي في الرواية العربية ،جرس برس، طرابلس: لبنان، ط2، 1991

6- العروي عبد الله: مفهوم الإيديولوجية، المركز الثقافي العربي بيروت،لبنان، ط1 1996

7- الخطيب محمد كامل: الرواية والواقع، دار الحداثة ، للطباعة و النشر والتوزيع، ش.م.م 1981.

8- النساج سيد حامد: أدب التحدي السياسي في المغرب العربي،دار الرأي،بيروت(د.ت).

9- الدغمومي محمود: الرواية المغربية و التغير الاجتماعي، دراسة سوسيوثقافية، إفريقيا الشرق، 1991.

10- إدريس سماح: المثقف العربي والسلطة،بحث في روايات التجربة الناصرية،دار الآداب بيروت،ط1، 1992.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

11- الداية فايز: دماليات الأسلوب، الصورة الفنية في الأدب العربي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2، 1990

12- الصفار فوزية:أزمة الأجيال العربية المعاصرة نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس ، طبعة 1980

13- الزاهي فريد: الحكاية و المتخيل، دراسات في السرد الروائي والقصصي، إفريقيا الشرق، 1991

14- الهواري أحمد إبراهيم: البطل المعاصر في الرواية المصرية، دار الحرية للطباعة ، بغداد 1976

15- إبراهيم عبد الله: المتخيل السردي، مقاربات نقدية في التناص و الرؤية والدلالة ،المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1990

16- القسنطيني نجوى الرياحي:الأبطال وملحمة الانهيار دراسة في روايات عبد الرحمان منيف، مركز النشر الجامعي، تونس – 1999

17- بلحسن عمار: الأدب والإيديولوجية، د.ط.المؤسسة الوطنية للكتاب

18- بن سمنية محمد:في الأدب الجزائري الحديث، النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر، مؤثراتها، بدايتها،مراحلها،الجزائر 2003،مطبعة الكاهنة

19- تركي رابح : التعليم القومي و الشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1981

20- تليمة عبد المنعم: مقدمة في نظرية الأدب ،دار العودة، بيروت،ط2، 1983

21- حسين حمدي:الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر 1965-1975 – مكتبة الآداب – ط1 – 1994 القاهرة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

22- حرب علي: أوهام النخبة، أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، بيروت الدار البيضاء ،ط1، 1996

23- خوجة دريد يحي: إشكاليات الواقع و التحولات الجديدة في الرواية العربية، اتحاد الكتاب العرب 2000.

24- خليل احمد خليل : نحو سوسيولوجيا للثقافة الشعبية ، دار الحداثة، بيروت1979

25- دراج فيصل: الواقع و المثال (مساهمة في علاقات الأدب و السياسة) دار الفكر الجديد، ط1، 1989

26- لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية(عربي ، فرنسي، انجليزي)، دار النهار للنشر، بيروت، ط1، 2002

27- زيعور علي: التحليل النفسي للذات العربية، أنماطها السلوكية و الأسطورية، دار الطليعة للطباعة والنشر،ط2، ماي 1977

28- مدبولي جلال: الاجتماع الثقافي، دار الثقافة ، مصر 1979

29- لحميداني حميد: الرواية المغربية و رؤية الواقع الاجتماعي، دار الثقافة، ط1 1985.

* مرتاض عبد الملك:

30- نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر،ط2 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983

31- القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب ، رقم النشر85/ 1986 ، الجزائر 1990

32- في نظرية الرواية ،بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب ،الكويت ديسمبر 1998

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

33- تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكيـــة ســـيميائية مركيـــة، لروايـــة زقـــاق المـــدق،ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط ، 1995

34- منصوري علي : البطل السجين السياســـي في الروايـــة العربيـــة المعاصـــرة، أطروحـــة مقدمـــة لنيل درجة الدكتوراه ،جامعة باتنة 2008/2007

35- صالح صلاح : سرد الآخر الآنا و الآخر عبر اللغة السردية، المركـــز الثقـــافي العـــربي، بـــيروت لبنان ط1، 2003

* علوش سعيد:

36- المصطلحات الأدبية المعاصرة، مطبوعات المكتبة الجامعية – الدار البيضاء ط 1 – 1984

37- الرواية و الإيديولوجيا في المغرب العربي، دار الكلمة للنشر، د.ت

38- عطية أحمد محمد : الرواية السياسية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، د.ت.ط

39- قيسومة منصور: الآنا والآخـــر في الروايـــة العربيـــة الحديثـــة، دار ســـحر للطباعـــة والنشـــر، تونس1994

40- سليمان نبيل : إسئلة الواقعية و الالتزام ، دار الحوار للنشر و التوزيع، سورية ، اللادقية ، د.ت

41-سعيد خالدة: حركية الإبداع،دراسات في الأدب الحديث، بيروت ، لبنان ، دار العودة، ط1، 1979

42- سليمان عبد العظيم صالح: سوسيولوجيا الرواية السياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998

43- سنقوقة علال : المتخيل والسلطة(في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية) منشورات الاختلاف(د.ت)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

*- شريط عبد الله:

44- من واقع الثقافة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر،1981

45- معركة المفاهيم، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر،1981

* وادي طه :

46- الرواية السياسية، دار النشر للجامعات المصرية، ط 1 1999

47- دراسات في نقد الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989

48- وتار محمد رياض: توظيف التراث في الراوية العربية، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق2002

49- يقطين سعيد: انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، دار البيضاء، ط1 1989

❸- المراجـــــع المترجمة :

50 - ألكسيس كاريل: الإنسان ذلك المجهول، ترجمة شفيق أسعد فريد، مكتبة المعارف، بيروت، 1998

51- بول ريكور:الزمان والجود والسرد

52- بيير زيما .النقد الاجتماعي ،نحو علم الاجتماع النص الأدبي ،ترجمة عايدة لطفي ،دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع ،ط1،القاهرة 1991

53- تزفتان تودوروف: نقد اللغة، ترجمة سامي سويدان 1986

54- روجر فاولر:اللسانيات والرواية ،ترجمة د أحمد مومن – مطبعة البعث، 2006

55- روجر هنكل.قراءة الرواية ،مدخل إلى تقنيات التفسير،ترجمة د.صلاح رزق دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة 2005

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

56- جيرار جينات:عودة إلى خطاب الحكاية، ترجمة محمد معتصم، ط1، 2000، منشورات المركز الثقافي العربي.

57- كولن ولسن: المعقول واللامعقول في الأدب الحديث، ترجمة أنيس زكي حسن منشورات دار الأدب ،بيروت (د.ت) .

58 - ميشال بورتور: بحوث في الرواية الجديدة ،ترجمة فريد أنطونيوس،لبنان، منشورات عويدات بيروت 1971

59- مصطفى الأشرف: الجزائر الأمة و المجتمع، ترجمة د.حنفي بن عيسى،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983

60- ميخائيل باختين.شعرية دوسنويفسكي،ترجمة .دجميل نصيف التكريتي،دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ،المغرب ،1986

61- غي روشيه : مدخل إلى علم الاجتماع العام، تعريب دكتور مصطفى دندشلي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،ط1 ، 1983

المراجـــــع الأجنبية :

62-*C. Achour Et Autres ; Convergences critiques Opu Alger 1990*

63-Brunel Et Autres Qu'est Ce Que La Littérature Comparée ?

64- *J. Courtes Analyse Sémiotique Du Discours Hachette. Paris* 1991

65- Rouland Bournef et R.oullet , l'univer du roman ibid

66- *Gerard Geuette Figure 3 Collection Poetique Edition Du Seuil Paris.*

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

67- *Michel Buture .Essais Sur Le Roman Ed Gallimard 1975.*

المجلات و الدوريات :

68- مجلة الثقافة (مجلة تعني بالفكر والفن والأدب)،تصدرها وزارة الاتصال الجزائر ،ع 2 أكتوبر 1993

69- مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد 44 – 45 ، ربيع 1987

70- مجلة التبيين ، تصدر عن الجاحظية ، عدد06 ، 1993

71- مجلة الفكر التونسي ، عدد 10، سنة 26 ، جويلية 1989

72- مجلة اللغة و الأدب، العدد 13 ، ديسمبر 1998

73- مجلة كلية الآداب – مصر – جامعة القاهرة – العدد 1 – المجلد 50 – ماي 1990

74- مجلة الأقلام العراق، العددان 11 – 12 ، 1986

75- مجلة عمان، العدد 102، كانون الأول 2003

76- أعمال ملتقى السيميائية و النص الأدبي، جامعة عنابة ،ماي 1995

77- أعمال الملتقى الوطني الثاني، الأدب الجزائري في ميزان النقد ، المطبعة المركزية، عنابة 1993

78- أعمال الملتقى الدولي للرواية عبد الحميد بن هدوقة وزارة الثقافة، مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج (ط 2000 – ط 2001 – ط 2002 – ط 2006) .

79- جريدة الخبر العدد 4333، 03 مارس 2005

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس

المقدمة 1

الفصـــل الأول: الروايـــة و التحولات المجتمعية في الجزائـــر

1- علاقة الرواية بالسياسة 8

2- مفهوم الرواية السياسية 13

3- مرتكزات الرواية السياسية و حيثياتها 18

4- أشكال التعبير السياسي في الرواية الجزائرية.....24

5- واقعية الرواية الجزائرية..... 34

6- خلاصة المبحث..... 59

الفصل الثاني:قضايـــا الواقـــع السياسي في رواية غدا يوم جديـــد

1-الروائي / استراتيجية الكتابة 61

2- قضايـــا الروايـــة : 72

أ- القضايا السياسية الثورية 72

ب- القضايا الاجتماعية 101

ج- القضايا الثقافية 124

3-خلاصة المبحث 146

الفصـــل الثـــالث:البنـــــاء الفنـــــي للروايـــــة

1- اللغة الروائية 154

2- الشخصيات 169

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3- بناء الحدث الزمني 188
4- المكان ودلالته 202
5- خلاصة المبحث 208
الخاتمـــــة 211
قائمة المصادر و المراجع 218

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية